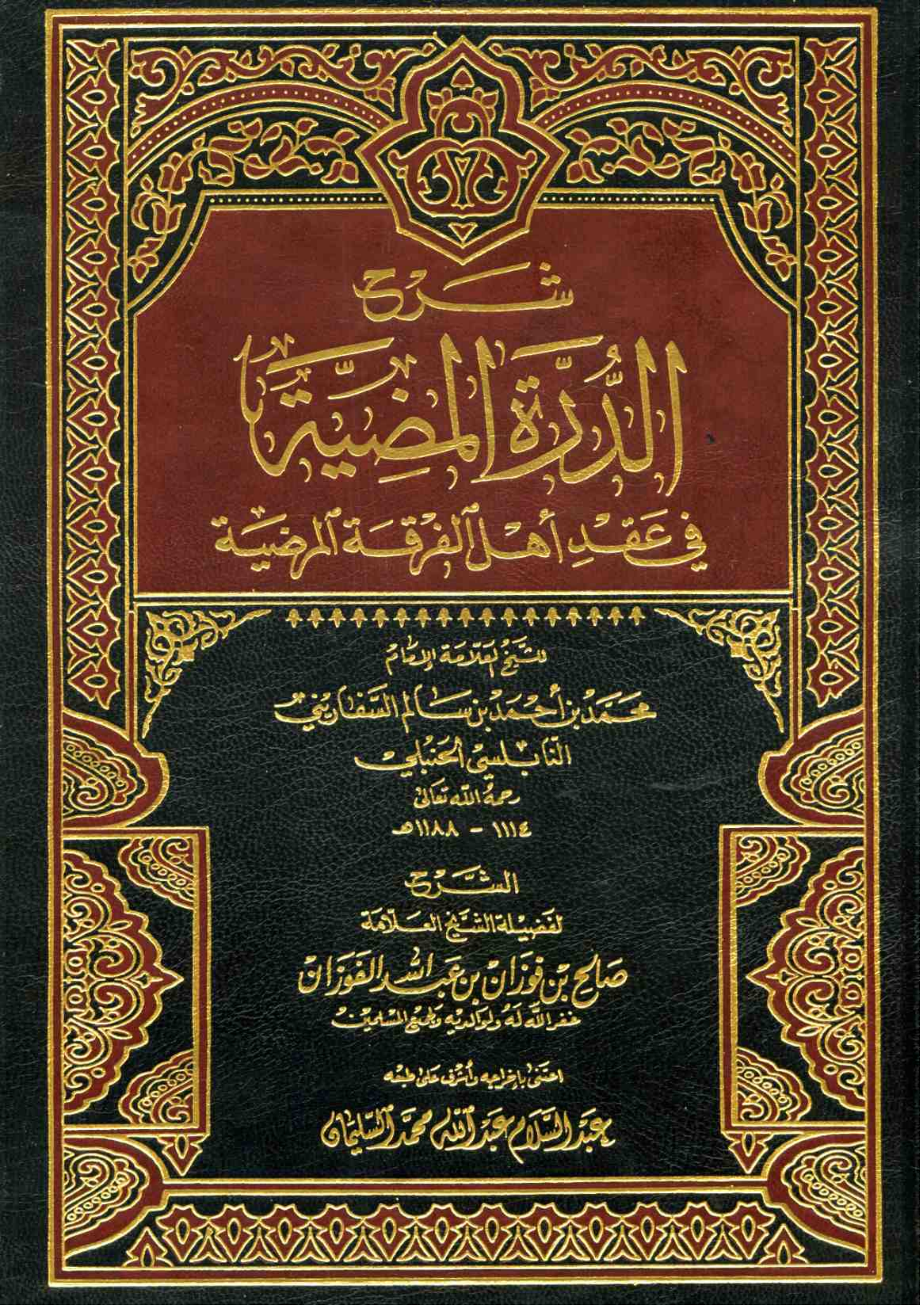

شرح
الدرة المضية
في عقد أهل الفرقة المرضية
للشيخ العلامة الإمام
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني
النابلسي الحنبلي
رحمه الله تعالى
١١١٤ - ١١٨٨هـ
الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
عبد السلام عبد الله محمد السليمان

شرح
الدرة المضية
في عقد أهل الفرقة المرضية

للشيخ العلامة الإمام

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

النابلسي الحنبلي

رحمه الله تعالى

١١١٤ - ١١٨٨هـ

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام عبد الله محمد السليمان

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

ت المنزل ٤٧٨٧٨٤٠

ت العمل ٤٥٨٨٥٧٠

الفاكس ٤٧٧٤٨٨٨

ص.ب ٥٦٩٤٩ – الرياض ١١٥٦٤

التاريخ / / ١٤١ هـ

الحمد لله. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد أذنت للشيخ: عبد السلام بن عبد الله بن محمد السليمان بطباعة كتابي: شرح الدرة المضية. في عقد الفرقة المرضية للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه المؤلف:

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

في ٢٢/٧/١٤٢٥ هـ

د. صالح بن فوزان العبد الله الفوزان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فهذا شرح مبارك نافع إن شاء الله لكتاب:

الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

النابلسي الحنبلي «رحمه الله»

قام بشرحه أثناء دروسه شيخنا فضيلة الشيخ/

صالح بن فوزان عبد الله الفوزان

حفظه الله وجزاه خيراً

وقد ابتدأ فضيلته بشرحه في درس يوم السبت الموافق ١٤/ ٧/ ١٤٢٣هـ بعد صلاة المغرب، أسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين، وأن يرفع درجاته في عليين وفي زمرة السابقين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد السلام بن عبد الله السليمان

١٤٢٥/٤/١١

ترجمة السَّفّارِيني

بقلم: عبد السلام بن عبد الله السليمان

هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السَّفّاريني، شمس الدين، أبو العون. عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق.

ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومئة وألف (١١١٤هـ)، ونشأ بها، وتلا القرآن الكريم صغيراً وحفظه وأتقنه، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، فقرأ العلم في الجامع الأموي على مشايخ فضلاء، وأئمة نبلاء ما بين مكيين ومدنيين وشاميين ومصريين.

قرأ الحديث والفقه والفرائض والأصلين على العلامة خاتمة المحققين شيخ المذهب في عصره ومصره، الشيخ عبد القادر التغلبي، والشيخ طـٰه بن أحمد اللبدي، والشيخ مصطفى بن الشيخ يوسف الكرمي، والشيخ عبد الرحيم البكري، والمعمر السيد هاشم الحنبليوني.

وقرأ في أنواع الفنون على العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب البِديعيات المشهورة، والتآليف الجليلة، والعلامة الشيخ أحمد المنيني، والشيخ السيد مصطفى البكري، والعلامة حامد أفندي مفتي الشام، والحافظ محمد حياة السندي ثم المدني، والمعمر الشيخ عبد الرحمٰن بن محيي الدين المجلد الحنفي،

والملا إلياس الكردي، والعلامة إسماعيل جراح العجلوني، والعلامة الشيخ أحمد المغربي مفتي الشافعية، وقريبه الشيخ محمد المغربي الذي تولى الإفتاء بعده، والشيخ عبد الله البصري، والشيخ سلطان المحاسني خطيب الجامع الأموي وغيرهم.

وأجازوه بإجازات مطولة ومختصرة، وبرع في فنون العلم وجمع بين الإمامة والفقه والديانة والصيانة وفنون العلم والصدق وحسن السمت والخلق والتعبد وطول الصمت عما لا يعني، وكان محمود السيرة، نافذ الكلمة، رفيع المنزلة عند الخاصّ والعامّ، سخي النفس، كريماً بما يملك، مهاباً معظماً، عليه أنوار العلم بادية، وحصل في الزمن اليسير ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير.

ورجع إلى بلده، ثم توطن نابلس، واشتهر بالفضل والذكاء، ودرس وأفتى، وأفاد وصنف تصانيف جليلة في كل فن منها:

١ ـ شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد في مجلد ضخم وقد طبع في دمشق عام ١٣٨٠هـ.

٢ ـ شرح نونية الصرصري في السيرة مجلدان، سماها معارج الأنوار في سيرة النبي المختار.

٣ ـ تحبير الوفا في سيرة المصطفى.

٤ ـ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب. طبع بمطبعة النجاح بمصر عام ١٣٢٤هـ. جزءان، أودع فيه من غرائب الفوائد ما لا يوجد في كتاب.

٥ ـ البحور الزاخرة في علوم الآخرة.

٦ ـ كشف اللثام شرح عمدة الأحكام.

٧ ـ نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار.

٨ ـ الجواب المحرر في الكشف على حال الخضر والإسكندر.

٩ ـ التحقيق في بطلان التلفيق.

١٠ـ الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات.

١١ـ الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، وشرحها المسمى بـ«لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية» وغير ذلك من التحريرات والفتاوى الحديثية والفقهية والأجوبة على المسائل العديدة، والتراجم لبعض أصحاب المذهب، وله من الأشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير، وبالجملة فتآليفه نافعة مفيدة مقبولة سارت بها الركبان، وانتشرت في البلدان.

لقد كان إماماً متقناً جليل القدر، وظهرت له كرامات عظيمة، وكان حسن التقرير والتحرير، لطيف الإشارة، بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف، لطيف الترتيب والترصيف، زينة أهل عصره، ونقاوة أهل مصره، صواماً قواماً، ورده كل ليلة ستون ركعة، وكان متين الديانة، لا تأخذه في الله لومة لائم، محباً للسلف وآثارهم بحيث إنه إذا ذكرهم أو ذكروا عنده لم يملك عينه من البكاء، وتخرج به وانتفع خلق كثير.

له الباع الطويل في علم التاريخ، وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء، وما وقع في الأزمان السالفة، وكان يحفظ من

أشعار العرب الغرباء والمولدين شيئاً كثيراً، وله شعر لطيف منه قوله:

مَنْ لي بأنْ أنظرَ إلىٰ   خِشْفٍ بليلٍ معتكر
وأضمّه من غيرِ شفٍّ   كالضميرِ المستتر

وقوله:

الصبرُ عيلَ من القلا   والنفسُ أمستْ في بلا
والجفنُ جَفَّ من البكا   والقلبُ في الشجوى غلا
وشكا اللسانُ فقال في   شكواه لا حولَ ولا

وقوله:

أحبَّةَ قلبي تزعموا أنَّ حبّكم
صحيحٌ فإنْ كنتم كما تزعموا زوروا
وأحيوا فتى فتَّ الغرامُ فؤادَه
وإلا فدعوى حبّكم كلّها زورُ

وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومئة وألف (١١٨٨هـ) بنابلس، ودفن بتربتها الشمالية رحمه الله تعالى[1].

---

(١) «سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي ٤/ ٣١، «الأعلام» للزركلي ٦/ ١٤، «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني الصفحات الأولى ترجمة الشيخ محمد السفاريني.

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن:

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: بسم الله الرحمٰن الرحيم[١].

---

(١) الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فلا يخفَىٰ أن العقيدة هي الأساس الذي يُبنىٰ عليه الدين، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. هذه أصول الإيمان وأصول العقيدة كما جاءت في الحديث الصحيح في مجيء جبريل عليه السلام إلىٰ النبي ﷺ بحضرة أصحابه، وجلوسه بين يدي النبي ﷺ والصحابة ينظرون إليه، وسأل النبي ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن الإيمان ـ بدأ بالإيمان ـ قال: «الإيمانُ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه» قال: صدقتَ، فأخبرني عن الإسلام، قال: «الإسلامُ أن تشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» فقال: صدقتَ، أخبرني عن الإحسان، قال: «الإحسانُ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: أخبرني عن الساعة ـ يعني عن قيام الساعة متىٰ؟ ـ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

أي أنا وأنت لا نعرف ذلك لأن هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، لا تعلمه الملائكة ولا الرسل ولا العلماء، وإنما هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ـ جلَّ وعلا ـ.

=

. . . .

= قال: أخبرني عن أماراتها ـ أي: علاماتها ـ، فقال ﷺ: «أن تلد الأمة ربَّتَها، وأن ترىٰ الحفاةَ العراة العالة رِعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان».

هذا من علامات الساعة، وعلامات الساعة كثيرة ـ كما ذكر العلماء ـ منها علامات صغرىٰ ومنها علامات متوسطة ومنها علامات كبرىٰ. وكل هذا مُفصل في كتب العقائد.

فقام وخرج، فقال النبي ﷺ: «أتدرون من السائل؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. وفي رواية أنه قال: «اطلبوه» فخرجوا يطلبونه فلم يجدوه، فقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(*) أي: دين الإسلام.

وهذه مراتب الدين، ثلاث مراتب:

مرتبة الإيمان، ومرتبة الإسلام، ومرتبة الإحسان، كل مرتبة لها أركان. فالإسلام والإيمان إذا ذُكرا جميعاً صار الإسلام له معنىٰ والإيمان له معنىٰ، فالإيمان هو أعمال القلب، والإسلام هو أعمال الجوارح، الإسلام يكون ظاهراً، والإيمان يكون باطناً في القلب. ولا بد من اجتماعهما، فلا إسلام صحيح بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام.

وإذا ذُكِر أحدهما دخل فيه الآخرُ، ولهذا يقول العلماء: (الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا) يعني صار لكلٍّ منهما معنىٰ خاصّ، يفترقان في المعنىٰ والتفسير، (وإذا افترقا) يعني ذُكر أحدهما (اجتمعا) يعني =

(*) رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٨/ ٩٧ (٥٠٠٥)، وابن ماجه (٦٣)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١/ ٣١٤-٣١٦ (١٨٤) و١/ ٤٣٤-٤٣٦ (٣٦٧)، وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ١/ ٩٣ الحديث الثاني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

. . . .

= دخل فيه الآخر، فإذا ذُكِر الإيمانُ وحده دخل فيه الإسلام، وإذا ذُكِر الإسلامُ وحده دخل فيه الإيمان. فدل على أنهما لا بد منهما جميعاً، وأنه لا يكفي إسلام بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام.

فالإيمان يتكون من هذه الأركان الستة، وتسمى: أصول الإيمان، وأركان الإيمان، ومن هذه الأركان تتكون العقيدة. والعقيدة: ما يعتقده القلب ويجزم به. تُسمى العقيدة، وتُسمى الإيمان، كما كان السلف يسمونها الإيمان. وتُسمّىٰ السنة أيضاً. ولذلك تجدون مؤلفات السلف مختلفة الأسماء، بعضها اسمه الإيمان أو أصول الإيمان، وبعضها اسمه السنة، مثل كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب السنة للأثرم، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ومن العلماء من يسمي العقيدة بالإيمان، ومن العلماء من يسميها العقيدة، ومنهم من يسميها التوحيد.

وهي أسماء مختلفة اللفظ لكنها متفقة في المعنىٰ، وكل اسم منها مأخوذ من الأدلة، وليست اصطلاحية كما يقول بعضهم. ومن ثم اهتم العلماء بهذا الباب، باب العقيدة أو باب الإيمان أو باب السنة، اهتموا به اهتماماً بالغاً، واعتنوا به وألفوا فيه المؤلفات الكثيرة في بيانه وبيان أصوله وبيان أدلته؛ لأنه هو الأساس الذي يُبنىٰ عليه الدينُ، فألفوا فيه نثراً ونظماً، وجمعوا فيه الأدلة من الكتاب والسنة.

وتكونت من ذلك مكتبة عظيمة في العقيدة أو في الإيمان أو في السنة علىٰ اختلاف العصور، وكلها تسير في منهج واحد، ولكن بعضها يوضح بعضاً، بعضها مختصر، وبعضها مطول، وبعضها نثر، وبعضها =

. . . .

= نظم، هذا مما يدل علىٰ عناية العلماء بالعقيدة وأهمية العقيدة ووجوب معرفة العقيدة، عكس الذين يُزَهِّدون في هذا العلم ويُرخِصونه علىٰ الناس، ويقولون: يكفي اسم الإسلام ولا داعي إلىٰ هذه المؤلفات.
وهذا ناشئ إما عن جهل منهم وإما عن سوء معتقد وبغض للعقيدة، وغرضهم من ذلك ألا يكون هناك فرق بين مبتدع وسُنّي، وبين سني وجهمي ومعتزلي، ورافضي وباطني، لا يكون هناك فرق؛ لأن كتب العقيدة الصحيحة تبين العقائد الباطلة، وهم لا يريدون هذا، يريدون أن يكونَ الناس علىٰ حَدٍّ سواء، ويُكتفَىٰ باسم الإسلام. مع أن الإسلام لا يتحقق ولا يصح إلا إذا صحت العقيدة، فإذا لم تصح العقيدة لم يصح الإسلام. والتسمي بالإسلام لا يكفي، فلا بد من تحقيق العقيدة وتحقيق الإيمان حتىٰ يصح الإسلام، ويكون التسمي به حقيقياً، أما مجرد التسمي بالإسلام مع تضييع أصول الإسلام، وتضييع العقيدة الصحيحة فإنه لا يبقىٰ إسلام صحيح.

فهذا الباب مهم، وممن ألفوا في هذا الباب: الإمام محمد بن أحمد السَفَّاريني ـ رحمه الله ـ فإنه نظم عقيدة السلف؛ لأن النظم أخف علىٰ السمع وأثبت في الذهن وأسرع في الحفظ من النثر. فلذلك نظم ـ رحمه الله ـ هذه العقيدة المسماة بـ(لوامع الأنوار البهية في اعتقاد الفرقة المرضية) أو نحواً من هذا العنوان، أو (سواطع الأنوار). ألف أو نظم هذه المنظومة المشتملة علىٰ بيان أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وإن كان لا يخلو نظمه من مؤاخذات، لكن هذه العقيدة في جملتها جيدة ومفيدة.

والسَّفَّارِيني: نسبة إلىٰ سَفَّارين، قرية من قرىٰ نابلس في فلسطين؛ لأنه وُلد فيها، وتعلم علىٰ علماء الشام وأخذ عنهم العلم، ثم رجع إلىٰ =

. . . .

= بلده وألف المؤلفات القيّمة المفيدة، منها هذه العقيدة المسماة بعقيدة الإمام السَّفَّارِيني، وشرحها بشرح مفصل، وألف أيضاً مؤلفات أخرى، منها: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، وهو شرح لكتاب عمدة الأحكام في الحديث، ومنها شرح الثلاثيات، وهي ثلاثيات مسند الإمام أحمد، وهو مطبوع، ومن مؤلفاته أيضاً البدور السافرة في أمور الآخرة، وله مؤلفات كثيرة في هذا الباب مفيدة، وإن كان قد لا يخلو من ملاحظات، ولكن في الجملة كتبه جيدة ومفيدة ـ رحمه الله ـ، وبدأ هذه المنظومة أو القصيدة ببسم الله الرحمٰن الرحيم؛ لأن هذا هو السنة أن تُبدأ الكتب ببسم الله الرحمٰن الرحيم، كما أُبتدأت سور القرآن ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وفي أول المصحف بسم الله الرحمٰن الرحيم، وكما كتبها سليمان عليه السلام في رسالته إلى ملكة اليمن بلقيس ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩-٣١]. وكما كان النبي ﷺ يكتبها في رسائله. فيُستحب أن تُبدأ الكتب ببسم الله الرحمٰن الرحيم.

(بسم الله) بسم: جار ومجرور، الباء حرف جر واسم مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: أستعين ببسم الله، أو أتبرك باسم الله. فقوله: (بسم الله) يتضمن بركة واستعانة، تَبرَّك باسم الله ـ جل وعلا ـ واستعان به.

والاسم مأخوذ من السِّمَة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة علىٰ المسمّىٰ، وقيل: مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع. =

١ـ الحمـــدُ للهِ القـــديـــمِ البـــاقِـــي
مُسَبِّـــبِ الأسبـــابِ والأرزاقِ(١)

= وكما تعلمون أن الكلام ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، هذه أقسام الكلام.

و(بسم) مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، و(الله) علمٌ علىٰ الذات الإلهية، ومعناه: ذو الألوهية، أي: العبودية، من الوله وهو المحبة؛ لأنه سبحانه يحبه عبادُه ويتألهون له، يعني يتعبدون، ومنه الإلـٰه، أي: المعبود. هذا على أنه مشتق، وبعض العلماء يرىٰ أنه اسم جامد.

وهذا الاسم لا يُسمىٰ به غير الله ـ جل وعلا، فلا أحد يتسمّىٰ به لا من الكفار ولا من الجبابرة، ولا من الطواغيت، لا أحد سمىٰ نفسه الله أبداً، إنما هذا الاسم من أسماء الرب سبحانه وتعالىٰ. و(الرحمٰن) اسم من أسمائه تضمن الرحمة و(الرحيم) كذلك اسم من أسمائه يتضمن الرحمة، لكن قالوا: (الرحمٰن) يتضمن الرحمة العامة لجميع المخلوقات، وأما (الرحيم) فيتضمن الرحمة الخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

(١) (الحمـــد لله القـــديـــم البـــاقـــي مسبـــب الأسبـــاب والأرزاق)

الحمد: هو الثناء علىٰ المنعم سبحانه وتعالىٰ، والألف واللام للاستغراق، أي: جميع المحامد لله ـ عزّ وجلّ ـ فهو المحمود المطلق؛ لأن النعم كلها منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل: ٥٣]. فهو المحمود المطلق سبحانه وتعالىٰ، الذي له المحامد كلها، وأما غيره فيُحمد علىٰ قدر صنيعه، لكن المحمود المطلق والذي يستحق الحمدَ كلَّه هو الله سبحانه وتعالىٰ. واللام للملك؛ أي: الحمد لله ملكاً واستحقاقاً. =

. . . .

= (القديم): هذا ليس من أسماء الله سبحانه وتعالىٰ لكن يصح أن يُخبر عنه أنه قديم، أما أن يُطلق عليه من باب التسمية فهذا لم يرد في أسماء الله سبحانه وتعالىٰ، وأيضاً ما من قديم إلا وقبله ما هو أقدم منه، فالصواب أن يقال الأول، كما سمىٰ نفسه بذلك: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

فاسمه سبحانه: الأول، وقال النبي ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(*) فالقديم ليس من أسماء الله، ولكن لا مانع أن يُخبر عنه سبحانه بأنه قديم بمعنىٰ الأول.

(الباقي) الذي لا نهاية لبقائه سبحانه وتعالىٰ، ومثله الآخِر، الآخِر هذا الذي سمىٰ الله به نفسه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال النبي ﷺ: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء». فهو أوّل بلا بداية، وآخِر بلا نهاية سبحانه وتعالىٰ، وأما الخلق فلهم بداية ونهاية، كل المخلوقات لها بداية ولها نهاية، أما الذي ليس له بداية ولا نهاية فهو الخالق سبحانه وتعالىٰ.

(مسبب الأسباب) الأسباب: جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى الشيء، كالحبل مثلاً الذي يتوصل به إلىٰ الماء من البئر يسمىٰ سبباً =

(*) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١٤/ ٥٢٠ (٥٩٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢)، ومسلم (٢٧١٣) (٦١) و(٦٢)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجه (٣٨٧٣)، والترمذي (٣٤٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

. . . .

= ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ١٥]. فالسبب ما يتوصل به إلى الشيء. والله ـ جل وعلا ـ هو مسبب الأسباب، الأسباب مخلوقة لله ـ عز وجل ـ والعبد مأمور باتخاذ الأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالىٰ، فلا يأخذ بالتوكل ويترك الأسباب، ولا يأخذ الأسباب ويترك التوكل، بل لا بد من الجمع بين اتخاذ الأسباب مع التوكل علىٰ الله، فإنه إن شاء نفعت الأسباب، وإن شاء لم تنفع، فهو مُسبِّب الأسباب سبحانه وتعالىٰ، ولكن مع هذا أُمرنا باتخاذ الأسباب ولا نقتصر علىٰ التوكل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أمرنا الله ـ جل وعلا ـ باتخاذ الأسباب، فقال: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١]. هذا من اتخاذ الأسباب مع التوكل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

فالاعتماد علىٰ السبب شِرْك ـ كما قال العلماء ـ ونفي السبب قدح في الشرع، فلا بد من الجمع بين الأمرين، وأن تعتقد أن الأسباب وحدَها لا تكفي، وأن تعتقد أنه لا بد من اتخاذ الأسباب لأي شيء تريده، تريد الولد والذرية لا بد من الزواج، هذا من أسباب الذرية والإنجاب، تريد الرزق، اطلب الرزق بالبيع والشراء والحرف، أما أن تجلس وتقول: المقدر يجيئني!! فالله نهىٰ عن ذلك، وأمرنا بطلب الرزق، فقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال: ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٧]. إذا أردت أي شيء في الدنيا أو الآخرة لا بد من اتخاذ الأسباب. الجنة =

٢ـ حَـيٌّ عليـمٌ قـادرٌ مـوجـودُ[١]

. . . .

= لا بد من اتخاذ السبب لدخولها بالعمل الصالح، فالأسباب لا بد منها في الدنيا والآخرة.

(والأرزاق) هو الذي ـ جل وعلا ـ يسبب الأرزاق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]، فالرزق من الله سبحانه وتعالىٰ، هو الرزاق، وهو الرازق سبحانه وتعالىٰ، فيُطلب الرزق من الله ـ جل وعلا ـ. والأرزاق: جمع رزق، وهو ما ينتفع به الإنسان في حياته من المآكل والمشارب والملابس والمراكب وغير ذلك، هذا من الأرزاق التي خلقها الله سبحانه وتعالىٰ لعباده ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

(١) (حي عليم قادر موجود) وهذه أربع صفات له سبحانه وتعالىٰ، حي: موصوف بالحياة الكاملة ـ جل وعلا ـ التي لا يعتريها نوم ولا موت ولا زوال، الحي قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، الله ـ جل وعلا ـ لا يعتريه نوم؛ لأن النوم نقص وموت، ولا سِنة: وهي النوم الخفيف؛ لأن هذا نقص في الحياة، النوم وفاة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فالنوم وفاة، والله منزه عن النوم، ومنزه عن السِّنَة، وهي النوم الخفيف، ومنزه عن الموت ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] سبحانه وتعالىٰ.

وحياته ذاتية، أما حياة المخلوقين فإنها حياة ممنوحة لهم من الله سبحانه وتعالىٰ، ليست حياة ذاتية إنما هي حياة ممنوحة لهم من الله، هو=

. . . .

= الذي أحياهم وهو الذي أعطاهم الحياة، وهو الذي يأخذها منهم، أما حياته سبحانه فهي حياة كاملة حياة أبدية، لا بداية لها، ولا نهاية، ولا نقص فيها، ولذلك قال: (الحي).

(العليم) هذا من أسمائه سبحانه العليم، ويتضمن العلم، فالله ـ جل وعلا ـ عليم وعالم ويعلم كلَّ شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]. موصوف بالعلم المحيط بكل شيء.

(قادر) قادر: هذا من وصفه سبحانه، إنه علىٰ كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فهو قادر علىٰ كل شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، القدير من أسمائه، والقدرة من صفاته سبحانه وتعالىٰ، وهي قدرة شاملة كلّ ما أراده، ولا يقال: وهو علىٰ ما يشاء قدير. كما يقوله بعض الغالطين، بل يقال: علىٰ كل شيء قدير. كما وصف نفسه بذلك. وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٩] هذا خاصّ بالحشر وجمع الخلائق يوم القيامة، وهو نوع من أنواع القدرة، والقدرة أعمّ من ذلك، إنه علىٰ كل شيء قدير.

(موجود) لا شك في هذا أنه سبحانه وتعالىٰ موجود، والدليل علىٰ وجوده سبحانه وتعالىٰ هذه المخلوقات، إذ هذه الموجودات لا بد لها من مُوجِد، والمفعول لا بد له من فاعل، والمخلوق لا بد له من خالق. فهو سبحانه وتعالىٰ موجود وجوداً دائماً وأبداً، لكن ليس من أسمائه الموجود، لكن يُخبَر عنه بأنه موجود، ووجوده واجب؛ لأن الأشياء ثلاثة أقسام: =

٢ـ ....

قَامَتْ بِهِ الأشياءُ والوجودُ[1]

= ١ ـ واجب الوجود.
٢ ـ ممتنع الوجود.
٣ ـ جائز الوجود.

الله ـ جل وعلا ـ له الوجود الواجب، والدليل علىٰ وجوده هذه المخلوقات وهذه المصنوعات، تدل علىٰ وجوده سبحانه. ففي هذا ردّ علىٰ الطبيعيين والملاحدة الذين لا يؤمنون بوجوده سبحانه وتعالىٰ، وينسبون هذه الأشياء إلىٰ الطبيعة، وهذه مغالطة للعقول؛ لأن كل عاقل يعلم أن هذه الموجودات لا بد لها من مُوجِد، وهذه المخلوقات لا بد لها من خالق، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، هذه الموجودات لم توجد نفسَها، وإنما أوجدها الخالقُ سبحانه وتعالىٰ.

(١) (قامت به) أي: بقدرته سبحانه وتعالىٰ ومشيئته، فهو القائم بنفسه المقيمُ لغيره، وهذا معنى القيوم، القيوم: هو القائم بنفسه فليس بحاجة إلىٰ غيره، والمقيم لغيره، فغيره محتاج إليه، فهو الذي يقيم السماواتِ والأرض، وهو الذي يقيم المخلوقات بخلقه ورزقه وإمداده وإيجاده سبحانه وتعالىٰ. فهو غنيّ عن خلقه، وخلقه محتاجون إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، والله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يقيم هذه الأشياء ويوجدها ويمدها بما يبقيها وما يكملها وينميها، وهي محتاجة إليه =

٣ـ دلَّتْ علىٰ وجودِهِ الحوادثُ[١]

. . . .

= سبحانه وتعالىٰ، وهذا معنىٰ القيوم، هو القائم بنفسه المقيم لغيره. وفي قراءة: (القيَّام)(*)، والقيّوم والقيّام، من صيغ المبالغة.

(قامت به الأشياء) يعني قامت به كلُّ المخلوقات، أي: بخلقه وإيجاده ومشيئته سبحانه وتعالىٰ، ولم تقم بنفسها، ولم توجد بنفسها، الوجود كله، الكون كله هو الذي أوجده وأقامه، السماوات والأرض وما فيهن، كل ذلك هو الذي أوجده سبحانه وتعالىٰ، فهو الموجد لهذه الأشياء وحده لا شريك له. وهذا لا يُنكره أحد حتىٰ المشركون الذين يعبدون الأصنام إذا سُئلوا: مَن خلق السماوات والأرض؟ مَن الذي يرزقكم؟ من الذي يحييكم ويميتكم؟ فإنهم يعترفون بذلك، سَلْهم لمن السماوات والأرض؟ سيقولون: لله، فهم معترفون بهذا.

(١) لما قال في البيت الأول: (موجود) ذكر الدليل علىٰ وجوده وهو هذه الحوادث التي تحدث بعد أن لم تكن، المخلوقات ليست قديمة الأعيان كلُّها مُحدَثة، كلّها موجودة بعد أن لم تكن، فمن الذي أوجدها، ومن الذي أحدثها؟ إنه الله سبحانه وتعالىٰ، فكل موجود لا بد له مِن مُوجِد، وكل مخلوق لا بد له مِن خالق، وكل مُحْدَثٍ لا بد له من مُحْدِث، هذا دليل عقلي، وبرهان عقلي لا يماري فيه أحد. وليس الدليل علىٰ =

(*) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن مسعود وعلقمة والأعمش والنخعي، والحسن بن سعيد المطوعي. انظر «تفسير القرطبي» ٣/ ١٧٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ١/ ٤٤٧. وقال القرطبي: ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب، وأصح بناء، وأثبت علة. والقيام منقول عن القوّام إلى القيّام. اهـ.

٣ـ . . . .

سبحـانَـه فهـو الحكيـمُ الـوارثُ(١)

= وجوده مجرد الحوادث وحدَها لكن هذه من جملة الأدلة، وإلا فإن البراهين علىٰ وجوده سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ ربوبيته كثيرة، براهين عقلية ونقلية، لكن من جملة هذه البراهين وجودُ هذه المخلوقات فإنها تدل علىٰ أن لها مُوجِداً وخالقاً ومدبِّراً، وهو الله سبحانه وتعالىٰ.

(١) (سبحانه): هذا تنزيه له، التسبيح معناه التنزيه، فسبحانه: تنزيهاً له من النقائص والعيوب.

(فهو الحكيم) من أسمائه الحكيم، ومن صفاته الحكمة؛ لأن كل اسم من أسماء الله يدل علىٰ صفة من صفاته، فالحكيم من أسماء الله ـ عز وجل ـ يتضمن الحكمة، والحكمة وضع الشيء في موضعه، فهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه والحكيم بمعنى المتقن للأشياء ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[الملك:٣] تجد هذه الأشياء محكمة متقنة، كل شيء في موضعه. هذا يدل علىٰ حكمة الله جلّ وعلا.

(الوارث) يعني الباقي بعد فناء المخلوقين، والوارث: الذي تؤول إليه الأملاك بعد فناء المُلاك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠] فمن أسمائه الوارث، أي: الباقي بعد المخلوقات، والذي تؤول إليه الأملاك بعد فناء المُلاك. وليس الوارث الذي يتملك الأشياء بعد أصحابِها مثل المواريث والفرائض، لكن الوارث معناه الباقي والذي تؤول إليه الأملاك؛ لأنه المالك ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فهو المالك الذي يبقىٰ ملكُه ولا يبيد، بخلاف المخلوقين فإنهم يملكون ولكن ملكهم مؤقت في هذه الدنيا، وفي الآخرة يكون =

٤ـ ثُـمَّ الصـلاةُ والسـلامُ سَـرمَـدا[١]

. . . .

= الملك لله جلّ وعلا. ليس في الآخرة ملوك، مالك الملك واحد وهو الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

(١) لما فرغ من حمد الله والثناء عليه، صلّىٰ علىٰ النبي ﷺ، والصلاة علىٰ النبي ﷺ من الله ومن الملائكة ومن المخلوقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. (إن الله وملائكته) الله ـ جل وعلا ـ يصلي علىٰ نبيه، والملائكة تصلي علىٰ النبيِّ، وأمر الخلقَ أن يصلـوا ويسلموا علىٰ نبيهم.

والصلاة من الله ثناؤه علىٰ عبده ورسوله، ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ، والصلاة من الملائكة هي الاستغفار، يستغفرون له، والصلاة من الخلق هي الدعاء، يدعون له ﷺ؛ لأنه هو الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلىٰ النور، وهو الذي هداهم الله به إلىٰ الحقّ، فهم يدعون له ﷺ، فالصلاة من الله الثناءُ، والصلاة من الملائكة الاستغفارُ، ومن الآدميين الدعاءُ، ومنه الصلاة علىٰ الجنازة يعني الدعاء لها، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم، فالصلاة من المخلوق دعاء، فمشروع لنا أن نصلي ونسلم عليه، كما قال ـ جل وعلا ـ: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فتقول: اللهم صَلِّ وسلِّم علىٰ محمد، هذا هو المطلوب.

والسلام: معناه السلامة من الآفات والمحاذير فمعنى سلامنا عليه أن ندعو الله أن يسلمه مِن كل مكروه ومن كل محذور، فهذا معنىٰ =

. . . .

= السلام، وكذلك السلام بمعنىٰ التحية. ومن حقوقه ﷺ علىٰ الأمة أن يصلوا ويسلموا عليه عند ذكره عليه الصلاة والسلام، ويصلوا ويسلموا عليه في الخطب، ويصلوا ويسلموا عليه في الصلاة في التشهد الأخير، فيقولون:اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم. والصلاة علىٰ النبي ﷺ في التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة، وقد عَلَّمَ النبي ﷺ الأمة كيف تصلي عليه في الصلاة، فقال: «قولوا: اللهمَّ صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهمَّ بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»(*).

فلا بد أن تأتي بهذا اللفظ الذي علَّمه النبيُّ ﷺ أمتَه في الصلاة، وأما في غير الصلاة فيكفي أن تقول: ﷺ. امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. والفائدة من صلاتك وتسليمك علىٰ الرسول ﷺ ترجع إليك، قال عليه الصلاة والسلام: «مَن صلَّى عليّ واحدةً صلَّىٰ الله عليه بها عَشْراً»(**) فالفائدة راجعة إليك، فلا تحرم =

(*) أخرجه البخاري (٤٧٩٧) و(٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦) (٦٦)، وأبو داود (٩٧٦)، وابن ماجه (٩٠٤)، والترمذي (٤٨٣)، والنسائي ٣/ ٤٧ (١٢٨٦) و٣/ ٤٨ (١٢٨٨)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٣٠/ ٣٣ (١٨١٠٥) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه وفيه تمام تخريجه. وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ٤/ ٤٠١ الفصل الثالث في الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

(**) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٥)، ومسلم (٤٠٨)، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي ٣/ ٥٠ (١٢٩٥)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١٤/ ٤٤٤ (٨٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤ـ . . . .
على النبيِّ المُصطَفَى كَنزِ الهُدى[(١)]

= نفسك من ذلك فهذا من حقوقه ﷺ علينا، والإكثار من الصلاة عليه فيه الثواب الجزيل حيث قال: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً» في أي مكان. فلا يُشترط أن تذهب إلى القبر وتصلي وتسلم عليه هناك، بل صَلِّ وسلِّم عليه في أي مكان. قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»[(*)] فتصلي وتسلم عليه في أي مكان. وقول الناظم: (سرمداً) يعني دائماً وأبداً أي: صلاة وسلاماً دائمين لا ينقطعان.

(١) (على النبي المصطفى) النبي: يهمز ولا يهمز، فمن جعله مأخوذاً من النبأ وهو الخبر همزه فقال: (النبيء)؛ لأنه ينبئ الناس عن الله سبحانه وتعالى، فهو نبيء بالهمز بمعنى مُخبِر، ويجوز أن يكون النبي من النَّبْوَة، وهي الارتفاع لرفعة شأنه ﷺ، وعلى هذا يكون بدون همزة (النبي) بالياء. على أنه من النَّبْوَة وهي الارتفاع لرفعة شأنه ومنزلته، وقد قرئ بالهمز وبدونه، وهما قراءتان سبعيتان.

والنبي: هو رجل حرّ أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه فهو رسول، هذا فرق ما بين النبي والرسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] فدل على وجود فرق بين النبي والرسول؛ لأنه عطف النبي على الرسول، والعطف للمغايرة. فالرسول يُوحَى إليه أو يُبعث بشريعة مستقلة، كشريعة التوراة لموسى، =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٤٠٣ (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

. . . .

= وشريعة الإنجيل لعيسى، وشريعة الإسلام لمحمد ﷺ، أما النبي فهو يُبعث بشرع مَن قَبلَه ولا يُبعث بشريعة مستقلة، وقد يُوحَىٰ إليه وحي خاص في قضية معينة لكن هو تابع لمن قبلَه من الرسل، مثل أنبياء بني إسرائيل فإنهم تابعون لموسىٰ عليه السلام، وأُمروا باتباع التوراة، ولم يُنزَل عليهم كُتب، بل كتابهم هو التوراة المنزلة علىٰ رسول الله وكليمه موسىٰ عليه الصلاة والسلام. فهذا فرق ما بين الرسول والنبي.

فبين النبي والرسول عموم وخصوص. يقولون: كلُّ رسولٍ فهو نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولا، بينهما عموم وخصوص.

(المصطفىٰ) يعني المختار والمستخلص، مأخوذ من الصفوة؛ لأن الله اختاره من مَعدِن طيب من أشرف المعادن من بني هاشم، وفي الحديث الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفىٰ كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشاً من كِنانة، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(*) فهو صفوة الصفوة، ومعنىٰ اصطفاء كِنانة وقريش وبني هاشم هو أن الله أعطاهم الهمم العاليّة والصفات الفاضلة بين الناس، كالكرم والشجاعة ونحو ذلك، وليس المراد الاصطفاء بالدين، وأما اصطفاؤه ﷺ فبكل وجه من وجوه الاصطفاء فهو المصطفىٰ المختار، وهو خير البشر، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥] أي: يختار. =

(*) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٦)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٢٨/ ١٩٣ (١٦٩٨٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

. . . .

= فالرسالة اصطفاء من الله ـ عزّ جلّ ـ، وهو الذي يختار لها من يصلح لها، وهو أعلم سبحانه بمن يصلح ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فليست النبوة اكتساباً يكتسبه الإنسان بتعبد وتعلم، وإنما هي اختيار من الله سبحانه وتعالىٰ، ولهذا لما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] قال الله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ يقولون: نحن مثلُه، نحن بشر وهو بشر، فلماذا يكون هو رسولاً ونحن لا نكون رسلاً؟ وهذا من المغالطة والاعتراض علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم أنه سيكون رسولاً ولا نبياً، ولم يكن يعلم ولا تَطلّع إليه عليه الصلاة والسلام ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] حتىٰ اختاره الله عزّ وجلّ.

وقول الناظم: (كنز الهدىٰ) الكنز في الأصل هو الشيء الثمين المدفون في الأرض، فهو كنز، وليس المقصود هنا الذهب والفضة، وإنما هو كنز الهدىٰ، والهدىٰ أعز شيء، أعز من الذهب والفضة، أعز من كل شيء، والهدىٰ: هو الدلالة والإرشاد والبيان؛ لأنه ﷺ يهدي بمعنىٰ يبين ويرشد؛ لأن الهداية علىٰ قسمين:

١ ـ هداية بيان وإرشاد.

٢ ـ وهداية توفيق وإلهام.

فهداية البيان والإرشاد هذه يملكها الرسول ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وأما هداية التوفيق والإلهام والقبول فإنها=

٥- وآلِــــهِ وصحبِــــهِ الأبـــرارِ[1]

. . . .

= بيد الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] نفىٰ عنه الهداية بينما أثبتها له في آية أخرىٰ، فنقول: يوجد فرق بين الهدايتين، الهداية المثبتة للرسول هي هداية الدلالة والإرشاد، وأما الهداية المنفية عن الرسول ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فهي هداية التوفيق والقبول، لأن هداية القلب بيد الله سبحانه وتعالىٰ.

ومعنىٰ: (كنز الهدىٰ) أي: مَعدِن الهُدَىٰ هو عليه الصلاة والسلام، فمصدر الهُدَىٰ كله من رسالته ﷺ، فيها الهدايةُ للبشر، فمن ابتغىٰ الهدىٰ من غير رسالة محمد ﷺ فهو ضالّ. وذلك بعد بعثته ﷺ ليس هناك هداية إلا باتباع رسالته ﷺ، فمن زعم أنه يهتدي ولا يحتاج إلىٰ الرسول ﷺ كما يقوله غلاة الصوفية، فهذا ضلال مبين، وكفر ورِدّة عن دين الإسلام، لا هداية إلا بما جاء به الرسول ﷺ، أما الذي يقول: أنا أستغني عن الرسول، وأنا أعرف الحقّ ولست بحاجة إلىٰ الرسول. هذا كافر بالله عز وجل.

(١) (وآله وصحبه) الآل: أصله الأهل، سُهلت الهمزة وصارت آل، وآل الرسول ﷺ يراد بهم قرابته عليه الصلاة والسلام، ويراد بهم أتباعه، والمراد هنا أتباع الرسول ﷺ سواء كانوا من قرابته أو من غيرهم، يقال لهم: آل الرسول. كما قال تعالىٰ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، آل فرعون: يعني أتباع فرعون، فالآل يُطلق علىٰ الأتباع ويُطلق علىٰ القرابة. ففي باب الزكاة يراد بآل محمد قرابته، الذين لا تحل=

. . . .

= لهم الزكاة، «إنها لا تَحِلّ لمحمد ولا لآل محمد»(*) يعني قرابة محمد ﷺ، أما في باب الدعاء والصلاة فالآل يعم أتباعه ﷺ، ولهذا يقول الشاعر:

آل النبـــي هـــم أتبـــاع ملتـــه
مـن الأعـاجـمِ والسـودانِ والعـربِ

لـــو لـــم يكـــن آلـــه إلا قـــرابتـــه
صلىٰ المصلي علىٰ الطاغي أبي لهب

(صحبه): جمع صاحب، والمراد به الصحابي، والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ بعد النبوة مؤمناً به ومات علىٰ ذلك، ولو لم يره كالأعمىٰ مثلاً، فابن أم مكتوم أعمىٰ، لقيه ولم يره، فليس من شرط لُقياه الرؤيةُ، ولذلك لم يقولوا: من رأىٰ النبيَّ ﷺ؛ لأن المراد اللقاء ولو لم يره كالأعمىٰ.

(مَن لقي النبيَّ ﷺ مؤمناً به) هذا شرط، أما مَن لقيه وهو غير مؤمن به فليس صحابياً؛ لأن المشركين لقوا النبي ﷺ لكن لم يؤمنوا به فليسوا صحابة. (من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات علىٰ ذلك) أي: لو لقي النبي ﷺ مؤمناً به لكنه ارتد ومات على الردة لا يكون صحابياً، فلا بد من هذه الشروط: أن يكون لقي النبي ﷺ، مؤمناً به، ومات علىٰ ذلك.

يخرج بذلك من آمن بالنبي ﷺ في وقته ولم يلقه كالنجاشي ـ رحمه الله ـ فالنجاشي عاصر النبيَّ وآمن به لكنه لم يلقه، فليس صحابياً وإنما هو تابعي، وكذلك يكون مع لقياه للنبي مؤمناً به، فلو لم يؤمن به لم =

(*) أخرجه مسلم (١٠٧٢) (١٦٨)، وأبو داود (٢٩٨٥)، والنسائي ٥/١٠٥-١٠٦ (٢٦٠٨)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٢٩/٥٩ (١٧٥١٨) من حديث عبد المطلب ابن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه.

٥ـ . . . .
معــادنِ التَّقــوَىٰ مــع الأســرارِ[١]

٦ـ وبعــدُ فــاعْلَــمْ أنَّ كُــلَّ العِلْــم
كالفَرْعِ للتوحيدِ فاسمَعْ نَظْمِي[٢]

= يكن صحابياً كالمشركين والكفار، وكذلك لو لقيه مؤمناً به لكن ارتد عن دين الإسلام ومات علىٰ الردة فإنه لا يكون صحابياً بل تبطل الصحبة بالردة كما تبطل الأعمال كلها بالردة ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(الأبرار) الأبرار: جمع بَرّ، والبَرُّ مأخوذ من البِرّ، والبِرُّ كلمة جامعة لكل خصال الخير، الأبرار: يعني المتصفين بالبِرّ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم اتصفوا بالبِرّ، وهو جميع الأعمال الصالحة والخير.

(١) (معادن التقوىٰ) المعادن: جمع مَعدِن، وهو منبع الشيء وأصل الشيء، فالمَعدِن مأخوذ من العَدْن وهو الإقامة، يقال: عَدَنَ بالمكان: إذا أقام به، فالمَعدِن هو الموضع الذي توجد فيه الأشياء النفيسة، منها الذهب والفضة والحديد والرصاص والماء، وغير ذلك، وجعل الله المعادن مقيمة في الأرض، فالصحابة معادن التقوىٰ مع الأسرار، يعني معادن الخير ومنبع الخير، وهم أفضل هذه الأمة، وهم مستقر التقوىٰ، وهم من أشد الناس اتقاء لله وطاعة له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعمق الناس أسراراً، وأبرهم قلوباً.

(٢) ولما فرغ الناظم ـ رحمه الله ـ من المقدمة المشتملة علىٰ حمد الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه، دخل في الموضوع الذي من أجله نظم هذه الأرجوزة، فقال: (وبعد) بعد: هذه كلمة مقطوعة عن الإضافة، وأصلها: بعد ذلك، أي: بعد ما تقدم، فحُذف المضاف إليه وبُني المضاف علىٰ الضم من غير تنوين علىٰ لغة من ينتظر.

. . . .

= (فاعلم) كلمة فاعلم: كلمة يؤتىٰ بها للاهتمام بما سيُلقى، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨] ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الحديد: ١٧] فهذه الكلمة اعلم واعلموا، يؤتىٰ بها للتنبيه علىٰ أهمية ما سيقال.

(أن كل العلم كالفرع للتوحيد) نعم علم التوحيد هو الأصل، وهو الأساس، وما بعده من العلم الشرعي فإنه مبني عليه وفرع عليه، فالتوحيد هو الأصل وغيره من العلوم الشرعية فرع عليه، والأصل ما يبنىٰ عليه غيره، ولذلك جاء الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأنه هو الأصل، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أول ما يذكر حقه تعالىٰ وهو عبادته وحده لا شريك له.

والتوحيد: مأخوذ من وحّد إذا جعل الشيء واحداً، ومعنىٰ وحّدت الله عبدته وحده وتركت عبادة ما سواه. ولهذا لما قال النبي ﷺ للمشركين: «قولوا لا إلـه إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [صٓ: ٥](*). فالتوحيد إيمان بالله وحده، والمراد به هنا إفراد الله ـ جل وعلا ـ بالعبادة، وهو ثلاثة أنواع:

(*) أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح.

. . . .

= النوع الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالىٰ بأفعاله، كخلق السماوات والأرض وتدبير الكون، وسائر أفعاله سبحانه وتعالىٰ، فإفراده بذلك يسمىٰ توحيد الربوبية.

النوع الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراده تعالىٰ بأفعال العباد التي شرعها لهم من أنواع القربات والطاعات، فيجب أن تُصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه خاصة له دون غيره، ولا يُجعل منها شيء لغير الله ـ عز وجل ـ جميع العبادة لله كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ٦٤] ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. هذا توحيد الألوهية إفراد الله تعالىٰ بجميع أنواع العبادة التي شرعها، سواء كانت عبادة قولية أو فعلية أو كانت قلبية؛ لأن العبادات تكون علىٰ اللسان بالذكر والتسبيح والتهليل والدعاء وغير ذلك، وتكون بالقلب كالخوف والخشية والرغبة والرهبة، وتكون بالأفعال كالصلاة والصيام والحج والجهاد وصلة الأرحام وغير ذلك. والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويتقرب به إلىٰ الله من الأعمال والأقوال الظاهرة علىٰ اللسان والجوارح، والباطنة في القلب، كلّها لله سبحانه وتعالىٰ. هذا هو توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات، وذلك بأن يُثْبَت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبتَه له رسولُه ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. =

. . . .

= هذه أنواع التوحيد الثلاثة، كلها يجب إفراد الله وتوحيده بها سبحانه وتعالىٰ، وهذه الأنواع الثلاثة مأخوذة بالاستقراء من الكتاب والسنة، لم يقل الرسول ﷺ: أنواع التوحيد ثلاثة، ولا جاء في القرآن أن أنواع التوحيد ثلاثة، وإنما هي مأخوذة من كلام الله وكلام رسوله بالاستقراء، فكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أفعال الله ـ جل وعلا ـ، تدل علىٰ توحيد الربوبية، وكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن العبادة وإفراد الله ـ جل وعلا ـ بها، وعدم الإشراك به، تدل علىٰ توحيد الألوهية، وكل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته وتنزيهه سبحانه عن ما لا يليق به، تدل علىٰ توحيد الأسماء والصفات. هذا التقسيم مأخوذ من الكتاب والسنة، من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وليس هو أمر اصطلاحي أو أمر مبتدع ـ كما يقوله أهل الضلال ـ وإنما هو أمر مأخوذ من الكتاب والسنة بالاستقراء والتتبع.

فالتوحيد هو الأصل وما عداه من العبادات فإنه فرع عليه، فإذا صحّ الأصل صحّ الفرع، أما إذا فسد الأصل فلا فائدة من الفرع فإنه يفسد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فالشِّرك فساد للتوحيد، ويُحبط العملَ، ويفسد كل الأعمال. أعمال المشرك لا تُقبل ولا فائدة فيها ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[النور: ٣٩] =

. . . .

= دل علىٰ أن لهم أعمالاً كثيرة لكن لما كانوا يشركون بالله ولا يخلصون العبادة لله، صارت أعمالهم هباءً منثوراً، وسراباً ورماداً لا فائدة منه.

هذا دليل علىٰ أن التوحيد هو الأصل وأن ما عداه من أمور الدين فرع عليه، ولهذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدؤون في دعوة الأمم بالدعوة إلىٰ التوحيد ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، والنبي ﷺ أول ما بدأ بالتوحيد والنهي عن عبادة غير الله - عز وجل - ثم بعد ذلك تنزلت عليه الشرائع والأوامر والنواهي، ولما بعث معاذاً إلىٰ اليمن قال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد علىٰ فقرائهم»(*) فلا يطالبهم بالصلاة والزكاة إلا بعد أن يعترفوا بتوحيد الله وبرسالة محمد ﷺ، هذا هو الأصل، فصدق الناظم في قوله: إن التوحيد هو الأصل، وما عداه من العلوم فهو فرع عليه، والتوحيد شرط في صحة كل عبادة وطاعة، وشرط لقبول الأعمال.

قوله: (فاسمع نظمي) والنظم: معروف وهو نوع من الكلام مقفى موزون؛ لأن الكلام ينقسم إلىٰ قسمين: نثر، ونظم، فالنظم: هو الكلام =

(*) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩)، وأبو داود (١٥٨٤)، وابن ماجه (١٧٨٣)، والترمذي (٦٢٥) و(٢٠١٤)، والنسائي ٥/ ٢-٤ (٢٤٣٤)، و٥/ ٥٥ (٢٥٢١)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٣/ ٤٩٨ (٢٠٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٧ـ لأنَّــه العِلــمُ الــذي لا يَنْبَغِــي
لعــاقــلٍ لفَهمِــه لــم يَبتَــغِ(١)

٨ـ فيعلَــمُ الــواجــبَ والمُحــالا
كجــائــزٍ فــي حَقِّــه تعــالَــىٰ(٢)

= الموزون المقفىٰ، والنثر: هو الكلام المرسل الذي ليس له قافية وليس له وزن، وكان العلماء ـ رحمهم الله ـ ينظمون المتون، والمتون: هي المختصرات في العلوم، كانوا ينظمونها من أجل أن يسهل حفظها ويثبت في الذهن؛ لأن النظم أخف من النثر، وأعلق بالذهن، فله ميزة علىٰ النثر وقوله: (فاسمع نظمي) يعني اهتم به واحفظه وافهم معانيه.

(١) لا ينبغي لعاقل أن لا يطلب فهم التوحيد، بل التوحيد هو أول ما يتعلمه الإنسان من أمور دينه، هذا هو الأصل وهو الأساس، فعلم العقيدة يجب أن يكون في مقدمة العلوم، وفي مقدمة اهتمام طلبة العلم والمعلمين، يبدؤون به ويقدمونه علىٰ غيره، عكس ما يقوله أهل الضلال وأهل الجهل اليوم، الذين يُزَهِّدون في التوحيد ويقولون: كيف تعلمون المسلمين التوحيد؟ هم مسلمون؟ نقول: لا يكونوا مسلمين إلا إذا قاموا بالتوحيد، ولا يقومون بالتوحيد إلا إذا عرفوه وفهموه، أما إذا جهلوه فإنهم لا يحققونه ولا يقومون به.

(٢) هذا هو علم التوحيد، أن يعرف الواجب في حق الله تعالىٰ، من إثبات صفات الكمال له ـ جل وعلا ـ ونعوت الجلال، وإفراده بالعبادة. هذا هو الواجب له سبحانه وتعالىٰ، ومعرفة المستحيل في حقه سبحانه وتعالىٰ، كوجود الشريك لله ـ عز وجل ـ والشبيه والمثيل، هذا مستحيل =

٩- وصــارَ مِــن عــادةِ أهــلِ العِلْــمِ
أن يَعتنُــوا فــي سَبْــرِ ذا بــالنَّظْــمِ(١)

= أن يكون لله شبيه أو مثيل ـ جل وعلا ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] أي: الشبهاء والنظراء، هذا محال أن يكون لله شبيه ومحال أن يكون له شريك في خلقه، وشريك في عبادته، وشريك في أمره ونهيه سبحانه وتعالىٰ. والجائز ما أمكن وجوده وعدمه، وذلك كأفعال الله ـ جل وعلا ـ فإن الله يفعل بمشيئته وإرادته، يخلق ويرزق، ويرسل الرسل، ويُنزل الكتب، ويُنزِل الغيث، ويُعزّ ويُذلّ، كل هذه من أفعاله، وهذا من الأمور الجائزة التي قد تقع وقد لا تقع، بحسب مشيئته سبحانه وحكمته وإرادته سبحانه وتعالىٰ. إذاً الأمور في حق الله علىٰ ثلاثة أقسام:

أولاً: الواجب له سبحانه من إثبات كماله سبحانه ونعوت جلاله وعبادته وحده لا شريك له. هذا هو الواجب في حقه.

ثانياً: والممتنع في حقه وهو الشرك به وضرب الأمثال والشبهاء لله عزّ وجلّ.

ثالثاً: الجائز في حق الله وهو أفعال الله ـ جل وعلا ـ التي يفعلها بمشيئته وإرادته، يفعل ما يشاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. سبحانه وتعالىٰ.

(١) لما كان من عادة أهل العلم أنهم ينظمون المتون، ولا سيما متون التوحيد فإن الناظم ـ رحمه الله ـ أراد أن يسهم في هذا المجال، ويشارك =

١٠- لأنَّــه يَسْهُـــلُ للحفـــظِ كَمَـــا
يَروقُ للسَّمْعِ ويَشفي مِن ظَمَا[١]

= أهل العلم فنظم هذه العقيدة ليسهل حفظها وفهمها، وهذا من وسائل التعليم، ومن التسهيل علىٰ طلبة العلم.

(أن يعتنوا في سبر ذا بالنظم) من عادتهم أنهم ينظمون هذه المختصرات، مختصرات العقيدة، ومختصرات الفقه، ومختصرات مصطلح الحديث، ومختصرات علم النحو، وفي كل علم وفي كلّ فن تجدون نظماً لمختصراته، وهذا من تسهيل طلب العلم علىٰ الناس، ولهم في ذلك الأجر العظيم؛ لأنهم بذلوا استطاعتهم في تسهيل العلم للناس وقربوه لهم تقريباً.

ولقد اهتم العلماء في تتبع مسائل علم التوحيد وصاغوها بنظم مقفى موزون.

(١) لأن النظم يسهل للحفظ، هذا بلا شك أن حفظ النظم أسهل من حفظ النثر، وأيضاً يعلق بالذاكرة ويبقىٰ، أنت لو حفظت النثرِ سرعان ما تنساه، لكنْ إذا حفظت النظم فإنه يبقىٰ في ذاكرتك.

(لأنه يسهل للحفظ كما) هذه فائدة أنه يسهل حفظه، ويطبع في الذاكرة.

(يروق للسمع ويشفي من ظما) الأمر الثاني من مسوغات النظم أنه يروق للسمع، فالإنسان يستمع إلىٰ النظم أكثر مما يستمع للنثر لخفته علىٰ السمع، بل ويتلذذ الإنسان بسماعه ويطرب له، ويشفي من ظما، أي: يروىٰ من شدة العطش، والمقصود أنه يروي العطشان إلىٰ العلم، وهذا عطش معنوي، العطشان إلىٰ العلم النظم يسقيه من ظمئه ويقرب له العلم ويسهله عليه والمراد هنا الري من معرفة أصول علم التوحيد =

١١ـ فمِنْ هنا نَظمْتُ لي عَقيدَةْ
أُرجوزَةً وجيزةً مُفيدَةْ[١]

= ومهمات مسائله. وكل شيء يسهل العلم ويعين على تناوله فهو مشروع، والنبي ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[*]. ومن الطرق التي تُسلك للعلم نظمه للناس وحفظه والعناية به.

(١) (فمن هنا) يعني لما كان النظم بهذه الأهمية، ولما كان العلماء ينظمون متون العلم، نظمت هذه العقيدة، والنظم: هو ضم الكلام بعضه إلى بعض مع تنسيقه، شبهه بالخيط الذي تُنظم فيه حبات اللؤلؤ، فالمنظومة تُشبه نظم اللؤلؤ الذي يُكوِّن العِقْدَ ونحوه، فالنظم هو إقامة الأشياء على نظام واحد، أي: نهج غير مختلف.

والعقيدة: ما يعتقده القلب ويجزم به، بخلاف الظن والشك، هذا ليس عقيدة إنما العقيدة هي الأشياء التي يجزم بها القلب ويقتنع بها، فإن كان هذا الاعتقاد موافقاً للحق فالعقيدة صحيحة، وإن كان هذا الاعتقاد مخالفاً للحق فهذه العقيدة باطلة. كل الناس يعتقدون لكن منهم من يعتقد الحق ومنهم من يعتقد الباطل.

وعقيدة أهل السنة والجماعة ـ ولله الحمد ـ من النوع الأول عقيدة صحيحة؛ لأنها موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، أما ما عداها من العقائد فإنها عقائد باطلة؛ لأنها مخالفة للحق. =

(*) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٢٥)، والترمذي (٢٦٤٦) و(٢٩٤٥)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١٢/ ٣٩٣ (٧٤٢٧) و١٤/ ٦٦ (٨٣١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٢ـ نَظمْتُهــا فــي سِلْكِهــا مُقــدِّمَــةْ
وسِــتُّ أبــوابٍ كَــذاكَ خــاتِمَــةْ[(١)]

= (أرجوزة) الأرجوزة مأخوذة من الرَّجَز، وهو بحر من بحور الشعر الستة عشر. أولها بحر الطويل، وآخرها المتدارك، وهي بحور لا يخرج النظم عنها، وهذه القصيدة موافقة لبحر الرجز.

(وجيزة) يعني مختصرة، وهذه ميزة النظم أنه يكون مختصراً، والاختصار هو جمع المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل، والنبي ﷺ أوتي جوامع الكلم[(*)]، فكان يقول عليه الصلاة والسلام الكلمات المعدودة التي تشتمل علىٰ معانٍ عظيمة كثيرة.

(مفيدة) لمن قرأها؛ لأنه جمع فيها مسائل العقيدة، وسهلها عليه، وقربها له، وجعلها دانية في متناول يده، فهي مفيدة بحق لمن قرأها، وتأمل معانيها وليس هذا من مدح الإنسان لعمله وإنما هو الواقع، لأنك إذا قرأتها وجدتها كما قال رحمه الله.

(١) ذكر ما تشتمل عليه هذه القصيدة في بيت واحد: مقدمة وستة أبواب وخاتمة، هذه محتوياتها. (مقدِّمة) بكسر الدال ويجوز فتحها مقدَّمة وهي ما يكون بين يدي الشيء، المقدَّمة (وستة أبواب) جمع باب وهو المدخل، ويراد به هنا المدخل إلىٰ مسائل العلم. وجعلوا العلم علىٰ أبواب وفصول ومسائل لأجل تسهيله علىٰ طالب العلم؛ لأنه لو كان مرسلاً من أوله إلىٰ آخره ليس فيه أبواب ولا فيه فصول فإن هذا يشقّ =

(*) رواه مسلم (٥٢٣)، والترمذي (١٥٥٣م)، و النسائي ٦/ ٣-٤ (٣٠٨٧) و(٣٠٨٩)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١٥/ ١٩٤-١٩٥ (٩٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٣- وَسَمْتُهـا بـالـدُّرَّةِ المُضِيَّـةْ[١]
في عَقْدِ أهلِ الفِرقَةِ المَرْضِيَّةْ[٢]

= علىٰ القارىء، أما إذا فُصل وجُعل أبواباً وجُعل فصولاً وجُعل مسائل فهذا يُسهل علىٰ طالب العلم.

مثل المسافر إذا كان يسير في الطريق وكان الطريق فيه علامات، فإن هذا يُسهل عليك، أما إذا لم يكن عليه شيء ولا تدري ما الذي قطعته وما الباقي فإنك تسأم، أما إذا جُعل في الطريق محطات وجُعل عليه علامات، وجُعل عليه أرقام كما هي الحال في هذه الأيام، فإن هذا مما يُسهل علىٰ المسافر. كذلك العلم إذا جُعل أبواباً وفصولاً ومسائل وتفريعات فإن هذا يسهله علىٰ طالب العلم.

(كذلك خاتمة) الخاتمة: هي ما يكون في نهاية الكلام من بيان النتائج التي توصل إليها الباحث، فيها خلاصة ما تضمنه مؤلفه من فوائد أو من مسائل وأحكام.

(١) (وسمتها) من السمة وهي العلامة، يعني سميتها، فالوسم هنا هو الاسم، (بالدرة) وهي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة، شبهها باللؤلؤة التي هي من الجواهر النفيسة، وهي كذلك نفيسة. (المضية) من الإضاءة وهي النور الذي يضيء للناس الطريق، وهذه الأرجوزة فيها نور لأنها مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. تقول: المضية بالتخفيف، وتقول: المضيئة بالهمز.

(٢) (في عقد) أي: في عقيدة، والعقد معناه العقيدة، وقلنا: إن العقيدة ما يعتقده القلب ويجزم به، سواء كان حقاً أو باطلاً، (الفرقة) أي: الطائفة، (المرضية) في اعتقادها، لأنها أخذته من الكتاب والسنة، والمقصود أهل =

. . . .

= السنة والجماعة، بخلاف الطوائف غير المرضية وهم أهل الضلال، قال النبي ﷺ: «وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين مِلَّة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»(*) هذه هي الطائفة المرضية التي تتبع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما الطوائف الأخرىٰ فهي مبغضة وممقوتة وضالة.

وتسمىٰ الفرقة الناجية، يعني من النار لقوله ﷺ: «كلهم في النار إلا ملة واحدة» فهي الفرقة الناجية من النار، وهي الطائفة المنصورة، كما قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله»(**) فهي الطائفة المرضية، وهي الطائفة المنصورة، وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، أهل السنة لأنهم متمسكون بسنة الرسول ﷺ، والجماعة لأنهم لم يتفرقوا كما تفرقت الفرق الأخرىٰ، فتجد أهل السنة ـ ولله الحمد ـ غير متفرقين بل هم أمة واحدة من أولهم إلىٰ آخرهم؛ لأن من ساروا علىٰ نهج السلف فإنه لا يدخلهم الافتراق، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فلا يعصم من التفرق إلا التمسك بحبل =

(*) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن غريب، مفسَّر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وأحاديث افتراق الأمة كثيرة انظر «مسند الإمام أحمد» ١٤/ ١٢٤ (٨٣٩٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و٢٨/ ١٣٤ (١٦٩٣٧) حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٨٨ (٢٢٤٠٣)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

. . . .

= الله وهو القرآن والسنة، فمن تمسك بالقرآن والسنة سلم من الافتراق، ومن خالف الكتاب والسنة فإنه يقع في الافتراق ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فمن صفات أهل السنة والجماعة أنهم لم يتفرقوا ولم يختلفوا؛ لأن دليلهم كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وإذا حصل بينهم اختلاف رجعوا إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ فانحسم النزاع ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فإذا حصل بينهم اختلاف فإنهم يُحَكِّمون الكتاب والسنة ويتبين الصواب فيتبعونه ويتركون الاختلاف، هذه صفة أهل السنة والجماعة أنهم إخوان، أنهم متآلفون متحابون، أنهم متفقون لا يحصل بينهم اختلاف، وإن حصل بينهم اختلاف رجعوا إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ فذهب النزاع الذي بينهم، والمخطئ يرجع إلىٰ الصواب، لأنه يريد الحق ولا يريد الهوىٰ، هذه صفتهم.

أما أهل الأهواء فإنهم لا يريدون الكتاب والسنة وإنما كلٌّ ينتصر لمذهبه وحزبه وطائفته وإمامه ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، هذا هو المشكل، أنه يفرح بما هو عليه، وقد يكون ما هو عليه ضلالاً وخطأً فيفرح به، أما لو كان لا يزكي نفسه ولا يزكي مذهبه ولا يزكي إمامه ولا يزكي طائفته، بل يقول: يحتمل أنهم علىٰ صواب، ويحتمل أنهم علىٰ خطأ فيراجع الصواب، هذا يُهدَىٰ إلىٰ الحق، أما إذا كان فرحاً بما هو عليه ولا يبالي فهذا هو الضلال ـ والعياذ بالله ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

١٤ـ علَىٰ اعتقـادِ ذِي السَّـدادِ الحَنبلِـي
إمامِ أهلِ الحقِّ ذِي القَدْرِ العَلِي[(١)]

---

(١) هذه العقيدة علىٰ اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ إمام أهل السنة، ولماذا خصّ الإمام أحمد مع أن هذه العقيدة هي عقيدة الصحابة وعقيدة التابعين وعقيدة الأئمة الأربعة؟ خصّ الإمام أحمد بذلك لأنه هو الذي دافع عنها وثبت عليها يوم المحنة، لما جاء الجهمية والمعتزلة وتمكنوا من المأمون العباسي[(*)] واستغلوه، وأراد أن يُجبر الناس علىٰ القول بخلق القرآن، والقرآن هو أساس العقيدة وهو أساس الدين كله، وهم يريدون أن يفلتوا أيدي الناس من القرآن، ويقولون: القرآن ليس كلام الله، القرآن مخلوق، خلقه الله كسائر الخلق، فأقنعوا المأمون بن هارون الرشيد، الخليفة في وقته، فأراد أن يجبر الناس بسلطانه، وعذب الناس وسجنهم، وقتل من قتل منهم، ولكن الإمام أحمد ثبت وصبر علىٰ السجن، وصبر علىٰ الضرب، ولم يساوم علىٰ دينه حتىٰ نصر الله به هذه الملة في وقت المحنة.

ولهذا يقولون: نصر الله هذا الدين برجلين: أبي بكر الصديق يوم الردة، والإمام أحمد بن حنبل يوم الشدة. ويقال له: الصديق الثاني فهو الذي ثبت ـ رحمه الله ـ وصبر علىٰ الضرب، وصبر علىٰ السجن في =

(*) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس (١٧٠-٢١٨هـ)، سابع الخلفاء من بني العباس، وفي عهده ترجمت كثير من كتب علم الكلام والفلسفة وأطلقت حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلسفة، ودعا إلىٰ القول بخلق القرآن وبالغ، وحمل الناس علىٰ هذا الرأي الخطأ بالامتحان والقوة والإكراه. انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٠/ ٢٧٢-٢٩٠.

. . . .

= أيام المأمون وأيام المعتصم(*) وأيام الواثق(**)، صبر علىٰ ذلك وأبىٰ أن يقول بخلق القرآن، وأبىٰ أن يتأول؛ لأن بعض الأئمة تأولوا من باب الإكراه ليسلموا من العذاب، لكن هو أبىٰ، وكان يقول: هاتوا لي شيئاً من كتاب الله أو من سنة رسول الله، وكلما قالوا له، قال: هاتوا لي شيئاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله، حتىٰ نصر الله به الدين، وفضح به أهل البدع أهل التجهم والاعتزال، وجاء وقت المتوكل بن هارون الرشيد(***) فأفرج عن الإمام أحمد، ونصر أهل السنة، وزالت الشدة، =

(*) هو محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو إسحاق (١٧٩-٢٢٧هـ) ثامن الخلفاء من بني العباس، امتحن الناس بخلق القرآن، وفي عهده كانت محنة الإمام أحمد، وضرب بالسياط، ولم يجب. انظر «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٢٩٠-٣٠٦.

(**) هو هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو جعفر (٢٠٠-٢٣٢هـ) تاسع الخلفاء من بني العباس، استمر في امتحان الناس في خلق القرآن، وسجن جماعة، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي سنة (٢٣١هـ)، والذي دعاه إلىٰ التشدد هو أحمد بن أبي دواد القاضي المعتزلي، وحدثت مناظرة في حضوره بين أحد الشيوخ وأحمد بن أبي دواد، انتصر فيها الشيخ، وبعدها كان يقال إن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن. انظر «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٣٠٦-٣١٤.

(***) جعفر (المتوكل علىٰ الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل (٢٠٦-٢٤٧هـ) عاشر الخلفاء من بني العباس وهو الذي أمر بترك الجدل في مسألة خلق القرآن، ومحا البدع، وأظهر السنة، ورفع من منزلة المحدثين. انظر «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٠-٤١. وانظر ترجمته الإمام أحمد بن حنبل وقصة محنته في «سير أعلام النبلاء» ١١/ ١٧٧-٣٥٨.

١٥- حَبْـرِ المَـلا فَـردِ العـلا الـرَّبـانِـي
رَبِّ الحِجا ماحي الدُّجَىٰ الشيبانِي[١]

= لكن بعد ماذا؟ بعد الثبات والصبر والاحتساب، لما ثبت الإمام أحمد علىٰ هذه العقيدة ولم يساوم عليها، صار له الفضل في حمايتها، وصارت تُنسب إليه؛ لأنه هو الذي نصرها، وهو الذي ثبت عليها، وهو الذي دافع عنها، وهو الذي أخزىٰ الله به الجهمية والمعتزلة. فلذلك صارت تُنسب إليه وإلا فهي في الواقع عقيدة السلف الصالح.

(الحنبلي) نسبة إلىٰ حنبل جد الإمام أحمد، فهو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، فحنبل جده، ولذلك يُنسب إليه، ويقال: الشيباني نسبة إلىٰ شيبان أحد أجداده، ويقال أحمد بن حنبل الشيباني، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ في السنة الحادية والأربعين بعد المائتين رحمه الله.

(ذي السداد) يعني صاحب الصواب والاستقامة في العقيدة والقصد في الدين والسبيل.

(إمام أهل الحق) أي: إمام أهل السنة، كلٌّ يُلقبه بذلك، وكان المبتدع يُعرف بعداوته للإمام أحمد، والسُّنِّي يُعرف بمحبته للإمام أحمد بن حنبل، فإذا رأيت الرجل يحب الإمام أحمد بن حنبل فاعلم أنه سني، وإذا رأيت الرجل يكره الإمام أحمد ويتكلم فيه فاعلم أنه مبتدع.

(١) (حبر) الحَبر والحِبر هو العالم.

(الملا) الملأ: المراد بهم أشراف الناس ومقدَّموهم ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٦٠] فالملأ: هم أصحاب المال وأصحاب الثروة وأصحاب الجاه والمراد هنا الخلق.
=

١٦ـ فــإنَّــه إمــامُ أهــلِ الأثَــرِ
فمَـنْ نَحـا مَنحـاهُ فهـو الأثَـرِي[١]

= (فرد العلا) يعني الوحيد في صفات المعاني.

(الرباني) هو العالم العامل المُعلم، يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] فالرباني: هو العالم الذي يعمل بعلمه ويربي الناس عليه ويعلمهم إياه، نسبة إلىٰ التربية أو نسبة إلىٰ الرب سبحانه وتعالىٰ.

(رب الحِجا) رب: بمعنىٰ صاحب، الحِجا: يعني العقل الراجح، يسمىٰ حِجا ويسمىٰ عقلاً ويسمىٰ حِجراً ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] أي: لذي عقل؛ لأنه يحجر صاحبه عن ما لا يليق، ويعقله عن ما لا يليق.

(ماحي الدجىٰ) أي: الظلام، والمراد به هنا ظلام البدعة، الذي محا البدعة، وهي القول بخلق القرآن، فبثباتـه وتمسكه بالكتـاب والسنة كان يمحو ظلمة البدع ويدعو إلىٰ نبذها، والعودة إلىٰ الكتاب والسنة.

(الشيباني) نسبة إلىٰ جده شيبان.

(١) (فإنه إمام أهل الأثر) أي: إمام أهل الحديث، وهو المتضلع في علم الحديث ورجاله وتاريخه، وأُخذ الحديث عنه، ومن تلاميذه: الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أبو داود والترمذي، كل هؤلاء من تلاميذ الإمام أحمد. =

١٧ـ سقَىٰ ضَريحاً حَلَّه صَوْبُ الرِّضَا
والعفوُ والغفرانُ ما نَجمٌ أضَا[(١)]

١٨ـ وحلَّـــهُ وســـائـــرَ الأئمَّـــةْ
منـازلَ الـرضـوانِ أعلـىٰ الجنَّـةْ[(٢)]

= (إمام) يعني قدوة المحدثين، الذين يأخذون عقيدتهم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم.

(فمن نحا منحاه) يعني ذهب مذهبه واعتقد عقيدته (فهو الأثري) أي: صاحب السنة، والأثر لغة: البقية من الشيء، واصطلاحاً: هو المروي عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي أو عن تابعي ومن بعده من السلف، ومن يشتغل بعلم السلف يقال له: الأثري.

(١) هذا دعاء له، لما ذكر مناقبه دعا له.

(سقىٰ ضريحاً) يعني قبره (صوب الرضا) من الله ـ عز وجل ـ (صوب) يعني صيِّباً وهو المطر، يعني أمطره الله ـ جل وعلا ـ وسقاه بالرضا والرضوان من الله في قبره.

(والعفو) عنه (والغفران) له (ما نجم أضا) يعني نوَّر الظلمة؛ لأنه هو الذي نوَّر المسلمين بعلمه بالله ـ جل وعلا ـ، ندعوه تعالىٰ أن يرضىٰ عنه ويعفو عنه ويغفر له دائماً وأبداً ما بقيت النجوم في السماء؛ لأنه هو من النجوم التي يُهتَدىٰ بها.

(٢) (وحله) أي: أحلَّه، يعني أنزله (وسائر الأئمة) أي: بقية الأئمة من أهل السنة والجماعة، ومنهم الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة. لما دعا له خاصة دعا لأئمة المسلمين عامة. =

. . . .

= (منازل الرضوان أعلىٰ الجنة) أي: الفردوس الأعلىٰ، وهو أعلىٰ منازل الرضوان في جنة الخلد، كما قال ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلىٰ الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمٰن»(*).

وهذا من الدعاء للعلماء، وهو سنة أن ندعوا لعلمائنا، وأن نترحم عليهم، وأن نثني عليهم؛ لأنهم هم الذين دلُّونا علىٰ الطريق الصحيح، وهم الذين علمونا هذا العلم، وجمعوه لنا، وتعبوا فيه، وحرسوه من الزيادة والنقصان، فلهم الفضل علىٰ من جاء بعدهم. بخلاف الذين يتنقصون العلماء، ويقللون من شأنهم، ويرفعون أنفسهم عليهم، ويزعمون أنهم ينافسونهم، أو أنهم أحسن منهم، فهذا من الجهل بحق العلماء ومن الغرور، لأن الإنسان مهما بلغ من العلم فإنه لا يزهد في العلماء، ولا يحتقر العلماء الذين سبقوه أو علموه، لا يحتقرهم بل يثني عليهم ويدعو لهم، ولو قُدِّر أنه صدر من بعضهم خطأ من غير قصد فإن هذا لا يُنقِص من قَدْرهم، ولا يُسوّغ الوقيعة فيهم، وعلينا أن لا نتلمس عثراتهم، بل نسترهم وندعو لهم، ولا نعتقد أنهم معصومون، وأنهم لا يخطئون أبداً، العصمة لا تكون إلا للرسل عليهم الصلاة والسلام، أما هم فيخطئون لكن كفاهم فضلاً أن صوابهم أكثر من خطئهم. يقول بشار بن بُرد:

ومن ذا الذي ترضىٰ سجاياه كلها　　　كفىٰ المرء نبلاً أن تُعد معائبه

فهم وإن قُدِّر أن لهم بعض الأخطاء الاجتهادية التي ما قصدوها فهم مأجورون علىٰ الاجتهاد، إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر =

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٤/١٤٣ (٨٤١٩)، والبخاري (٢٧٩٠)، وابن حبان (٤٦١١) و(٧٣٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

= واحد، فنحن لا نتلمس عثراتهم، ولا نقلل من شأنهم، ولا نرفع أنفسنا فوقهم، لسنا بشيء بالنسبة إليهم، يخجل الإنسان إذا قرأ تاريخهم وقرأ تراجمهم وعلمهم، يخجل الإنسان أن يدعي أنه طالب علم فضلاً عن أن يدعي أنه عالم.

فالإنسان يخجل ولا يسيء الأدب مع العلماء، يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، هذه صفة المؤمنين مع سلفهم ومع من سبقهم، يترحمون عليهم، ويدعون لهم، ويستغفرون لهم، ويحبونهم ولا يبغضون أحداً منهم. ولسنا بالنسبة لهم شيئاً يذكر كما قال الشاعر:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

❊ ❊ ❊

مقدّمة

في ترجيحِ مذهبِ السَّلَفِ علىٰ غيره من سائر المذاهب[١]

---

(١) هذه المقدمة عقدها الناظم ـ رحمه الله ـ لبيان فضل مذهب السلف علىٰ غيره من سائر المذاهب، والمراد بالسلف: الصحابة والتابعون والقرون المفضلة ومن سار علىٰ نهجهم، فهم السلف، يعني هم المتقدمون، يقال: سلف الشيء إذا تقدَّم. والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] هؤلاء هم السلف وهم المهاجرون والأنصار ومن تبعهم وجاء بعدهم واقتفىٰ أثرهم، وأما غيرهم فيقال لهم: الخلف وهم من جاء بعد القرون المفضلة ونهج غير منهج السلف، وهم طوائف كثيرة متنوعة، كما أخبر النبي ﷺ بأن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، هي التي في الجنة واثنتان وسبعون في النار.

فسأل الصحابة رسول الله ﷺ: من هي هذه الفرقة الناجية من النار؟ فقال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(*) هؤلاء هم السلف وأتباعهم. وكما في الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله تعالىٰ وهم علىٰ ذلك»(**) =

(*) انظر ما سلف ص٤٢.

(**) انظر ما تقدم ص٤٢.

. . . .

= هذه هي الفرقة الناجية وهي الطائفة المنصورة، وهم السلف وأتباعهم. وأما من عداهم ففرق كثيرة لا حصر لها، لكن هذه أصولها، مثلاً القدرية من جبرية ونفاة، والجهمية وما تفرع عنهم، والشيعة وما تفرع عنهم، والمرجئة وما تفرع عنهم، والخوارج وما تفرع عنهم، كل هذه طوائف ضالة منحرفة، وتتشعب وتنقسم إلىٰ أقسام كثيرة؛ لأن من ترك الحق يُبتلىٰ بالباطل وبالاختلاف لأنهم لم يبنوا علىٰ أصل حتىٰ يجتمعوا عليه، بل كلٌّ يجعل له أصلاً يؤصِّله لا يوافقه الآخر عليه فيحصل بينهم الخلاف.

أما أهل السنة فأصلهم واحد وهو الكتاب والسنة، ولذلك لم يختلفوا ـ والحمد لله ـ في أمور العقيدة، عقيدتهم واحدة لأنهم يبنون علىٰ أصل ثابت لم يخترعوه هم، وإنما الذي وضعه هو الله سبحانه وتعالىٰ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، من ترك هذا الصراط فإنه يتبع سبلاً متفرقة لا حصر لها ولا نهاية لها، وإذا أردت معرفة هذه الانقسامات فطالع في كتب الفرق التي أُلفت فيها، مثل كتاب «المقالات» للأشعري(*)، ذكر فيه الفرق وانقساماتها، ومثل «الفرق بين الفرق» =

(*) هو العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، وهو من نسل الصحابي الجليل أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه (٢٦٠-٣٢٤هـ). برع في معرفة الاعتزال، ثم تاب وتبرأ منه، وأخذ يرد علىٰ المعتزلة، وتمسك بمذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرّ كما جاءت ولا تؤول. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٨٥-٩٠، «الأعلام» للزركلي ٤/ ٢٦٣.

. . . .

= للبغدادي(*)، ومثل «الملل والنحل» للشهرستاني(**)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم(***)، هذه الكتب تبين لك فرق أهل الضلال وكثرتها، وأن بعضهم يُكفر بعضاً، ويُضلل بعضهم بعضاً، والسبب أنهم ليس لهم أصل ثابت يبنون عليه، وإنما كل طائفة تُأصّل لها أصلاً لا توافقها الطائفة الأخرىٰ عليه، أما أهل السنة والجماعة فالله هو الذي وضع لهم المنهج الذي يسيرون عليه، فقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] لم يحصُل بينهم ـ ولله الحمد ـ اختلاف في =

(*) هو عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي الإسفراييني من أئمة الأصول، وأحد أعلام الشافعية، كان يدرس في سبعة عشر فناً، له العديد من المؤلفات منها: «الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم» وهو مطبوع، و«أصول الدين» مطبوع. توفي سنة ٤٢٩هـ بإسفرايين. «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٧٢، «الأعلام» ٤/ ٤٨.

(**) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرَستاني، أبو الفتح (٤٧٩-٥٤٨هـ) كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، صاحب التصانيف، منها «الملل والنحل» و«نهاية الإقدام في علم الكلام». وكان متهماً بالميل إلىٰ أهل القلاع ـ يعني الإسماعيلية ـ والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم. انظر «التحبير» للسمعاني ٢/ ١٦٠، ١٦١، «سير أعلام النبلاء» ٢٠/ ٢٨٦، «لسان الميزان» لابن حجر ٧/ ٣١١، «الأعلام» ٦/ ٢١٥.

(***) هو الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد (٣٨٤-٤٥٦هـ). فقيه حافظ، تفقه أولاً للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلىٰ القول بنفي القياس كله جليّة وخفيّة، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، وصنف كتباً كثيرة أشهرها «المحلىٰ» و«الفصل في الملل والأهواء والنحل». «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٨٤-٢١٢، «الأعلام» ٤/ ٢٥٤.

١٩ـ اعْلَـمْ هُـدِيـتَ أَنَّـه جـاءَ الخَبَـرْ
عن النبيِّ المُقتفَىٰ خيرِ البَشَرْ(١)

= أمر العقيدة وأصول الإيمان، لم يحصُل بينهم نزاع واختلاف، ولم يضلل بعضهم بعضاً، ولم يُكفِّر بعضهم بعضاً كما حصل عند الفرق الأخرىٰ.
وهم يبنون عقيدتهم علىٰ الكتاب والسنة لا يحيدون عن ذلك، فلذلك سلموا مما وقعت فيه الفرق الضالة.

(١) (اعلم هُديت) اعلم: هذه كلمة للاهتمام، أي: تعلَّم وتنبَّه، هُديت: هذا دعاء، يدعو لك بالهداية، والهداية هنا معناها التوفيق من الله، توفيق القلب لمعرفة الحق والعمل به، فهو يسأل الله لك الهداية أن يهديك الله إلىٰ الحق وأن يثبتك عليه.

(أنه جاء الخبر) يعني الحديث عن الرسول ﷺ، فما ورد عن النبي ﷺ يسمىٰ خبراً ويسمىٰ أثراً ويسمىٰ حديثاً، والمعنىٰ واحد.

(عن النبي) عرفنا معنىٰ النبي فيما سبق، (المقتفىٰ) من الاقتفاء وهو الاتباع، أي: المُتَّبع الذي يجب علىٰ الناس اقتفاؤه والاقتداء به ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يعني قدوة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالمقتفىٰ: يعني المتبوع والمهتدىٰ به والمُتّبع.

(خير البشر) لا شك أنه ﷺ هو خير البشر علىٰ الإطلاق، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخرَ»(*) ومما يدل علىٰ أنه خير البشر أن الله =

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٧/ ١٠ (١٠٩٨٧)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، والترمذي (٣١٤٨) و(٣٦١٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث صحيح. انظر «المسند» ففيه تمام تخريجه وأحاديث الباب.

٢٠ـ بــأنَّ ذِي الأُمَّــةِ ســوفَ تَفتَــرِقْ
بضعاً وسبعينَ اعتقاداً والمُحِقّْ(١)

= اختاره لرسالته العامة لجميع الخلق، للثقلين الجن والإنس بشيراً ونذيراً، بينما كان من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلٌّ يُبعث إلىٰ قومه خاصّة، أما الرسول ﷺ فإنه بُعث إلىٰ الناس كافة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. كما أن القرآن الذي جاء به الرسول ﷺ عامّ للعالم ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

(١) جاء الخبر عن الرسول ﷺ الذي رواه أهل السنن أن هذه الأمة سوف تفترق، قال ﷺ: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة»(*) وفي رواية «وإن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»(**) فلا بد أن يقع ما أخبر به ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، وهذا خبر معناه التحذير من الاغترار بهذه الفرق أو الالتفاف معها، والحث علىٰ لزوم ما كان عليه الرسول ﷺ، كما قال ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ =

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٤/ ١٢٤ (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩١)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن حبان (٦٢٤٧) واللفظ له، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

(**) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٨/ ١٣٤ (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

٢١ـ ما كان في نهجِ النبيِّ المُصطفَىٰ
وصحبِـه مـن غيـرِ زَيـغٍ وجَفَـا[١]

= اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء..»(*) الحديث. فهو ﷺ أخبر بذلك من باب التحذير والحث علىٰ التمسك بالحق، وعدم الالتفات إلىٰ من خالف من المخالفين.

(تفترق بضعاً وسبعين) البضع: هو ما بين الثلاثة إلىٰ التسعة، والذي في الحديث ثلاث وسبعين، هذا هو البضع، والمُحِق منها فرقة واحدة.

(المُحِق) مَن كان علىٰ سنة الرسول ﷺ ونهج أصحابه رضي الله عنهم، كما قال: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي»(**).

(١) (من غير زيغ) أي: انحراف عن الحق واستبدال لغيره، ومن غير جفا، وهو الإعراض وعدم الالتفات لما جاء به الرسول ﷺ، هذا هو الجفا، الجفا هو الترك والإعراض وعدم الاهتمام بما جاء به ﷺ، وهذا مما يُحذر طالب العلم من أن يغفل عن سنة الرسول ﷺ أو يتساهل في تعلمها ومعرفتها؛ لأن بعض الناس من أهل الضلال اليوم يقولون: اتركوا مسألة العقائد يكفي اسم المسلمين، كلٌّ حرٌّ في عقيدته يكفي أنه مسلم. ونقول: من خالف منهج الرسول ﷺ لا يكون مسلماً لأن المسلم من استسلم لله، وانقاد لما جاء به الرسول ﷺ، وتبرأ من الشرك وأهله، =

(*) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٨/ ٣٧٥ (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢-٤٤)، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(**) سلف تخريجه ص٤٢.

٢٢ـ وليسَ هٰـذا النـصُّ جَـزْمـاً يُعتَبـرْ
فـي فِـرْقَـةٍ إلا علـىٰ أهـلِ الأثَـرْ[١]

= هذا هو المسلم، أما من تسمىٰ بالإسلام ولم يلتزم به فليس بمسلم فلا يكفي اسم الإسلام لمن عنده إلحاد وزيغ ـ والعياذ بالله ـ. من قال ذلك فهو من الذين يزهدون في دراسة العقيدة الصحيحة، ومعرفة العقائد الباطلة، يزهدون في هذا ويقولون: هذه فرَّقت الناس. نعم الأمة ستفترق لأن النبي ﷺ أخبر أنها ستفترق، ونحن لا نريد تفريق الناس، بل نريد جمع الناس علىٰ الحق، أما من خالف الحق فسيفترق، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) (ليس هذا النص) وهو قوله ﷺ: «إلا واحدة» لا ينطبق هذا إلا علىٰ أهل الأثر، يعني أهل الحديث، والمراد بالأثر: الحديث، فهم الذين ينطبق عليهم هذا الاستثناء في قوله ﷺ: «إلا واحدة وهم من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي» هذا ينطبق علىٰ أهل الحديث وأتباع الأثر.

❊ ❊ ❊

قول أهل السنة في النصوص

٢٣ـ فأثبتوا النُّصوصَ بالتَّنزِيهِ
من غيرِ تعطيلٍ ولا تَشبيهِ[1]

---

(١) أثبت أهل السنة والجماعة والسلف الصالح النصوصَ الواردة في أسماء الله وصفاته، أثبتوها كما جاءت من غير تعطيل ومن غير تشبيه، لم يعطلوها ويجحدوا مدلولَها كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، فإنهم لم يعتقدوا ما دلت عليه هذه النصوص، بل عطلوا مدلولها وأولوها وحرفوها عن ما جاءت به، هذا هو التعطيل، ومن غير تشبيه، التشبيه هو التمثيل، فلا تُشبَّه صفاتُ الله بصفات المخلوقين، بل يُنزه سبحانه وتعالىٰ عن التشبيه والتمثيل؛ لأن الله نزَّه نفسه عنه، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] الكفو هو الشبيه والمثيل، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، فالله لا مثيل له ولا شبيه له ولا كفء له سبحانه وتعالىٰ لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه وصفاته.

فالواجب إثبات النصوص الواردة في أسماء الله وصفاته علىٰ ما دلت عليه من غير تحريف وتأويل لها، ومن غير تشبيه لصفات الله بصفات خلقه، وهذا كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا رد علىٰ المشبهة الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا رد علىٰ المعطلة.

ودل ذلك علىٰ أن إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التشبيه كما يقولون؛ لأن لله ـ جل وعلا ـ أسماءً وصفات تليق به، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم، وإن توافقت أسماء الله وأسماء المخلوقين في الألفاظ =

. . . .

= والمعنىٰ إلا أنها تختلف في الكيفية والحقيقة، فلله أسماء تخصه، وللمخلوق أسماء تخصه، لا تشابه بينهما في الحقيقة وإن تشابهت في الألفاظ والمعنىٰ. فالله ـ جل وعلا ـ سميع بصير، والمخلوق سميع بصير ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان: ٢] فالمخلوق سميع بصير، والله ـ جل وعلا ـ أخبر عن نفسه أنه سميع بصير، لكن لا تشابه بينهما، وإن اتفق اللفظ فالحقيقة مختلفة والكيفية مختلفة.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فالله ـ جل وعلا ـ له يدان، والمخلوق له يدان، لا تشابه بين يد الله ويد المخلوق، الله ـ جل وعلا ـ له وجه، والمخلوق له وجه، نُثبت هذا لكن ننفي التشابه والتماثل بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وهذا هو المنهج السليم أن تُثبت الأسماء والصفات لله ـ جل وعلا ـ كما جاءت من غير تعطيل لمعناها، ومن غير تكييف لحقيقتها وتمثيل لحقيقتها، هذا المذهب الوسط والاعتدال.

لقد غلا قوم في التنزيه حتىٰ عطلوا الله من أسمائه وصفاته، وغلا آخرون في الإثبات حتىٰ شبهوا الله بخلقه، وتوسط أهل السنة فنزهوا الله عن مشابهة المخلوقين، نزهوه وسبحوه لكنه تنزيه بلا تعطيل، وأثبتوا ما أثبته لنفسه من غير تشبيه ولا تمثيل. هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

(فأثبتوا النصوص بالتنزيه) أثبتوا النصوص الواردة في الأسماء والصفات مع تنزيه الله ـ جل وعلا ـ عن مشابهة المخلوقين. (من غير =

٢٤ـ فكــلُّ مــا جــاءَ مِــن الآيــاتِ
أوْ صَحَّ في الأخبارِ عن ثِقَاتِ(١)

= تعطيل ولا تشبيه) من غير تعطيل كما عليه الجهمية والمعتزلة والذين نفوا صفات الله ـ عز وجل ـ ومن غير تشبيه كما عليه المشبهة.

ويعني الناظم بالتشبيه التمثيل، ولو قال من غير تمثيل لكان أحسن لأن الذي جاء في القرآن هو نفي المثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فلو عبَّر بما عبَّر به القرآن، واختار لفظاً يقارب هذا المعنىٰ لكان أحسن، لكن المعنىٰ الذي ذكره صحيح؛ لأن التشبيه فيه احتمال وفيه اشتباه، لكن التمثيل ليس فيه ذلك، وهو الذي جاء في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] نفىٰ عن نفسه المثل.

(١) كل ما جاء في الآيات القرآنية من أسماء الله وصفاته (أو صح في الأخبار) يعني الأحاديث (عن ثقات) الرواة فإنه يجب اعتقاده وإثبات ما دل عليه، من غير ما فرق بين القرآن وبين السنة؛ لأن الكل من عند الله ـ عز وجل ـ وسواء كانت الأحاديث آحاداً أو متواترة؛ لأنه يوجد من أهل الضلال من يقول: أخبار الآحاد لا يُستدل بها في العقيدة لأنها تفيد الظن. هذا اصطلاح من عندهم وهو باطل فإن الحديث الصحيح يفيد اليقين سواء كان آحاداً أو متواتراً.

كان الرسول ﷺ يرسل رسله آحاداً ولم يكن يرسل جماعات، يرسل الشخص الواحد إلىٰ قبيلة أو إلىٰ جماعة فيعملون بخبر هذا الواحد، لم يقولوا له: أنت واحد وخبرك يفيد الظن. فخبر الواحد إذا صح فإنه يفيد العلم ويفيد اليقين بلا شك. (صح) يعني سواء كان متواتراً أو آحاداً، المدار علىٰ الصحة صحة السند. (عن ثقات) عن رواة ثقات.

٢٥ـ مِـــن الأحـــاديـــثِ نُمِـــرُّه كمـــا
قد جاءَ فاسْمَعْ مِن نِظامي واعلَمَا(١)

---

(١) (نمره كما جاء) يعني بلفظه ومعناه كما جاء، ولا نُمِرُّه بلفظه فقط ونَكِل معناه إلىٰ الله كما يقوله المفوضة، يقولون: نُمِرّ ألفاظها، ونكل معانيها إلىٰ الله، وهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. هذه طائفة من أهل الضلال يسمون بالمفوضة، بينما أهل السنة يمرونها بلفظها ومعناها كما جاءت، ويعتقدون ما دلت عليه، ويعرفون معانيها، والله ـ جلّ وعلا ـ لم يخاطبنا بشيء لا نعرف معناه، والصحابة رضي الله عنهم فسروا القرآن كلَّه، ولم يتركوا شيئاً منه لم يفسروه، فدل علىٰ أنهم يعرفون معاني القرآن. كما قال مجاهد: عرضت المصحف علىٰ ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية وأسأله فيم نزلت، وكيف كانت(*). يفسرها له ولم يتوقف عند شيء من الآيات. والله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩]، فلو كان فيه آيات لا يُفهم معناها لاستثنىٰ الله وقال: يدبروا بعضه أو يدبروا بعض الآيات، لكن الله قال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ عمم فدل علىٰ أنه كله تعرف معانيه، وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] لام الله الذين لا يتدبرون القرآن ولم يستثن منه شيئاً، بل إن ما جاء في الأسماء والصفات هو أهم شيء جاء في القرآن، وأهم شيء يجب أن يُتدبر ويُفسر حتىٰ يُعرف معناه. =

(*) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٤/ ٤٥٠، وأورد أيضاً ما نصه: حدثنا الفضل بن ميمون، سمعت مجاهداً يقول: عرضتُ القرآنَ علىٰ ابن عباس ثلاثين مرة.

٢٦ـ ولا نَــــردُّ ذاكَ بــــالعُقـــولِ
لِقَـــوْلِ مُفْتَـــرٍ بـــه جَهُـــولِ(١)

= فقوله: (نُمِرُّه كما قد جاء) يعني بلفظه ومعناه معتقدين ما دل عليه، وهذا فيه ردّ علىٰ الذين يحرفون معناه ويؤوّلونه، وعلىٰ الذين يفوضونه؛ لأنهم قسمان: قسمٌ حرَّف وأوَّل الألفاظ عن معانيها، وقسم فوَّض معانيها إلىٰ الله ـ عز وجل ـ وصار يردّد ألفاظها فقط. فهذا ردّ علىٰ الطائفتين أننا نمرها كما جاءت. وكما قال الإمام أحمد: (أَمِرّوها كما جاءت من غير تفسير) يعني من غير تكييف، فقوله: من غير تفسير لا يعني من غير بيان معناها، بل يعني من غير تكييف، أو من غير تفسير يعني كتفسير المؤولة الذين يفسرون اللفظ بغير معناه، بل بمعنىٰ آخر لم يرد اللفظ به ولا يدل عليه.

(١) أهل الباطل يُحكِّمون العقول وقواعد المنطق وعلم الكلام، ويسمونها البراهين العقلية، وما خالفها من القرآن أولوه علىٰ غير معناه، وما خالفها من السنة قالوا: هذا خبر آحاد ولا يفيد العلم، ويرفضون الاستدلال به في العقيدة، ويقدمون الأدلة العقلية؛ لأنها عندهم لا تخطىء فيقدمونها.

أما أهل السنة وأهل الحق فعلىٰ العكس، يقدمون القرآن والسنة علىٰ العقول؛ لأن العقول لا يُبنىٰ عليها عقيدة، والعقول قاصرة لا تدرك كل شيء، فهي لا تُتخذ مصدراً للعقيدة؛ لأن عقول البشر قاصرة، وأيضاً العقول مختلفة، فأي عقل نتبع؟ والعقلانيون مختلفون، فمن نتبع منهم؟ بينما القرآن والسنة لا يحصل فيهما اختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. =

٢٧- فعَقْــدُنــا الإثبــاتُ يــا خَليلِــي
مِــن غيــرِ تَعطيــلٍ ولا تَمثيــلِ(١)

= (لقول مفتر) يعني كذاب، الافتراء: هو الكذب (جهول) بكلام الله وكلام رسولـه ﷺ، وهذا ينطبق علىٰ علمـاء الكلام وعلمـاء الجدل لأنهم عندهم جهل وعندهم افتراء وكذب لينصروا مذهبهم ولو بالكذب، لا يتحاشون عن الكذب، بخلاف أهـل الحق فإنهم لا يكذبـون علىٰ الله ـ جل وعلا ـ؛ لأن الله قال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]. أهل الباطل لا يتحاشون عن الكذب لأجل نصرة مذهبهم، ويردّون الأحاديث الصحيحة ويكذبون، ففي الحقيقة هم الذين يأخذون بالكذب ويبنون مذهبهم علىٰ الكذب.

(١) (فعقدنا الإثبات) أي: اعتقادنا ومذهبنا، إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته (من غير تعطيل) كما عليه المعطلة الذين ينفون ما تدل عليه نصوص الأسماء والصفات ويؤولونها ويحرفونها، ومن غير تمثيل كما عليه المشبهة الذين يغلون في الإثبات حتىٰ شبهوا الله بخلقه ـ تعالىٰ الله عما يقولون ـ فهم علىٰ طرفي نقيض، هؤلاء معطلة وهؤلاء ممثلة، هؤلاء غلوا في التنزيه وهؤلاء غلوا في الإثبات، والوسط هو ما عليه أهل السنة والجماعة. إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بل تعطيل، هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة. ويقولون: هناك فرق عظيم بين أسماء وصفات الخالق وأسماء وصفات المخلوقين.

حال المؤولين في الصفات

٢٨ـ فكُــلُّ مَـــنْ أوَّلَ فـــي الصفــاتِ
كــذاتِــه مِــن غيــرِ مــا إثبــاتِ[(١)]

(١) (فكل من أول في الصفات) والتأويل يُطلق علىٰ معانٍ، منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، يُطلق ويراد به ما يؤول إليه الشيء، وما ينتهي إليه الشيء في المستقبل، وذلك كقول يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] لما دخلوا علىٰ يوسف آوىٰ إليه أبويه ورفع أبويه علىٰ العرش، علىٰ سريره، وخروا له سجداً، فكان من عادتهم أنهم يسجدون للشخص سجود تحية وما هو بسجود عبادة، وكان هذا جائزاً في شريعتهم، أما نحن فقد نهانا النبيُّ ﷺ عن السجود لمخلوق(*)، لا سجود عبادة ولا سجود تحية. كما أن سجود الملائكة لآدم ليس هو بسجود عبادة لأن العبادة لله فهم سجدوا عبادةً لله لأن الله أمرهم، وهو تكريم لآدم عليه السلام، ومثله ما حصل مع يوسف عليه السلام، كلهم سجدوا له الأبوان والإخوة، فعند ذلك قال يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ لأنه رأىٰ في الأول قبل أن تحصل عليه المحن والشدائد، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] تحققت هذه الرؤيا بعد مدة لما سجدوا له الأبوان والإخوة الأحد عشر، قال: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ فالتأويل يُطلق ويراد به =

(*) انظر ما ورد في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤١٢، سورة يوسف، تفسير الآية: ١٠٠. وما ورد في «مسند الإمام أحمد» ٣٢/ ١٤٥ (١٩٤٠٣) طبعة مؤسسة الرسالة، فقد ذكر مواضع الأحاديث التي تتعلق بهذا الباب.

. . . .

= ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وكما في قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] أخبر الرسل عن يوم القيامة، والمشركون نفوا هذا وكذبوا وجحدوا البعث والنشور، فإذا بُعثوا يوم القيامة ورأوا ما أخبر به الرسل من الجنة والنار والحساب ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ظهر لهم تأويله وحقيقته. فالتأويل يُطلق ويراد به ما يؤول إليه الخبر في المستقبل. وهذا تأويل مقبول وصحيح وجاء في القرآن.

ويُطلق التأويل ويراد به تفسير المعنىٰ، يقال: أوَّله يعني فسَّره، وأوَّل الرؤيا، يعني فسَّرها، وأوَّل الآية أو الحديث، يعني فسَّره، وهذا في تفسير ابن جرير ـ رحمه الله ـ يقول: القول في تأويل قوله تعالىٰ.

المعنىٰ الثالث: ما أحدثه المتأخرون من صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ معنىً آخر، ويسمونه التأويل، كما هو في كتب البلاغة، وكتب البيان أن التأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يدل علىٰ ذلك. هذا ما أحدثه المتأخرون وأجروه علىٰ أسماء الله وصفاته. فأولوها: يعني صرفوها عن ظاهرها ومدلولها إلىٰ معانٍ أخرىٰ لم يدل عليها دليل، بل إنما هو الهوىٰ والكذب. هذا هو المعنىٰ الثالث للتأويل، وهو الذي عليه المتأخرون، وهذا الذي يقصده الناظم، من غير تأويل يعني من غير صرف للنصوص عن ظاهرها الذي دلت عليه إلىٰ معنىً آخر لم تدل عليه. مثل قولهم: المراد باليد القدرة، والمراد بالرحمة النعمة، والمراد بالوجه الذات، ومثل قولهم: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] يعني وجاء أمر ربك، مثل قوله: «ينزل ربنا تبارك =

٢٩ـ فقـد تعـدَّىٰ واسْتَطـالَ واجْتَـرا
وخاضَ في بَحْرِ الهلاكِ وافْتَرىٰ(١)

= وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا»(*) يقولون: ينزل أمره إلىٰ سماء الدنيا. هذا تأويل باطل وتأويل فاسد لا دليل عليه، هذا هو التأويل المذموم وهو الذي يقصده الناظم هنا.

فقول الناظم: (فكل من أوَّل في الصفات) يعني صرفها عن ظاهرها إلىٰ معنىً آخر لا تدل عليه. (كذاته) كذات الله سبحانه وتعالىٰ، فالصفات تتبع الذات، فكما أن ذات الله ـ جل وعلا ـ لا تُؤَوَّل فكذلك صفاته لا تُؤَوَّل، فالأسماء والصفات تتبع الذات تماماً، فكما لا تُؤَوَّل ذات الله ـ جل وعلا ـ بغيره فكذلك أسماؤه وصفاته لا تُؤَوَّل بغير معانيها التي تدل عليها.

(من غير ما إثبات) من غير ما دليل، أما إذا دل دليل علىٰ التأويل فهذا صحيح، لكن تأويلهم لا دليل عليه.

(١) (تعدىٰ) تعدىٰ علىٰ حق الله سبحانه وتعالىٰ وتجرأ علىٰ ما لم يأذن به الله ورسوله، وتعدىٰ الحقّ إلىٰ الباطل.

(واستطال) استطال في الباطل يعني تمادىٰ، واستطال علىٰ السلف وأنكر آراءهم، واستدرك عليهم. (واجترا) اجترأ علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، في أنه حمَل كلام الله ـ جل وعلا ـ علىٰ غير محمله، وعَطَّل الله ـ جل وعلا ـ عن أسمائـه وصفاته وكماله جل وعلا. هذه جرأة علىٰ الله ـ عز وجل ـ وعدم خوف من الله، فالمؤمن يخاف من الله ولا يجترئ =

(*) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، وأحمد في «المسند» ١٣/ ٣٤ (٧٥٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٠ـ ألـم تَـرَ اختـلافَ أصحـابِ النَّظَـرِ
فيـهِ وحُسْـنَ مـا نَحـاهُ ذُو الأَثَـرِ[(١)]

= علىٰ كلامه ويفسِّره بغير تفسيره، ولا يقول علىٰ الله بغير علم، فإن هذا من أعظم الكذب.

(وخاض في بحر الهلاك) يعني مشىٰ ودخل طريق الضلال، وترك طريق النجاة. وافترىٰ علىٰ الله ـ عز وجل ـ، وحمل كلامَه علىٰ غير معناه.

(١) قارن بين ما عليه أهل الأثر وما عليه أهل النظر، والمراد بأهل النظر أصحاب الأدلة العقلية، يسمونهم النُّظار، وهم الذين يستدلون بالقواعد المنطقية وقواعد الجدل. قارن بين ما عليه النُّظار من الاختلاف والتنازع بينهم وتضليل بعضهم لبعض، وما عليه أهل الأثر من السلامة وصفاء القلوب فيما بينهم، والمودة والتآخي فيما بينهم، قارن بين هذا وذاك لتعلم أن الحق ما عليه أهل الأثر، وأن الباطل ما عليه أهل النظر. وهذه سنة الله ـ عزّ وجلّ ـ أن من ترك الكتاب والسنة فإنه يُبتلَىٰ بالاختلاف ويُبتلَىٰ بالضلال ويُبتلَىٰ بالقلق وعدم الاستقرار، تجدهم مضطربين في عقائدهم وفي أقوالهم، تجدهم يحشون الكتاب من كتبهم من أوله إلىٰ آخره بالجدليات، لا تجد فيه آية من كتاب الله ولا حديثاً من سنة رسول الله، وإنما هو قالوا وقلنا، فإن قالوا كذا قلنا كذا، وهكذا جدل كله من أوله إلىٰ آخره، تجد الاختلاف بينهم مستشرياً.

أما أهل السنة فكتبهم ـ ولله الحمد ـ سالمة من هذا؛ لأنها تتمشىٰ مع الكتاب والسنة وتجدهم في عقيدتهم متفقين عليها. اقرأ أي كتاب عقيدة من كتب أهل السنة تجد المجرَىٰ واحداً، والأصولَ واحدة لا =

. . . .

= تختلف أبداً. اقرأ في «الواسطية» واقرأ في غيرها من كتب العقائد السلفية تجد مجراها واحداً لا تختلف في شيء أبداً، تجد أبوابها وفصولها ومسائلها واحدة، قد يكون بعضها أبسط من بعض، وبعضها مختصر، وبعضها مطول، وقد يكون بعضها أوضح من بعض، لكن لا تجد بينها اختلاف في المعنىٰ أبداً، الأبواب هي الأبواب، والمسائل هي المسائل، إنما الاختلاف في نوع التصنيف والأسلوب فقط، فكتب أهل السنة ـ ولله الحمد ـ متفقة في العقيدة لا تختلف أبداً. أما كتب أهل الضلال فتجد فيها من الجدليات، وتجد فيها من الاختلاف، وتجد فيها من التضارب الشيء الكثير، ولا تخرج منها بنتيجة، تقرأ الكتاب من أوله إلىٰ آخره ويصاب رأسك بالصداع ولا تخرج بنتيجة إلا قالوا وقلنا، وهذا يردّ علىٰ هذا، وهذا يُبطِل قولَ هذا، وهذا يمدح، وهذا يذم، بينما لا تجد هذا في كتب أهل السنة ـ ولله الحمد ـ بل يُثني بعضهم علىٰ بعض، ويترحم بعضهم علىٰ بعض، وتجد بينهم الألفة والمحبة، هذا شيء واضح في كتب أهل السنة، وتخرج بنتيجة واضحة إذا قرأتها، وحصيلة علمية واضحة سليمة.

(ذو الأثر) يعني أهل السنة والجماعة، تجد أقوالهم حسنة متقنة متفقة فيما بينها، منحاها واحد، وأدلتهم واحدة، وعقيدتهم واحدة، لا يختلفون فيها، كل من كتب في هذا المجال فإنه لا يختلف عمن قبله إلا إن كان في زيادة توضيح أو زيادة تبسيط للمعلومات فقط. وتجد متأخِّرهم يبني علىٰ قول أولهم، ويوضحه ويزيد عليه، وتجد بينهم الاتفاق والمحبة من خلال دعاء بعضهم لبعض، وثناء بعضهم علىٰ بعض.

٣١ـ فإنَّهم قد اقتدَوْا بالمُصطفىٰ
وصَحبِه فاقْنَعْ بهٰذا وكفَىٰ(١)

---

(١) هذا هو السبب في كون ما عليه أهل الأثر هو الحسن. السبب في هذا أنهم اقتفوا النبي ﷺ، واتخذوه قدوة، ما اتخذوا غير الرسول ﷺ قدوة من الأئمة والرجال، وكل واحد ينتمي إلىٰ شيخ هذا أشعري وهذا معتزلي وهذا ماتريدي وهذا، وهذا..، لا تجد هذا في كتب أهل السنة، تجد أهل السنة والجماعة كلهم علىٰ نمط واحد، هذا في العقيدة، أما اختلافهم في مسائل الفقه والاجتهاد فهذا لا يُفرق بينهم، تجد الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي أخوة يحب بعضهم بعضاً، ويصلي بعضهم خلف بعض، ويتزاوجون فيما بينهم، لا تجد بينهم اختلافاً، وإذا حكم واحد منهم في مسألة لم يخالف فيها دليلاً ارتفع الخلاف وتبعوه، لا تجد بينهم نزاعاً ولا اختلافاً، إنما هذا تجده عند المخالفين للكتاب والسنة فهم الذين تكون بينهم فتن، وتكون بينهم شحناء وخصومة، ويكون بينهم تراشق وتكفير وتفسيق وتبديع، إلىٰ غير ذلك.

(اقتدوا بالمصطفىٰ وصحبه) هذا مطابق لقوله ﷺ: «هم من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي»(*)، الصحابة بعد الرسول ﷺ هم القدوة؛ لأنهم تلاميذ الرسول ﷺ وبعدهم التابعون؛ لأنهم تلاميذ الصحابة، وكلما قرب الزمان من الرسول ﷺ كانت الحجة في أهله أقوىٰ؛ لأنهم يأخذون عن الرسول ﷺ أو عمن أخذ عن الرسول ﷺ، =

(*) سلف تخريجه ص٤٢.

. . . .

= ولذلك قال ﷺ: «خيرُكم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(*) يعني الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

(فاقنع بذا وكفىٰ) اقنع بما عليه الرسول ﷺ وأصحابه يكفيك هذا، ولا تتبع الأقوال المخالفة، وماذا قال فلان، وماذا قال فلان، لأنك تتيه مع أصحابها، إلا أن تقرأ في هذه الكتب لأجل أن تعرف ما فيها من الباطل، ولأجل أن تُحذّر منها وتردّ عليها، لكن هذا لا يكون إلا للمتمكن الذي يعرف الصحيح من غير الصحيح، أما المبتدئ فلا يسعه أن يقرأ في كتب أهل الضلال لئلا يتأثر بشيء منها من غير علم، لا سيما وأنهم أُعطوا حسن جدل وحسن تعبير وفي زخرف القول تزيين لباطله، فقد يغتر بأسلوبهم وتقسيماتهم، لكنها في الحقيقة حجج مثل الزجاج.

حججٌ تهافت كالزجاج تخالُها ... حقاً وكلّ منها كاسرٌ مكسورُ

وبعد هذه المقدمة يدخل في الموضوع، ويبدأ الباب الأول فيقول:

❊ ❊ ❊

(*) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) (٢١٤)، والنسائي ٧/ ١٧-١٨ (٣٨١٨)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٣٣/ ٧٠ (١٩٨٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

الباب الأول

في معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته[١]

---

(١) لما فرغ الناظم ـ رحمه الله ـ من المقدمة التي ذكر فيها قواعد وضوابط في باب العقيدة شرع في المقصود من هذه المنظومة، وهو بيان معرفة الله ـ جل وعلا ـ بأسمائه وصفاته، وهذا باب عظيم، ومعرفة الله ـ جل وعلا ـ بأسمائه وصفاته مطلوب من كل مسلم.

وقد تعرف الله ـ جل وعلا ـ لعباده بأسمائه وصفاته في القرآن وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأثبت لنفسه الأسماء، وهي كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، تدل علىٰ عظمته، وأخبر أنها حسنىٰ، ليست مجرد أسماء، وإنما هي أسماء حسنىٰ تدل علىٰ صفات عظيمة، كل اسم منها يدل علىٰ صفة من صفات الله ـ جل وعلا ـ، فالرحمٰن الرحيم اسمان يدلان علىٰ الرحمة، والسميع البصير اسمان يدلان علىٰ ثبوت السمع والبصر له سبحانه، والقدير يدل علىٰ القدرة، والحي يدل علىٰ الحياة الكاملة، والقيوم يدل علىٰ كمال قيوميته سبحانه بمعنىٰ أنه قائم بذاته ومقيم لخلقه، فهو قائم بذاته لا يحتاج إلىٰ أحد، ومقيم لخلقه فكل خلقه محتاجون إليه سبحانه وتعالىٰ. وهكذا كل اسم من أسمائه يدل علىٰ صفة عظيمة، وليست مجرد أسماء بدون معانٍ. وبها يُعرف سبحانه وتعالىٰ، ويُدعىٰ، ويُتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ويُخاف ويُرجىٰ، هكذا باب الأسماء والصفات لله عز وجل.

=

٣٢ـ أَوَّلُ واجبٍ علىٰ العبيدِ
مَعرِفَةُ الإلٰهِ بالتَّسديدِ[١]

= وهذا المقام زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وثبَّت الله أهل السنة والجماعة في هذا الباب وفي غيره، لكن هذا الباب هو الأصل، ففي هذا الباب أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله من الأسماء والصفات علىٰ ما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثل، علىٰ حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وتخبطت الطوائف الضالة المنحرفة في هذا الباب، فالجهمية نفوا الأسماء والصفات، والمعتزلة أثبتوا أسماء مجردة لا تدل علىٰ معانٍ، ونفوا الصفات كلّها وأولوها وحرفوها، والأشاعرة أثبتوا الأسماء وأثبتوا سبع صفات، وبعضهم أثبت أربع عشرة صفة ونفوا الباقي، ويقابلهم طائفة يقال لهم المشبهة غلوا في الإثبات، فشبهوا أسماء الله وصفاته بأسماء وصفات خلقه، ولم ينزهوا الله ـ جل وعلا ـ عن ما نزه عنه نفسه من التمثيل والتشبيه. هذا حاصل الخلاف في هذا الباب، كله يدور علىٰ هذا.

(١) (أول واجب علىٰ العبيد) الواجب: هو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه، (علىٰ العبيد) جمع عبد، من العبودية وهي الذل والخضوع؛ لأن كل الخلق عباد الله ـ جل وعلا ـ، قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥] هذه عبودية عامّة في جميع الخلق لا أحد يخرج عنها، لا الملائكة ولا الجن ولا الإنس، كل الخلق عباد الله ـ جل وعلا ـ =

. . . .

= العبودية العامّة. وهناك العبودية الخاصة لأهل الإيمان، وهم الذين عبدوه سبحانه وتعالىٰ حقّ عبادته، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] لما قال إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ هذه عبودية خاصة، ومثل قوله في الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] هذه عبودية خاصة، وقوله في نوح عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩] هذه عبودية خاصة عبودية تشريف وتكريم، ومثل قوله في محمد ﷺ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] يعني محمداً ﷺ، وهذه عبودية خاصة تقتضي التشريف والتكريم.

فأول ما يجب علىٰ العبيد كلِّهم، الناظم يقول: (أول واجب علىٰ العبيد معرفة الإلـه..) والصواب: أول واجب علىٰ العبيد عبادة الله، أما معرفته فإنهم يعرفونه بالفطرة والعقول والأدلة الكونية والأدلة القرآنية، فهم يعرفونه لكن أول ما يجب عليهم عبادته، ولهذا أول ما يؤمر به الصغير الصلاة «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»(*) ولم يقل: عرفوهم بالله؛ لأنهم يعرفون ذلك بفطرتهم، لأن معرفة الله عزّ وجل معلومة بالفطرة فأول واجب علىٰ العبيد عبادة الله سبحانه وتعالىٰ، والكافر حينما يُسلم يؤمر بالشهادتين: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا يؤمر بأن ينظر في =

(*) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ١١/ ٣٦٩ (٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو حديث إسناده حسن.

٣٣ـ بأنه واحدٌ لا نظيرَ لَه ولا شِبْهَ ولا وزيرَ(١)

= الكون، ويستدل علىٰ وجود الله كما يقولون، هذا شيء معروف في الفطرة لا أحد يُنكره. ولهذا كل رسول يقول لقومه: اعبدوا الله، أول ما يبدؤهم يقول: اعبدوا الله؛ لأنهم يعرفون الله بفطرهم، لا يقول لهم: اعرفوا الله، لأنهم يعرفون أن لهم ربّاً، ولكنهم لم يعبدوه، فيأمرهم بعبادة الله ـ عز وجل ـ هذا هو الصواب.

أما علماء الكلام فيقولون: أول واجب علىٰ العبد هو النظر، ينظر في الأدلة لإثبات الرب سبحانه وتعالىٰ، ثم بعد ذلك إذا نظر في الأدلة وعرف الرب ووجوده يعبده. نقول: هذا تحصيل حاصل، الخلق يعرفون الله بالفطرة وبالأدلة الكونية والأدلة القرآنية.

(١) الله ـ جل وعلا ـ واحد في ربوبيته لا شريك له في خلقه وتدبيره، وواحد في ألوهيته فلا شريك له في عبادته، وواحد في أسمائه وصفاته فلا مثيل له ولا شبيه له في أسمائه وصفاته. وليس له نظير، والنظير هو الشبيه والمماثل، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: هل تعلم أن أحداً يشابه الله ـ جل وعلا ـ ويساميه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وهذا نفي أن يكون له كفو، الكفو: هو الشبيه والمماثل، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] والند: هو الشبيه والنظير ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه لا ند له سبحانه وتعالىٰ.

(ولا وزير) الوزير هو المعين، ومن عادة الملوك في الدنيا أنهم يتخذون الأعوان والوزراء يعينونهم علىٰ تدبير الملك، ويبلغونهم حوائج الناس؛ لأنهم بشر عاجزون لا يعلمون حوائج الناس، أما الله ـ جل وعلا ـ=

٣٤ـ صفـاتُـه كـذاتِـه قَـديمَـةْ
أسمـاؤه ثـابتـةٌ عَظيمَـةْ[(١)]

= فإنه ليس بحاجة إلىٰ وزير، ولا إلىٰ ظهير، ولا إلىٰ ولي من الذل؛ لأنه يعلم كل شيء، ويقدر علىٰ كل شيء، فليس بحاجة إلىٰ وزير أو إلىٰ ظهير أو إلىٰ معين كعادة ملوك الدنيا. ولهذا نزه نفسه سبحانه عن الشبيه والنظير والمثيل والمعين والظهير ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

(١) أما ذاته سبحانه فهي قديمة أزلية لا بداية لها، وأما صفاته فهي علىٰ قسمين: صفات قديمة مثل ذاته، وهي صفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة، والصفات الذاتية كالوجه واليدين مما ثبت لله ـ عز وجل ـ كل صفاته الذاتية قديمة بقدم ذاته سبحانه وتعالىٰ. القسم الثاني صفات الأفعال مثل الخلق والرزق والكلام والنزول إلىٰ السماء الدنيا والاستواء علىٰ العرش، فهذه قديمة النوع حادثة الآحاد، بمعنىٰ أنه متصف بنوعها في الأزل، فهو متصف أنه يتكلم، وأنه يخلق، وأنه يرزق، وأنه يحيي ويميت، هذا ما له بداية، لكن آحاد هذه الأفعال تتجدد، فهو يتكلم إذا شاء، ويأمر وينهىٰ ويشرع سبحانه وينزل إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة، ويخلق ويرزق من يشاء سبحانه فلا بد من هذا التفصيل. أما قول الناظم إن صفاته قديمة بالإطلاق فهذا محل نظر.

(أسماؤه ثابتة عظيمة) أسماؤه ثابتة كما في القرآن جملة وتفصيلاً، جملة في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤]. =

٣٥ـ لكنَّهـا فـي الحـقِّ تَـوْقِيفيَّـةْ
لنـا بـذا أدلَّـة وَفِيَّـةْ[(١)]

= ومفصلة في الآيات مثل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(عظيمة) لا أعظم من أسماء الله ـ جل وعلا ـ ولا يشبهها شيء من أسماء المخلوقين، وإن اشتركت في اللفظ مع أسماء المخلوقين فهي تختلف في الكيفية، واللفظ واحد الله سميع بصير والمخلوق سميع بصير، الله عنده علم والمخلوق عنده علم، ولكن صفات الله ـ جل وعلا ـ لائقة به وبعظمته، وصفات المخلوقين لائقة بهم علىٰ قدرهم لا تشابه بينها في الحقيقة والكيفية، بل بينها فرق عظيم، كالفرق بين الخالق والمخلوق، ينبغي أن يُعرف أنها وإن تشابهت في اللفظ والمعنىٰ العام، فإنها لا تتشابه في الكيفية والحقيقة، فسمع الله لا يُشبه سمع المخلوق، وكذلك بقية صفاته سبحانه وتعالىٰ، وعلم الله لا يشبه علم المخلوق، الله وصف المخلوق بأنه عليم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] يعني إسحاق عليه السلام، والله وصف نفسه بأنه بكل شيء عليم، فلا مشابهة بين العليم والعليم، وسمىٰ عبده بالحليم، قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] يعني إسماعيل عليه السلام وسمىٰ نفسه حليماً، ولا تشابه بين حلم الله وحلم العبد، ولا بين الحليم والحليم، وإن كانت مشتركة في اللفظ وفي المعنىٰ العام، لكن تفترق في الحقيقة والكيفية.

(١) (لكنها) أي: أسماء الله وصفاته (توقيفية) بمعنىٰ أنه يُقتصر في إثباتها علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نُحدِث لله أسماء وصفات من عندنا،=

. . . .

= ولا نصفه بصفات لم ترد في الكتاب والسنة، أو نسميه باسم ليس في الكتاب والسنة، هذا معنىٰ أنها توقيفية، فما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من أسماء الله وصفاته أثبتناه، ولا نزيد عليه من عندنا أبداً، لا يجوز هذا؛ لأن الله أعلمُ بنفسه وما يليق به، والرسول ﷺ هو أعلم الخلق بربه، ونحن لا نعلم إلا ما عَلَّمنا الله سبحانه وتعالىٰ، فلا نقول علىٰ الله بغير علم ونصفه بشيء لم يصف به نفسه، أو نسميه باسم لم يسمِ به نفسه، هذا من الإلحاد في أسماء الله. فالذي يزيد في أسماء الله شيئاً ليس منها ملحد في أسماء الله ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فمن الإلحاد فيها زيادة الأسماء أو الصفات التي لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا باب عظيم يجب التنبه له؛ لأن بعض المبتدئين في طلب العلم أحياناً يثبتون لله أشياء لم يثبتها لنفسه ولا وردت في الكتاب والسنة، فيجب عليهم التوقف والامتناع، ولا ينسبون إلىٰ الله ـ جل وعلا ـ إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته أعلم الخلق به وهو محمد ﷺ. حسبنا التوقف علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة.

(لنا بذا أدلة وفية) لنا علىٰ أنها توقيفية أدلة وافية كافية بالمقصود من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

❊ ❊ ❊

فصل

في بحث صفاته تعالىٰ

٣٦ـ لَـــهُ الحيـــاةُ والكـــلامُ والبَصَـــرْ
سمـــعٌ إرادةٌ وعِلْـــمٌ واقتَـــدَرْ(١)

---

(١) لما ذكر القاعدة في أسماء الله وصفاته أراد أن يُمثل لها بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله.

(له الحياة) يعني أن الله جل جلاله موصوف بالحياة، قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] فسمىٰ نفسه بالحي، وهذا يدل علىٰ ثبوت الحياة الكاملة، وليست كحياة المخلوقين؛ لأن حياته حياة لا بداية لها ولا نهاية، بخلاف حياة المخلوقين فإنها حياة ناقصة ولها بداية ولها نهاية.

(والكلام) من صفاته سبحانه أنه يتكلم كما قال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ [الفتح: ١٥] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] كما أثبت لنفسه النداء والمناجاة ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٢]، والمناداة هي الصوت المرتفع، والمناجاة هي الصوت الخفي، فجمع الله لموسىٰ عليه الصلاة والسلام بينهما.

وجاء في الأحاديث أن الله ـ جل وعلا ـ كلَّم آدم، وجاء في القرآن أن الله كلَّم آدم وحواء ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ=

. . . .

= ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] ناداهما وقال: ألم أنهكما وأقل لكما؟ هذا فيه إثبات الكلام والقول لله عز وجل.

ويكلم عباده يوم القيامة في المحشر ويسمعون كلامه، ويكلم أهل الجنة ويتلذذون بكلامه ومناجاته لهم سبحانه وتعالىٰ، فكلامه صفة من صفاته الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد، بمعنىٰ أنه يتكلم إذا شاء، وهو لا يزال متصفاً بالكلام في الأزل والأبد، ويكلم إذا شاء سبحانه من يشاء من عباده في الدنيا والآخرة ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورىٰ: ٥١] يعني لا أحد يكلمه الله علىٰ سبيل أنه يرىٰ الله، لأن الله لا يُرىٰ في هذه الدنيا، ما رآه لا جبريل ولا محمد ﷺ ولا موسىٰ، وإنما يكلمهم من وراء حجاب، وحجابه النور سبحانه وتعالىٰ؛ لأن الخلق لا يُطيقون رؤيته في هذه الدنيا، أما في الآخرة والجنة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها رؤيته سبحانه وتعالىٰ، فيرونه سبحانه وتعالىٰ عياناً بأبصارهم، كما يرون القمر ليلة البدر، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، كما ثبت وتواتر في الأحاديث.

(والبصر) كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٤] فسمىٰ نفسه بالسميع والبصير، ويؤخذ من هذين الاسمين وصف الله بالسمع والبصر، وأنه يسمع ويرىٰ سبحانه وتعالىٰ، قال لموسىٰ وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وكما أخبر سبحانه وتعالىٰ أنه سمع قول اليهود لما قال: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ =

. . . .

= قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وسمع قول المرأة التي تجادل النبي ﷺ في زوجها لما ظاهر منها ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] ووصف نفسه بالسمع وسمىٰ نفسه بالسميع، يسمع الأصوات كلها، يسمع السر وأخفىٰ، لا يخفىٰ علىٰ سمعه شيء سبحانه وتعالىٰ.

(سمع إرادة وعلم واقتدر) وله إرادة كما أثبت الله لنفسه ذلك أن له إرادة وأنه يريد ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

فالله ـ جل وعلا ـ يريد له إرادة، والإرادة علىٰ نوعين:

إرادة كونية: يخلق بها سبحانه ويُدبر بها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] إذا أراد، فهذه إرادة كونية ترادفها المشيئة، ترادفها مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]. هذه إرادة كونية وهي التي ينشأ عنها الخلق والتدبير.

والنوع الثاني: إرادة شرعية دينية، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم =

. . . .

= ﴿مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. هذه إرادة شرعية.

والفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية أن الإرادة الكونية لا بد أن تقع، فإذا أراد الله أن يخلق شيئاً أو أن يوجد شيئاً أو أن يفعل شيئاً فلا بد أن يقع، وأما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع، الله أراد من عباده الإيمان، ولكن منهم من آمن ومنهم من كفر، فالإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.

وكذلك الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع، وقد لا يحبها ولا يرضاها، مثل كفر الكافر ومعصية العاصي، أرادهما الله كوناً وقدراً ولكنه لم يردهما شرعاً، ولم يرضهما ديناً.

(وعلم) من أسمائه أنه عليم ومن صفاته العلم المحيط بكل شيء، العلم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، يعلم كل شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم كل شيء ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، لا يخفىٰ علىٰ علمه شيء سبحانه وتعالىٰ، هذه صفة العلم. (واقتدر) علىٰ الإيجاد والخلق، والقدرة من صفاته ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: علىٰ كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فقدرته لا يستعصي عليها شيء، خلاف المخلوق، فالمخلوق عنده قدرة ولكنه يعجز عن كثير من الأشياء، إنه لا يقدر علىٰ كل شيء، يقدر علىٰ شيء ويعجز عن شيء، أو يعجز عن أكثر مما يقدر عليه، أما الله ـ جل وعلا ـ فإنه علىٰ كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

٣٧ـ بقـــــدرةٍ تعلَّقَـــــتْ بمُمكِــــنِ
كـــذا إرادةٌ فَـــعِ واسْتَبِـــنِ[1]

٣٨ـ والعِلـــمُ والكَـــلامُ قـــد تعلَّقَـــا
بكـلِّ شـيءٍ يـا خليلـي مُطلقـاً[2]

---

(١) القدرة تتعلق بالممكنات، وكل ممكن فالله قادر عليه، أما المستحيلات هذه ليست بشيء، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والمستحيل هذا ليس بشيء لا يدخل في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقدرته تتعلق بالممكنات.

(بقدرة تعلقت بممكن) بممكن، أي: أن الأشياء الممكن وجودها أو عدم وجودها، الله قادر علىٰ إيجادها، وهذا يشمله قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ علىٰ كل شيء من الممكنات أما المستحيلات فهذه ليست بشيء فلا تدخل في عموم قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

(كذا إرادة) الإرادة أيضاً تتعلق بالممكن، ما أراده الله كان، أما المستحيل فهذا ليس بشيء ولا يدخل في العموم.

(فع واستبن) عِ: فعل أمر من وعىٰ، من الوعي وهو التنبه والحفظ والتدبر، واستبن: يعني تبيَّن واعلم هذا الشيء وتيقنه.

(٢) الفرق بين القدرة والعلم، القدرة تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات، وأما العلم فهو عام لكل شيء لا يُقيد، يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] من الممكنات الواجبات وحتىٰ المستحيلات يعلم الله سبحانه وتعالىٰ كل شيء، ولهذا قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] رجوعهم إلىٰ الدنيا مستحيل،=

٣٩ـ وسَمعُـــه سبحـــانَـــه كـــالبَصَـــرِ
بكـــلِّ مسمـــوعٍ وكُـــلِّ مُبْصَـــرِ[1]

= علم الله سبحانه وتعالىٰ أن هذا المستحيل لو وقع وردوا إلىٰ الدنيا أنهم لا يؤمنون ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٨] فعلم الله أنهم لو ردوا ـ مع أن هذا مستحيل ـ لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والشرك بالله ـ عز وجل ـ، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧] هذا كذب منهم.

فقوله: والعلم تعلق بكل شيء هذا صحيح كما ذكرنا، وأما أن الكلام قد تعلق بكل شيء فلا، الكلام من أفعاله سبحانه وتعالىٰ، صفة من صفات الأفعال لا تتعلق بكل شيء وإنما هي تابعة للمشيئة والإرادة كسائر أفعاله سبحانه وتعالىٰ، يفعلها إذا شاء، ويتكلم إذا شاء سبحانه.

(١) سمعه وبصره عامّان لكل مسموع وكل مُبصَر، كلّ مسموع فإن الله يسمعه، وكل مُبصَر فإن الله ـ جل وعلا ـ يبصره ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥] وأما غير المسموع وغير المُبصَر هذا ليس بشيء.

* * *

فصل

في مبحث القرآن

٤٠- وأنَّ مـا جـاءَ مـع جبـريـلِ
مِـن مُحْكَـمِ القـرآنِ والتَّنـزيـلِ(١)

---

(١) لما أثبت لله الكلام العامّ ذكر الكلام الخاص وهو القرآن، القرآن من أفراد كلام الله ـ عز وجل ـ، يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] ليس لكلام الله حصر ولا نهاية، لا بداية له ولا نهاية، يعني جنس الكلام ليس له بداية ولا نهاية، ما زال الله يتكلم ويأمر وينهىٰ من الأزل إلىٰ الأبد، وهو يتكلم ويأمر وينهىٰ إذا شاء سبحانه وتعالىٰ، ولا يحصي كلامَه شيءٌ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ كل ما في هذا الكون مما كان وما يكون كله وُجدَ بكلام الله، بقول الله له كن فيكون ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] هذه مثل آية الكهف أن كلام الله لا حصر له، هو ما زال سبحانه يتكلم إذا شاء، وتكلم فيما مضىٰ، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم كلما شاء سبحانه، وكل مخلوقاته وكل تدبيراته فهي بكلامه سبحانه وتعالىٰ، يقول للشيء: كن، فيكون، ويأمر وينهىٰ ويحلل ويحرم.

ومن كلام الله ـ عز وجل ـ القرآن الذي جاء به جبريل إلىٰ محمد ﷺ، فهو كلام الله، منزل من الله، تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل، كلمه الله ـ جل وعلا ـ من وحيه بما شاء ونزل به إلىٰ محمد ﷺ، وكذلك علىٰ=

. . . .

= من قبله من الرسل، فإن الله يكلم جبريل من وراء حجاب، ويسمع جبريل كلامه؛ لأن جبريل هو أمين الوحي، ثم ينزل به، ويبلِّغه إلىٰ الرسول البشري، ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

فالقرآن كلام الله ـ عز وجل ـ حقيقة، لا أنه مخلوق كما تقوله الجهمية، فالجهمية يقولون: الله لا يتكلم، ولا يجوز في حقه أن يتكلم ـ تعالىٰ الله عما يقولون ـ وإنما كلام الله مخلوق، لأن الله خَلَقَه كسائر المخلوقات، خَلَقَه في جبريل أو خَلَقَه في الهواء، وسمعه جبريل، أو أنه خلقه في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، ونزل به علىٰ محمد ﷺ. هذا قول الجهمية.

وكذلك المعتزلة أخذوا بقول الجهمية، وقالوا: الله ـ جل وعلا ـ لا يتكلم ولا يليق به أن يتكلم وإنما خلق الكلام في غيره.

والأشاعرة أخذوا بعض قول الجهمية وتركوا بعضه، فاثبتوا لله الكلام النفساني، وهو المعنىٰ القائم بنفسه سبحانه وتعالىٰ، وأما الحروف والأصوات فهذه من قول المخلوق، عَبَّرَ بها عنه جبريل أو حكىٰ بها عنه جبريل، أو عَبَّر بها عنه محمد أو حكىٰ بها عنه محمد، فالمعنىٰ غير مخلوق، وأما اللفظ عند الأشاعرة فهو مخلوق. وأما المعاني فهي من الله ﷺ سبحانه وتعالىٰ، هذا عند الأشاعرة. وهذا خلط بين مذهب أهل السنة ومذهب الجهمية، لا هم صاروا مع الجهمية وقالوا: القرآن مخلوق، ولا هم صاروا مع أهل السنة وقالوا: القرآن منزل من عند الله لفظه ومعناه، وإنما خلطوا بين الأمرين وجعلوا القرآن بعضه من الله وبعضه من غيره، تعالىٰ الله عما يقولون. =

٤١- كـــلامُـــهُ سُبحـــانَـــه قَـــديـــمُ

أعيـا الـورَىٰ بـالنـصِّ يـا عليـمُ(١)

= أما أهل السنة والجماعة فيقولون: القرآن كلام الله لفظه ومعناه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل كله لفظه ومعناه وحروفه كله من الله سبحانه وتعالىٰ، تكلم الله به حقيقة كما يليق به سبحانه وتعالىٰ، وسمعه منه أمين الوحي جبريل عليه السلام، وبلغه إلىٰ محمد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ وهو جبريل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] تلكم الله به باللسان العربي، فلفظه ومعناه وحروفه كله من الله سبحانه وتعالىٰ، ليس بعضه مخلوق كما تقوله الأشاعرة، وليس كله مخلوق كما تقوله الجهمية والمعتزلة، بل كله ليس بمخلوق، لا لفظه ولا معناه ولا حروفه.

(١) (كلامه سبحانه قديم) كلمة قديم فيها تفصيل ذكرناه فيما سبق أن صفات الأفعال لا يقال: إنها قديمة مطلقاً ولا حادثة مطلقاً، وإنما يقال: قديمة النوع حادثة الآحاد، فالقرآن ليس قديماً، بل هو محدث من كلام الله ـ جل وعلا ـ قال تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أي: حادث التكلم من الله ـ جل وعلا ـ فهو من أفراد كلامه التي تتجدد حسب مشيئته وإرادته. وهل يقال إن قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١] أن هذا قديم؟ بل إنه سبحانه سمعه وقت الكلام وقت المحاورة، حين كانت تجادلك. أنزل فيه القرآن، أنزل فيه سورة المجادلة، فكلام الله قديم النوع والجنس لكنه حادث الآحاد، يتكلم إذا شاء سبحانه وتعالىٰ. فقوله: (قديم) ليس علىٰ إطلاقه. =

. . . .

= (أعيا الورىٰ بالنص يا عليم) أعيا الورىٰ: يعني أعجز الخَلْقَ كلَّهم، هذا بلا شك أن القرآن المعجزة الكبرىٰ لمحمد ﷺ، وهو معجز من عدة نواح، معجز من جهة لفظه وبلاغته، فمع كونه بلفظ عربي أعجز العرب كلهم فصحاءهم وشعراءهم وخطباءهم، أعجزهم أن يأتوا بسورة من مثله، حيث تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، هذه الآية نزلت علىٰ الرسول ﷺ في مكة قبل الهجرة، تحدىٰ قريشاً وهو في مكة مع شدة عداوتهم وتكذيبهم له ﷺ، تحداهم الله أن يأتوا بمثله.

وفي سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أخبر أنهم لن يفعلوا في المستقبل إلىٰ يوم القيامة، وباب التحدي مفتوح إلىٰ أن تقوم الساعة، أين الذي يجيء بسورة من القرآن؟ إلىٰ أن تقوم الساعة باب التحدي لا يزال مفتوحاً ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وفي سورة هود تحداهم أن يأتوا بعشر سور ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣] تحداهم أولاً أن يأتوا بمثل القرآن، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة، فعجزوا عن ذلك كله رغم كفرهم وعداوتهم =

. . . .

= لرسول الله ﷺ، ورغم عنادهم عجزوا أن يأتوا بسورة، بل بأقصر سورة، عجزوا أن يأتوا بمثل سورة الإخلاص أو سورة الكوثر، أقصر سورة من القرآن.

فهذا دليل علىٰ أن القرآن من عند الله ـ عز وجل ـ وليس هو من كلام محمد، إذ لو كان من كلام محمد، أو من كلام جبريل وهو مخلوق مثلهم لما عجزوا أن يأتوا بمثله، فدل علىٰ أنه كلام الخالق وليس كلام المخلوق.

معجزات الأنبياء تنتهي بوقتها، ولكن معجزة هذا الرسول مستمرة إلىٰ أن تقوم الساعة، وهو معجز أيضاً بمعانيه العظيمة وما يشتمل عليه من المعاني والأخبار، وأنه ما من شيء يحدث أو حادثة تحدث إلا وفي القرآن بيان حكمها، وإذا أشكلت مشكلة أو نزلت نازلة ورجع العلماء ـ وليس العوام أو الجهال ـ إذا رجع العلماء إلىٰ القرآن وجدوا حكمها في القرآن ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]، لكن هذا شأن العلماء أنهم إذا رجعوا إلىٰ القرآن وجدوا حكم النازلة في القرآن، فهذا من إعجاز القرآن وهو شموله للأحكام الماضية والأحكام المتجددة والنازلة إلىٰ أن تقوم الساعة.

وما من مبطل يحتج علىٰ قوله الباطل إلا والقرآن يرد عليه باطله، هذه معجزة في القرآن أيضاً، ولكن هذا لا يتنبه إليه إلا أهل العلم وأهل البصيرة ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣].

ومن إعجاز القرآن إخباره بالمغيبات الماضية والمستقبلة وتقع كما أخبر، فهذا من إعجاز القرآن. فالقرآن معجز بلفظه، ومعجز بمعناه، =

٤٢ـ وليسَ في طَوْقِ الورَىٰ مِن أصلِهِ
أنْ يَستطيعوا سُورَةً مِن مِثْلِهِ[1]

= ومعجز في أخباره، ومعجز في بلاغته، فالقرآن معجز من كل وجه، إنه معجزة الرسول ﷺ الكبرىٰ.

فقوله: (أعيا الورىٰ) يعني أعجز الورىٰ، وهم الخلق كلهم، الجن والإنس ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] هذه آية من آيات الله ـ عز وجل ـ.

(١) (ليس في طوق الورىٰ) يعني ليس في استطاعة الخلق أن يأتوا بسورة من مثله، وهذا في القرآن ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[يونس:٣٨] فلم يستطيعوا، والسورة تشمل أقصر سورة، لو أرادوا أن يأتوا بمثل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أو ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أو ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ ما استطاعوا.

❊ ❊ ❊

فصل

في ذكر الصفات التي يثبتُها لله تعالىٰ أئمةُ السلف وعلماءُ الأثر

٤٣ـ وليسَ ربُّنا بِجَوْهرٍ ولا
عَرَضٍ ولا جِسْمٍ تعالَىٰ ذو العُلا(١)

---

(١) أراد الناظم ـ رحمه الله ـ أن ينزه الله عن الأشياء التي لا تليق به، وهذا شيء واجب أن ينزه الله عن ما لا يليق به، كما نزه نفسه عن ذلك، ونزهه رسوله ﷺ، ونزهه المسلمون عن ما لا يليق به سبحانه.

ولكن هذه الألفاظ التي ذكرها الناظم وهي: (الجوهر والعرض والجسم) إنما هي من اصطلاحات المتكلمين ولم يرد لها ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، وما لم يرد له ذكر في الكتاب والسنة فإنه يُسكت عنه لا يُثبت ولا يُنفىٰ.

ومرادهم بالجوهر الشيء المحسوس، ما يسميه الناس الآن بالماديات، والعَرَض هو الشيء الذي ليس له مادة، وإنما يعرض ويزول، مثل الألوان البياض والحمرة والصفرة والريح، وغير ذلك مما ليس له جسم، هذا هو العرض، أي: الأشياء العارضة، أو بعبارة أخرىٰ نقول: الجوهر ما يقوم بنفسه، والعرض ما لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره، كالألوان البياض والحمرة والصفرة فهذه لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بغيرها، والجسم هو الشيء المجسم مثل جسم الإنسان، وجسم الحيوان، الجسم مما له أعضاء وله مكونات، أي: مركب من أشياء، هذا هو الجسم. هذا من حيث معاني هذه الألفاظ. أما أنها تثبت لله أو تنفىٰ عن الله فهذه لم =

٤٤ـ سُبحانَه قد استوَىٰ كما وَرَدْ
مِن غيرِ كيفٍ قد تعالَىٰ أنْ يُحَدّ[١]

= يرد لها ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، مع أن القائلين بها يريدون بها نفي الصفات وهم المتكلمون يقولون: إن الصفات لا تقوم إلا بالجسم، والله منزه عن الجسم، والأفعال حوادث، والحوادث لا تكون إلا بالجسم، والله منزه عن الجسم. هذه الألفاظ هي اصطلاحات للمتكلمين.

فالناظم ـ رحمه الله ـ جرىٰ في هذا علىٰ ما جرىٰ عليه المتكلمون، وكان ينبغي أن لا يذكر هذه الأشياء؛ لأنها لا تُثْبَت ولا تُنفىٰ، لأنها يحتمل أن يُراد بها حق، ويحتمل أن يُراد بها باطل، وأيضاً هذه الألفاظ لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، إنما نثبت لله ما أثبته لنفسه، وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه، وهذه الألفاظ لم يرد لها ذكر فينبغي الإعراض عنها، لكنه ـ رحمه الله ـ قد يجري علىٰ لسانه شيء من اصطلاحات المتكلمين نظراً لأنه قرأ في كتبهم، وأخذ بعض عباراتهم، إلا أنه لم يتنبه لها.

عرفنا أن هذه الألفاظ التي ذكرها الناظم وأمثالها لا تثبت لله ولا تنفىٰ عنه؛ لأنه لم يرد ذلك في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأيضاً قد يُراد بها حق وقد يُراد بها باطل، فلا يجوز نفيها ولا إثباتها.

(١) نثبت لله الاستواء علىٰ العرش كما جاء ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله ـ عز وجل ـ كلها بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(*)، فنحن نثبت هذا =

(*) ورد هذا اللفظ في الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤، وفي سورة طه الآية: ٥ بلفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

. . . .

= لله. واستوىٰ: معناه ارتفع وعلا، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تفسير الاستواء:

ولهم عباراتٌ عليها أربعٌ ... قد حُصِّلَتْ للفارسِ الطّعّانِ

وهي استقرَّ وقد علا وكذلك ارْ ... تَفَعَ الذي ما فيه مِن نُكرانِ

وكذاكَ قد صَعِدَ الذي هو رابعٌ ... وأبو عُبيدةَ صاحب الشيباني

يختارُ هذا القولَ في تفسيرِهِ ... أدرىٰ مِن الجَهْمِيِّ بالقرآنِ

أربعة معانٍ للاستواء: استقر، علا، ارتفع، صَعِد، كلها تعني الاستواء، وهي ثابتة لله أياً ما عبرت به فهو حق، فمعنىٰ استوىٰ علىٰ العرش، أي: ارتفع أو استقر أو علا أو صَعِد. والاستواء علىٰ العرش من صفات الأفعال التي يفعلها متىٰ ما شاء مثل النزول إلىٰ سماء الدنيا من صفات الأفعال يفعلها إذا شاء سبحانه وتعالىٰ. ولذلك جاء ذكر الاستواء متأخراً عن خلق السماوات والأرض في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أما العلو فهو ثابت لله سبحانه وتعالىٰ لا ينفك عنه، لأنه صفة ذات وأما الاستواء فهو صفة فعل يفعله إذا شاء، ولذا رُتِّب بـ«ثُمّ» ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بعد خلق السماوات والأرض. فيجب التفريق بين العلو والاستواء، العلو صفة ذات لا ينفك عنه سبحانه وتعالىٰ، وأما الاستواء فإنه صفة فعل يفعله إذا شاء، ولا نعلم كيفية الاستواء، فلذلك لا نبحث في الكيفية وإنما نبحث في المعنىٰ فقط، أما كيف استوىٰ علىٰ العرش؟ هذا كسائر صفاته لا يعلم كيفيتها إلا الله جل وعلا.

ولهذا لما سُئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إمام دار الهجرة، سأله رجل فقال: الرحمٰن علىٰ العرش استوىٰ كيف استوىٰ؟ ـ ما سأله عن=

. . . .

= معنىٰ الاستواء وإنما سأله عن معنىٰ الكيفية كيف استوىٰ ـ فأطرق الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وعلته الرُّحَضَاء، يعني العرق، حياء من الله سبحانه وتعالىٰ ثم رفع رأسه، فقال: (الاستواء معلوم) يعني معلوم معناه (والكيف مجهول) لأنك تسألني عن الكيف، والكيف مجهول (والإيمان به واجب، والسؤال عنه) أي: عن الكيف (بدعة) فالذي يسأل عن كيفية الصفات مبتدع، أما الذي يسأل عن معناها فسؤاله صحيح، وهو لم يسأل عن معنىٰ الاستواء، ولهذا قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم) يعني معلوم معناه (والكيف مجهول) لا أنا ولا أنت ولا أحد من الخلق يعرفه، ثم قال: (وما أراك إلا صاحب بدعة) فأمر به فأُخرج وطُرد(*)؛ لأنه لا يجوز السؤال عن هذه الأمور، لأنه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالىٰ وسؤال فيه تنطع وتكلف.

ويا ليت كثيراً من المتعلمين الآن يأخذون هذه القاعدة: أنهم لا يسألون عن الكيفية، ولا يدخلون في شيء من الأسئلة في حق الله جل وعلا. نحن منهيون عن الدخول فيها (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) هذه قاعدة عظيمة في جميع الصفات، ليس هي في الاستواء فقط، بل في جميع صفات الله عز وجل. =

(*) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن جعفر بن عبد الله، ٢/ ٤٤١ (٦٦٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص: ٤٠٨، عن عبد الله بن وهب ويحيىٰ بن يحيىٰ عن مالك، وقد جوَّد الحافظ ابن حجر رواية عبد الله بن وهب، قال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب. انظر «فتح الباري» ١٣/ ٤٩٨ كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وأورده البغوي في «شرح السنة» ١/ ١٧١ بدون ذكر السند.

. . . .

= فالاستواء معلوم معناه، وهو ثابت لله في سبعة مواضع من القرآن كلها بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(*). لكن الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين لا يثبتون الاستواء، بل ينفون العلو والاستواء، يقولون: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، يزيدون لاماً في تفسيرهم لـ«استوىٰ» لتصبح «استولىٰ»، وهذه اللام لم ترد في كتاب الله، كل الآيات ورد فيها «استوىٰ» بدون لام، كيف جاؤوا بهذه اللام؟ هذه زيادة من عندهم. فهم مثل اليهود، لما قيل لهم: قولوا: حطة، أي: حطّ عنا ذنوبنا، قالوا: حنطة. زادوا نوناً، يريدون الطعام، لأن همهم بطونهم، لا يستغفرون ولا يريدون من الله المغفرة وإنما يطلبون الطعام، فقالوا حنطة. كما قال الله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١] لو أنهم فعلوا ما أمرهم الله به لغفر لهم، لو أنهم قالوا: حطة، يعني حط عنا ذنوبنا، واغفر لنا، ودخلوا ساجدين لله ـ عز وجل ـ لغفر الله لهم، لكنهم بدلوا القول، فقالوا: حنطة بدل حطة، وبدلوا الفعل فلم يسجدوا لله، وإنما دخلوا يزحفون علىٰ أستاههم ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. كذلك هؤلاء بدلوا قولاً في الاستواء غير الذي قيل لهم، قال الله في الاستواء: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقالوا هم: استولىٰ علىٰ العرش. هذه زيادة في كتاب الله.

وأيضاً الاستيلاء علىٰ العرش معناه أنه كان قبل ذلك غير مستولٍ ثم استولىٰ عليه، وأيضاً الاستيلاء ليس خاصاً بالعرش، هو مستولٍ علىٰ =

(*) انظر ما تقدم في ص٩١.

. . . .

= كل شيء، يكون إذاً لا ميزة للعرش، فالله قد استولىٰ علىٰ الأرض واستولىٰ علىٰ السماء واستولىٰ علىٰ الكون كله، كله في ملكه، وما ميزة العرش لأنه ملك لله وأنه خُلِق لله ـ عز وجل ـ ما له ميزة.

وقد أبطل شيخ الإسلام تفسير استوىٰ باستولىٰ من عشرين وجهاً في رسالة مستقلة، وزاد عليها ابن القيم عشرين فصارت أربعين وجهاً ـ وهذا في قصيدته النونية ـ كلها تُبطل تفسير استوىٰ باستولىٰ.

وقول الناظم: (سبحانه قد استوىٰ كما ورد) كما ورد: يعني في القرآن والسنة.

(من غير كيف) لأن كيفية الاستواء مجهولة، كما قال الإمام مالك: الكيف مجهول. وهذا مجمع عليه. إن الكيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، واستواء الله علىٰ عرشه ليس كاستواء المخلوق علىٰ المخلوق، لا يعلم كيفيتها إلا هو، المخلوق إذا استوىٰ علىٰ شيء فهو محتاج إليه، وهذا الشيء يحمله، كما إذا استويتَ علىٰ الدابة أو علىٰ السيارة أو علىٰ السطح فأنتَ محتاج إلىٰ الذي تحتك وهو يحملك، أما الله ـ جل وعلا ـ فهو ليس بحاجة إلىٰ الخلق لا إلىٰ العرش ولا إلىٰ غيره بل العرش محتاج إليه سبحانه، العرش لا يحمله سبحانه ولا يقله وإنما العرش والمخلوقات محتاجة إليه ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١] المخلوقات محتاجة إلىٰ الله، العرشُ وغيرُه، فالله ليس بحاجة إلىٰ العرش كما في استواء المخلوق علىٰ المخلوق، لكن نثبت هذا الاستواء لله كما أثبته لنفسه.

=

٤٥ـ فــلا يُحيــطُ عِلْمُنــا بــذاتِــهِ
كـذاكَ لا يَنفَـكُّ عـن صفـاتِـهِ[١]

= قال الناظم: (قد تعالىٰ أن يحد) تعالىٰ الله ـ جل وعلا ـ أن يُحَدّ، يعني أن يحاط به وبصفاته سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الله ـ جل وعلا ـ لا يحاط به ولا بأسمائه ولا بصفاته، ولا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالىٰ، فنحن نؤمن بها من غير تكييف ومن غير حَدٍّ. أي: من غير إحاطة بها.

(١) (فلا يحيط) هذا تفسير لقوله: (قد تعالىٰ أن يحد) فلا يمكن أن يحاط به.

(لا يحيط علمنا) لا يحيط علمنا بذات الله ـ جل وعلا ـ كذلك لا يحيط علمنا بصفاته سبحانه وتعالىٰ، فالصفات تابعة للذات، فكما أنه لا يحيط علمنا بذاته فإنه لا يحيط علمنا بصفاته سبحانه وتعالىٰ، ولا يحدها، لعظمته سبحانه وتعالىٰ.

(كذلك لا ينفك عن صفاته) لا ينفك ـ جل وعلا ـ عن صفاته، يعني أن صفاته ملازمة له لا يخلو منها أبداً، لا يأتي وقت يكون فيه الله ـ جل وعلا ـ دون صفات، بل صفاته ملازمة لذاته لا بداية لها ولا نهاية لها كذاته جل وعلا. أما الأفعال كالنزول والاستواء والمجيء والإتيان فهذه يفعلها إذا شاء سبحانه وتعالىٰ، فَعَلَ في الماضي، ويفعل في المستقبل جل وعلا، فصفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، يفعلها متىٰ شاء سبحانه وتعالىٰ، أما صفات الذات كالسمع والبصر والوجه واليد، وغيرها من صفات الذات فهي ملازمة لذاته لا تنفك عنه سبحانه وتعالىٰ أزلاً ولا أبداً، أما الأفعال فإنه يفعل إذ شاء سبحانه وتعالىٰ.

(لا ينفك عن صفاته) هذا فيه إجمال، إن كان يريد صفات الذات فنعم لا ينفك عن صفاته سبحانه وتعالىٰ، لا يزال سميعاً بصيراً عليماً حكيماً، =

٤٦ـ فكُلُّ ما قد جاءَ في الدليلِ
فثابِتٌ مِن غيرِ ما تَمثيلِ(١)

= أما الأفعال فإنها يفعلها إذا شاء سبحانه وتعالىٰ، ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يخلق، ويرزق، ويحيي، ويميت، ويتكلم، سبحانه وتعالىٰ متىٰ شاء وكيف شاء.

(١) (فكل ما قد جاء في الدليل) هذه هي القاعدة ما جاء في الدليل، أنت لا تثبت لله شيئاً لم يرد به دليل في كتاب الله وسنة رسوله من الأسماء والصفات والأفعال، ولهذا يقولون: هي توقيفية، ولذلك أنكرنا علىٰ الناظم قوله: وليس ربنا بجوهر ولا عرض؛ لأن هذه الألفاظ ما وردت بالدليل، وهي خارجة عن القاعدة فنحن نفيناها واستنكرناها، فالواجب اتباع الدليل في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالىٰ؛ لأنه أعلم بنفسه، ورسوله أعلم الخلق به، وأما نحن فلا نقول إلا ما جاءنا عن الله أو عن رسوله ﷺ، نتبع الدليل في هذا.

(فثابت من غير ما تمثيل) ثابت لله ـ عز وجل ـ كل ما جاء به دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات فإنه ثابت نثبته لله، ننفي عنه ما نفاه عن نفسه سبحانه من المثل والشبيه والظهير والمعين والوزير، ننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه سبحانه وتعالىٰ ونثبت له ما أثبته لنفسه.

(من غير ما تمثيل) من غير أن نمثل الله ـ جل وعلا ـ، نثبت الأسماء والصفات ولا نمثلها بأسماء وصفات خلقه، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] فلا نمثل، ولا نغلو في الإثبات ونقول: هي مثل كذا ومثل كذا، بل نقول: نثبتها، ولكن نؤمن =

٤٧- مِن رَحْمَةٍ ونَحوِها كوجهِهِ ويدِهِ وكلِّ ما مِن نَهْجِهِ[(١)]

= أنه لا يشبهها شيء من صفات المخلوقين، وهذا معنىٰ قولهم: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، لأننا بين فرقتين ضالتين:

فرقة غلت في التنزيه حتىٰ نفوا أسماء الله وصفاته، بزعمهم أنهم ينزهون الله عن مشابهة المخلوقين، والتنزيه حق لكن من غير غلو.

والطائفة الثانية غلت في الإثبات حتىٰ شبهت الله بخلقه.

وأهل السنة والجماعة توسطوا، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله من غير تمثيل أو تشبيه، ونزهوه عن مشابهة المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل. هذه قاعدة عظيمة: تنزيه بلا تعطيل، وإثبات بلا تمثيل. من أين أخذنا هذه القاعدة؟ من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الآية فيها نفي وفيها إثبات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ نفت المثلية، وأثبتت الأسماء والصفات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(١) (من رحمة) الله - جل وعلا - وصف نفسه بالرحمة ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] وصف نفسه بالرحمة، وسمّىٰ نفسه بالرحمٰن الرحيم، فنحن نثبت لله الرحمة كما أثبتها لنفسه ولكن ليست كرحمة المخلوق، المخلوق يرحم، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن»[(*)] والله - جل وعلا - يرحم، ولكن ليست =

(*) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١١/٣٣ (٦٤٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

. . . .

= رحمة المخلوق مثل رحمة الخالق سبحانه وتعالىٰ. وقال تعالىٰ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] الله يرضىٰ ويوصف بالرضا، والمخلوق أيضاً يوصف بالرضا، ولكن يوجد فرق بين رضا الخالق ورضا المخلوق. الله ـ جل وعلا ـ يغضب ويسخط ويمقت ويكره، كل هذا ثابت لله سبحانه وتعالىٰ، والمخلوق كذلك يغضب ويمقت ويسخط ويكره لكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوقين.

الله ـ جل وعلا ـ له وجه قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والمخلوق له وجه، والوجه من صفات الذات، لكن مع الفرق بين وجه المخلوق ووجه الخالق سبحانه وتعالىٰ، لا يشبه هذا هذا.

الله ـ جل وعلا ـ له يد قال تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وله يدان قال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، والمخلوق له يدان ولكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، إننا نثبت لله ما أثبته لنفسه من صفات الأفعال وصفات الذات، وننزهه ـ جل وعلا ـ عن مشابهة صفات مخلوقين.

وقوله: (وكل ما من نهجه) أي كل ما ورد بهذا المعنىٰ من الأسماء والصفات، صفات الذات وصفات الأفعال، فإننا نثبتها لله ـ عز وجل ـ ولا نتوقف فيها كما توقف فيها أو نفاها أهل الضلال وأهل الجهل بالله عز وجل. نحن نؤمن بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبما جاء فيهما، نؤمن بذلك ولا نتوقف في الإيمان بما في الكتاب والسنة.

٤٨ـ وعَينِــــهِ وصِفَـــةِ النُّـــزولِ وخَلْقِـهِ فـاحـذَرْ مِـن النُّـزولِ[١]

(١) (وعينه) جاء إثبات العين لله بالإفراد، كما في قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طٰه: ٣٩] وجاء بلفظ الجمع قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] يعني بمرأىٰ منا وكلاءة وحفظ من الله سبحانه وتعالىٰ، هو الذي يسيرها فوق الأمواج ويحفظها، فهي تجري بمرأىٰ من الله سبحانه، جاء الإفراد بالنسبة للإضافة إلىٰ مفرد، والجمع بالنسبة للإضافة إلىٰ ضمير الجمع، والله ـ جل وعلا ـ له عينان كما في حديث الدجال «ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»[*] والأعور من ليس له إلا عين واحدة، والله ـ جل وعلا ـ له عينان يبصر بهما ويرىٰ بهما، ولا يحجبهما شيء من خلقه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طٰه: ٤٦].

(وصفة النزول) النزول من صفات الأفعال، العين من صفات الذات، والنزول إلىٰ سماء الدنيا هذا من صفات الأفعال، كما تواتر الحديث أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأُعطيَه؟ من يستغفرني فأغفرَ له؟»[**] فهذا الوقت وقت النزول الإلٰهي. فينبغي للمسلم أن يستيقظ في هذا الوقت ويصلي ويسأل الله ـ عز وجل ـ ويدعوه ويرفع حوائجه إليه؛ لأنه قريب مجيب. وقد وعد أنه سيستجيب له وهو لا يُخلف وعده. فلا ينبغي للإنسان أن يصير كالجيفة تفوت عليه هذه المواسم العظيمة، كل ليلة؟ =

(*) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(**) سلف تخريجه ص٦٦.

. . . .

= والشاهد منه نزول الله ـ جل وعلا ـ إلىٰ سماء الدنيا، صفة فعل مثل الاستواء علىٰ العرش، نثبته لكن لا نعلم كيفيته، كيف ينزل؟ الله أعلم لكن نثبت أنه ينزل سبحانه وتعالىٰ نزولاً يليق بجلاله، ليس هو كنزول المخلوق عن المخلوق، حاشا وكلا، نزول الله ـ جل وعلا ـ يليق بجلاله وعظمته، ولا يعلم كيفيته إلا الله، لكن نثبت أن الله ـ جل وعلا ـ ينزل إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة، خلاف أهل الضلال الذين يقولون: ينزل أمره.

هل أمره يقول: هل من سائل فأعطيه؟! هل الأمر يعطي؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل الأمر يُدعىٰ، هل هو يستجيب؟ هل من مستغفر؟ هل الأمر يُستغفر؟ يا سبحان الله، أين العقول؟ هذا دليل علىٰ أن الذي ينزل هو الله ـ جل وعلا ـ وهو الذي يتكلم ويقول كذا وكذا، وهو الذي وعد بهذا. فهذا حق علىٰ حقيقته لا نرتاب فيه ولا نشك فيه.

وقوله: (وخلقه) أي: وكذلك يخلق سبحانه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

فمن صفاته سبحانه أنه يخلق، والخلق صفة فعل، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] من أسمائه الخالق ومن صفاته الخلق، وهي صفة فعل، لا يزال يخلق سبحانه وتعالىٰ ويرزق ويحيي ويميت ويدبر، لا حَدَّ لأفعاله سبحانه، لا بداية ولا نهاية لها. =

٤٩ـ فسائرِ الصِّفاتِ والأفعالِ
قديمةٍ للهِ ذي الجلالِ[1]

= (فاحذر من النزول) احذر من النزول عن الحق، احذر أن تنزل من الحق إلىٰ الباطل فتخوض في أسماء الله وصفاته بغير علم، هذا نزولٌ وانحطاط، وأما الإيمان بالله وأسمائه وصفاته فهو سمو وارتفاع، احذر أن تنزل من السمو والارتفاع والتوحيد إلىٰ الشرك والتمثيل والتعطيل.

(١) إطلاقه أن سائر الأسماء والصفات قديمة هذا إجمال لا يجوز بل فيه تفصيل، أما صفات الذات فهي قديمة لا بداية لها ولا نهاية، وأما صفات الأفعال فهي قديمة النوع حادثة الآحاد والأفراد، قديمة النوع بمعنىٰ أن الله يخلق ويرزق بدون حد لا بداية ولا نهاية، قديمة النوع يعني الجنس، وأما آحاد الخلق والفعل فالله ـ جل وعلا ـ يفعل ما يشاء إذا شاء، الآحاد حادثة وأما نوع الفعل فهو قديم. الله ـ جل وعلا ـ كلَّم الأبوين: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] هذا كلام حادث في وقته. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] هذا حادث في وقت تكليمه لموسىٰ عليه السلام، سمع موسىٰ كلامه وخطابه، ولذلك سمي موسىٰ بالكليم عليه الصلاة والسلام، وهذه مرتبة لم ينلها غيره، وهي أن الله كلمه بدون واسطة، ولذلك سمي بكليم الله، وهذا تكليم حادث في وقته.

وكلَّم نبينا محمداً ﷺ ليلة المعراج، وكلَّم جبريل عليه السلام بالوحي وكلمه بالقرآن، فأفعال الله ـ جل وعلا ـ تتجدد وليست قديمة مطلقة، قديمة النوع لكنها حادثة الأفراد والآحاد، فقول الناظم ـ رحمه الله ـ إن صفاته قديمة علىٰ الإطلاق هذا خطأ، لا بد من التفصيل فيه.

٥٠ـ لكــنْ بــلا كيــفٍ ولا تمثيــلِ
رَغْمـاً لأهـلِ الـزَّيْـغِ والتَّعطيـلِ(١)

---

(١) هذه هي القاعدة أننا نثبت أسماء الله وصفاته الذاتية والفعلية إثباتاً بلا تمثيل، يعني لا نغلو في الإثبات كما غلت الممثلة، ولا نغلو في التنزيه بل ننزهه عن صفات المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل، لا نفعل كما فعلت الجهمية والمعتزلة الذين جعلوا من التنزيه نفي الأسماء والصفات، وزعموا أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه والتمثيل، فنحن نتبرأ من طريقتهم، نثبت بلا تمثيل وننزه بلا تعطيل. هذه هي القاعدة العظيمة في الأسماء والصفات، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو الوسط بين الإفراط والتفريط.

وأهل السنة والجماعة ولله الحمد وسط في كل أمور الدين، لا غلو ولا تساهل، لا إفراط ولا تفريط، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، الوسطية كما أن الأمة وسط بين الأمم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فأمة محمد وسط بين الأمم، أي عدل خيار، وليس عندها غلو، وليس عندها تفريط، فهي متوسطة. كذلك أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، بين فرق التعطيل وفرق التمثيل، أو فرق الغلو وفرق التساهل، في أبواب كثيرة أهل السنة وسط ـ ولله الحمد ـ في كل ما اختلف فيه الناس، أهل السنة هداهم الله إلىٰ الحق والوسط ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] مستقيم: معتدل ليس فيه انحراف بزيادة، ولا فيه انحراف بنقص، وإنما هو صراط مستقيم معتدل.

وقوله: (رغماً لأهل الزيغ والتعطيل) من طائفتي الممثلة والمعطلة، نحن نراغمهم ونخالفهم، فنثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات =

٥١ـ فَمُـرَّهـا كمـا أتَـتْ فـي الـذِّكْـرِ
مِـن غيـرِ تـأويـلٍ وغيـرِ فِكْـرِ[١]

٥٢ـ ويَستحيـلُ الجَهـلُ والعَجـزُ كَمَـا
قد استحالَ الموتُ حَقّاً والعَمَىٰ[٢]

= خلافاً للمعطلة، وننزه الله جل وعلا عن صفات المخلوقين وأسماء المخلوقين خلافاً للمشبهة والممثلة.

(١) أَمِرّ الأسماء والصفات كما أتت في الذكر، يعني في القرآن، فنحن نُمِرّ ما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات كما جاء بلفظها ومعناها، نُمِرّها بلفظها ومعناها، لا نُحرّف لفظها، ولا نؤوّل معناها، بل نُمِرّها كما جاءت، وليس معنىٰ نُمِرّها أننا نُمِرّ اللفظ، ونفوض معناه إلىٰ الله كما هو مذهب المفوضة الذين يقولون: نُمِرّ لفظها، ونَكِل معناها إلىٰ الله. هذا تفويض، بل نحن نُمِرّ لفظها ولا نحرفه ونؤمن بمعناها ولا نفوض كما تقوله المفوضة؛ لأن من فوّض فقد عطّل وشبّه، فنحن ـ ولله الحمد ـ نُمِرّها أي: نقرؤها ونثبتها كما جاءت في كتاب الله، لا نغير شيئاً من لفظها كما غيّر من قال: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، أو نغير معناها فنقول: اليد بمعنىٰ القدرة، والوجه بمعنىٰ الذات، والرحمة بمعنىٰ إرادة الإنعام، إلىٰ غير ذلك من التأويلات، أو نقول: جاء ربك، أي: جاء أمره، ينزل ربنا، أي: ينزل أمره، كما يقوله الذين حرفوا معناها. ومنهم مَن حرّف لفظها.

(٢) يستحيل في حق الله ـ جل وعلا ـ الجهل، فالله ـ جل وعلا ـ عالم بكل شيء، والجهل نقص ينزه الله عنه سبحانه وتعالىٰ. (والعجز) ينزه الله عنه؛ لأن له القدرة التامة ـ جل وعلا ـ لا يعجزه شيء. (والعمىٰ) يعني =

٥٣ـ فكُلُّ نَقْصٍ قد تَعالَىٰ اللهُ
عنه فيا بُشرَىٰ لمن وَالاهُ[(١)]

= عدم البصر، والله ـ جل وعلا ـ سميع بصير. وقوله: (قد استحال الموت) أي: كما استحال علىٰ الله الموت فهو ﴿ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] لا يعتريه موت بل لا يعتريه سنة ولا نوم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لا يعتريه سنة ولا نوم، لا يعتريه الموت الأصغر وهو النوم، والموت الأكبر وهو عدم الحياة، والله ـ جل وعلا ـ لا يزال حياً ولم يزل حياً سبحانه وتعالىٰ، لا يعتري حياته نقص ولا زوال.

(١) كل نقص فإن الله ـ جل وعلا ـ منزّه عنه، بعد أن ذكر الناظم أمثلة النقص وهي (العجز) و(العمىٰ) أجمل فقال: (فكل نقص) من هذه الأوصاف المذكورة ونحوها قد نزه الله ـ جل وعلا ـ نفسه عنه، لأن له الكمال المطلق.

وقوله: (فيا بشرىٰ لمن والاه) أي: يتحقق حصول البشرىٰ والسرور لكل من والاه الله، أي: صار له ولياً، أو والىٰ هو الله، أي: اعتمد عليه، وفوض جميع أموره إليه.

❊ ❊ ❊

فصل

في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد

٥٤ـ وكُــلُّ مــا يُطلَــبُ فيــه الجَــزْمُ
فَمَنْــعُ تقليــدٍ بــذاكَ حَتْــمُ[(١)]

---

(١) هذا الفصل في مسألة الاعتقاد هل يجوز فيه التقليد أو لا يجوز؟ وهذه مسألة مهمة جداً، فعلماء الكلام يقولون: إنه لا يجوز التقليد في أمور العقيدة بل لا بد من النظر والاستدلال بالأدلة العقلية؛ لأنَّ الأدلة العقلية عندهم تفيد اليقين، وأما الأدلة السمعية وهي أدلة الشرع عندهم فإنها لا تفيد اليقين، ولذلك يوجبون علىٰ الخلق النظر في الأدلة العقلية حتىٰ يتوصلوا إلىٰ الاعتقاد الجازم.

وهذا القول لا شك أنه باطل، لأن أمور العقيدة أغلبها أو كلها من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، والعقل لا يتوصل إلىٰ أمور الغيب، وإنما يُعتمد علىٰ أخبار الشرع التي نزلت بها الكتب وجاءت بها الرسل، وهي تفيد اليقين والجزم لأنها من عند الله ـ عز وجل ـ أو من عند رسل الله وهم أعلم بالله سبحانه. فالاعتماد عند أهل العلم في العقيدة علىٰ أدلة الشرع، وأما أدلة العقل فلا يُعتمد عليها اعتماداً كلياً، بل يستفاد منها لكن لا يُقتصر عليها في إثبات العقيدة؛ لأن العقل قاصر وعاجز عن إدراك الأمور كلها، وإنما يُعتمد علىٰ كلام الله ـ جل وعلا ـ وكلام رسوله في أمور العقيدة.

وأما التقليد: فهو قبول قول الغير من غير دليل، يعني من غير أن يطلب المقلد الدليل؛ لأن المقلد لا يعرف الدليل، وإنما يقلد غيره.
والتقليد علىٰ قسمين: =

. . . .

= تقليد بمعنىٰ الاتباع والاقتداء، وهذا يكون اقتداءً بأهل العلم والبصيرة، الذين يجوز تقليدهم والاقتداء بهم إذا كانوا علماء محققين، لأن يوسف عليه السلام قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨] فالاقتداء والاتباع إذا كان علىٰ حق فإنه صحيح وحق. أما الاقتداء بعلماء الضلال فلا يجوز لا في أمر العقيدة ولا في غيرها، بل هذا هو التقليد الأعمىٰ، أما التقليد الصحيح الذي يكون في اتباع أهل الحق وأهل العلم فهذا لا بأس به. ثم أيضاً العوام لا يستطيعون معرفة تفاصيل العقيدة، وإنما هذا من شأن العلماء، أما العوام فيُكتفىٰ منهم بالاعتقاد المجمل، وأما التفاصيل فهي من شأن أهل العلم. ولهذا كان الناس يسلمون علىٰ عهد النبي ﷺ بالنطق بالشهادتين ويقبل ﷺ منهم ذلك، ولا يطالبهم بذكر تفاصيل العقيدة، وإنما يكتفي منهم بالشهادتين. فيكفي من العامي المسلم الاعتقاد المجمل، وأما العالم فلا بد أن يعرف تفاصيل العقيدة، فالناس مختلفون في هذا الأمر، ليسوا علىٰ حَدٍّ سواء في الاستعداد والمعرفة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فالعقيدة: هي الجزم بالشيء، فإذا جزم الإنسان بالشيء فقد اعتقده، ويُعبر عن الجزم بالاقتناع، إذا اقتنع وجزم فهذا هو الاعتقاد، وليس الاعتقاد هو النظر بالأدلة الكلامية وعلم المنطق كما يقولون، فقول الناظم:

(وكل ما يُطلب فيه الجزم   فمنع تقليد بذاك حتم)

ليس علىٰ إطلاقه لأن التقليد يجوز للعامي الذي لا يتوصل إلىٰ تفاصيل مسائل العقيدة، فيجوز أن يُقلد فيها.

٥٥ـ لأنَّــــهُ لا يُكْتَفَــــىٰ بـــــالظَّـــــنِّ
لذي الحِجَا في قولِ أهلِ الفَنِّ[١]
٥٦ـ وَقِيـلَ يَكفِي الجَـزْمُ إجماعـاً بِمَـا
يُطلَـبُ فيـه عنـدَ بعـضِ العُلَمَـا[٢]
٥٧ـ فـالجـازمـونَ مِـن عَـوامِّ البَشَـرِ
فَمُسلمـونَ عنـدَ أهـلِ الأثَـرِ[٣]

---

(١) هذا كله علىٰ اصطلاح أهل الكلام، عندهم الأمور ثلاثة: الشك والظن واليقين، أما الشك: فهو التردد بين أمرين لا مرجح لأحدهما علىٰ الآخر، والظن: هو التردد بين أمرين أحدهما أرجح من الآخر، واليقين: هو الشيء الذي ليس فيه احتمال ولا تردد، وإنما هو جزم، وهذا هو المطلوب في العقيدة، الجزم لا الشك ولا الظن، وكلٌّ علىٰ حسب حاله، فإذا توصل الإنسان إلىٰ اليقين والجزم في نفسه فإنه يكفي هذا. هذا قول في المسألة.

(٢) هذا القول الثاني وهو الصحيح.

(٣) فالعوام لا يُطلب منهم مثل ما يُطلب من العلماء بل يُكتفىٰ منهم بالاعتقاد المجمل، وأما العلماء فيطلب منهم النظر في تفاصيل العقيدة ومسائلها. والعوام مسلمون ولو كان اعتقادهم مجملاً، وإسلامهم صحيح لا غبار عليه عند أهل الأثر، وكفىٰ بهم حكماً في مثل هذا الأمر.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني

في الأفعال المخلوقة[١]

٥٨ـ وسـائـرُ الأشيـاءِ غيـرِ الـذاتِ
وغيـرِ مـا الأسمـاءِ والصفـاتِ

٥٩ـ مَخلُـوقَـةٌ لِـربِّنـا مِـنَ العَـدَمِ
وضَلَّ مَنْ أثنَىٰ عليها بالقدم[٢]

---

(١) أفعال الله سبحانه وتعالىٰ وأفعال العباد كلها مخلوقة لأنها توجد بعد أن لم تكن، لكن أفعال الله ـ جل وعلا ـ كما سبق قديمة النوع وحادثة الآحاد، قديمة النوع بمعنىٰ أن الله ما زال ولم يزل يفعل سبحانه وتعالىٰ لا بداية لأفعاله، كما أنه لا بداية لذاته وصفاته، فأفعاله مثل سائر صفاته لا بداية لها. أما علماء الكلام، فإنهم يحددون بداية أفعال الله، ويقولون: إنه صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل، ولا يقولون: بقدم أفعاله؛ لأنهم يخافون من مشاركة الله في القدم.

فيقال: هذا باطل لأن الفعل صفة كمال، لا يُعطَّل الله عن فعله وكماله في وقت من الأوقات. ولا بداية لجنس أفعاله سبحانه وتعالىٰ فهي قديمة النوع وحادثة الآحاد، بدليل أننا نرىٰ الأشياء تحدث بعد أن لم تكن، نرىٰ الأشيـاء تتجدد وتحدث بعد أن لم تكن موجودة. هذا دليل علىٰ أن أفعال الله تتجدد أعيانهـا، وأما جنسهـا فهو قديـم بقدم الله ـ جل وعلا ـ وأزلية بأزليته.

(٢) الله ـ جل وعلا ـ بذاته وأسمائه وصفاته أزلي قديم ليس له بداية وقد قال=

٦٠ـ وربُّنــا يَخلُــقُ بــاختيــارِ
مِـن غيـرِ حـاجـةٍ ولا اضطـرارِ(١)

= رسول الله ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء»(*) فهو بأسمائه وصفاته قديم أزلي سبحانه وتعالىٰ، ومن ذلك جنس الأفعال فهو قديم، وأما أعيانها وأفرادها فإنها مُحدَثة بعد أن لم تكن. وهذا بخلاف قول الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم بأعيانه، أما أهل الحق فيقولون: العالم ليس قديماً وإنما هو مُحدَث مخلوق وهو من أفعال الله سبحانه وتعالىٰ، فليس العالم قديماً بأعيانه كما تقوله الفلاسفة.

بل كل شيء سوىٰ الله وأسمائه وصفاته فإنه مخلوق، مُحَدث بعد أن لم يكن، أوجده الله ـ جل جلاله ـ من العدم، وضل من أثنىٰ علىٰ آحاد الأفعال بالقدم وهم الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم وأنه ليس بمحدث، وكيف يكون المخلوق والمحدث قديماً، وقد خلق من العدم بعد أن لم يكن، سبحانك هذا بهتان عظيم، من قال به فإنه من الضالين.

(١) لا يزال الله ـ جل وعلا ـ يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويدبر باختياره سبحانه وتعالىٰ، قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨] يختار ما يشاء ويميزه علىٰ غيره، هناك مخلوقات ميَّزها الله علىٰ غيرها، فالمخلوقات ليست سواء، مثلاً اختار الله ـ جل وعلا ـ مكة والبيت الحرام علىٰ سائر المخلوقات، واختار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام علىٰ غيرهم، ويميز بعضهم علىٰ بعض ويختار سبحانه وتعالىٰ من الأوقات ومن الأمكنة ومن الأشخاص، ويميز بعض المخلوقات علىٰ بعض، ويميز بعض الأمكنة علىٰ بعض، ويميز بعض الأزمنة علىٰ =

(*) تقدم تخريجه ص١٧.

٦١ـ لكنَّـه لَـمْ يَخلُـقِ الخَلْـقَ سُـدَىٰ
كما أتىٰ في النصِّ فاتَّبعِ الهُدَىٰ[(١)]

= بعض، كشهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة علىٰ غيرها من الأزمان، ويختار الأشخاص أيضاً ويميز بعضهم علىٰ بعض، اختار الرسل عليهم الصلاة والسلام واصطفاهم علىٰ غيرهم، وفضل الرسل بعضهم علىٰ بعض، هذا كله من أفعال الله سبحانه وتعالىٰ. هذا معنىٰ يختار بمعنىٰ يميز بعض الأشياء علىٰ بعض.

ومراد الناظم في قوله: باختيار، يعني أنه يفعل بغير إجبار، أي أنه غير مجبر علىٰ الفعل، وإنما يفعل بإرادته سبحانه وتعالىٰ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] فهو لا يُجبَر علىٰ فعله ـ جل وعلا ـ وإنما يفعل بإرادته ومشيئته.

وقوله: (من غير حاجة) من غير حاجة إلىٰ الخلق، وإنما الخلق هم الذين يحتاجون إلىٰ الله ـ جل وعلا ـ، فهو لم يخلقهم من أجل أن ينفعوه أو من أجل أن يعينوه أو يساعدوه، هو غني عنهم، وغني عن كل شيء وكل شيء محتاج إلىٰ الله ـ جل وعلا ـ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال ﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فهو سبحانه وتعالىٰ غني عن خلقه كلهم، غني عن السماوات والأرض وعن العرش وعن المخلوقات كلها، لم يخلقها لحاجة وإنما خلقها لمصالح عباده وخلقها لحكمة لا لحاجة.

(١) (لكنه لم يخلق الخلق سدىٰ) يعني من غير حكمة، وإنما خلقهم لحكمة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ =

. . . .

= [المؤمنون: ١١٥] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] لم يخلق الله ـ جل وعلا ـ خلقه عبثاً من غير حكمة، بل خلقهم لحكمة عظيمة ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] لم يخلق الله هذه المخلوقات لأنه محتاج إليها بل هو الغني سبحانه وهي المحتاجة إليه، ولم يخلقها عبثاً من غير حكمة بل خلقها لحكمة لتدل علىٰ قدرته سبحانه وعلمه وحكمته وقوته سبحانه وتعالىٰ.

هذه المخلوقات تدل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، إن في ذلك ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] آيات: يعني دلالات تدل علىٰ عظمة الله ـ جل وعلا ـ وعلىٰ قدرته، وعلىٰ حكمته، وعلىٰ علمه، وعلىٰ إحاطته بكل شيء، فهي تدل علىٰ صفات الله ـ جل وعلا ـ، هذا من أعظم الحكمة. أنها تستدل بها العقول علىٰ الله ـ جل وعلا ـ، لأن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل مُوجَد لا بد له من مُوجِد، وكل مُحدَث لا بد له من مُحدِث. هذا دليل فطري عقلي سمعي أن كل مخلوق لا بد له من خالق، ما خُلِق من غير شيء، فهي تدل علىٰ عظمة الله وقدرته، وكذلك خلقها لمصالح عباده قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وكذلك تدل علىٰ استحقاقه للعبادة. إن الذي خلق هذه الأشياء هو المستحق للعبادة. أما الذي لا يخلق فلا يستحق العبادة ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]. =

٦٢- أفعـــالُنـــا مَخلـــوقِـــةٌ للهِ
لكنَّهـا كسـبٌ لنـا يـا لاهِـي[١]

= ثم أيضاً الله خلق هذه المخلوقات وأوجدها لتدل علىٰ اليوم الآخر، فالذي خلق هذه المخلوقات وبدأها من عدم أليس بقادر علىٰ إعادة الخلق وبعثهم يوم القيامة ومجازاتهم علىٰ أعمالهم. إنهم يعملون في هذه الدنيا، بعضهم يعمل بالكفر والمعاصي والفسق، وبعضهم يعمل بالاستقامة، يموتون جميعاً فلو لم يبعثوا للجزاء علىٰ أعمالهم فإنه لا نتيجة لأعمالهم. هذا وصف لله بالعبث، بل لا بد أن يبعثهم، وأن يجازي المحسنَ بإحسانه والمسيء بإساءته، وإلا لو تُركوا بدون جزاء، وأنهم يعملون ما يشاؤون في هذه الدنيا ويموتون لكان هذا عبثاً، والله منزه عن العبث ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] فأفعال الخلق لن تذهب سدىٰ، لا بد أنهم يجازون بها، ولا نراهم يجازون في هذه الدنيا فدل علىٰ أن هناك دار جزاء غير هذه الدنيا.

(١) أفعال العباد هي خلق الله، ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فيدخل فيه أفعال العباد، فهي شيء يدخل في خلق الله ـ جل وعلا ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] يعني وخلق ما تعملون، وهي كسب لهم، هي خلق الله وهي كسب العباد وفعلهم حقيقة لأن العباد اكتسبوها باختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم، أعطاهم الله اختياراً، وأعطاهم مشيئة، وأعطاهم عقلاً وتفكيراً، وبيَّن لهم طريق الحق من طريق الضلال، بيَّن لهم النافع والضار، فالعبد هو الذي يُقدِم علىٰ فعل الخير أو فعل الشر =

. . . .

= باختيـاره، وهذا لا يتنافىٰ مع أن الله قدَّر ذلك وخلقه، فهي خلق الله وهي فعل العبد، واكتساب العبد، ولذلك يثاب علىٰ الطاعة، ويعاقب علىٰ المعصية؛ لأنها صادرة عن إرادته، وعن اختياره، وعن مشيئته، فهو يقدر أن يصلي، ويقدر أن يصوم، ويقدر أن يعمل الصالحات، ويقدر علىٰ ترك الصلاة، وعلىٰ ترك الصيـام، وعلىٰ فعل الفواحش، يقدر علىٰ هذا غير مُجبر ولا مُكره، ولا يفعل بدون عقل، بل عقله معه ما هو بمجنون، ولذلك المجنون لا يؤاخـذ، وكذلك المُكره لا يؤاخذ؛ لأنه ليس لهما اختيار ولا مشيئة، أما الإنسان العاقل المختار فهذا يؤاخذ.

فهذا فيه ردّ علىٰ الجبرية الذين يقولون: إن العبد مُجبَر وليس له اختيار ولا مشيئة، وإنما هو يُحرَّك كالآلة بيد المُحرِّك لها. هذا قول الجبرية الذين يغلون في إثبات أفعال الله ـ جل وعلا ـ، ويقابلهم القدرية وهم المعتزلة الذين يغالون في إثبات القدرة للعبد، وأنه يستقل بفعله ويقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، وليس له فيها إرادة ولا مشيئة، وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعالهم استقلالاً، لا أن الله قدرها عليهم أو خلقها فيهم. فهم علىٰ طرفي نقيض مع الجبرية، الجبرية نفوا قدرة العبد واختياره، وغلوا في إثبات أفعال الله، والقدرية علىٰ العكس غلوا في إثبات قدرة العبد وإرادة العبد، ونفوا إرادة الله ومشيئته وخلقه لأفعال العباد.

أما أهل السنة والجماعة فهم الوسط، يقولون: هي خلق الله ـ جل وعلا ـ وهي أفعال العباد باختيارهم وإرادتهم وقدرتهم ومشيئتهم. وهذا=

. . . .

= جمع بين الأدلة، وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] ففي قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ هذا ردّ علىٰ الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، ويقولون: إنه مُجبر ومُحرَّك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] هذا ردٌّ علىٰ القدرية الذين يقولون: ليس لله مشيئة ولا إرادة في أفعالنا: فالآية جمعت بين إثبات المشيئة للعبد ولكنها ربطتها بمشيئة الله. فالعبد لا يستقل بأفعاله كما تقوله المعتزلة، وليس هو مُجبراً كما تقوله الجبرية، بل هو مسيَّر ومخيَّر، الجبرية يقولون: العبد مسيَّر فقط، والمعتزلة يقولون: العبد مخيَّر فقط، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون: هو مسيَّر ومخيَّر، مسيَّر لأنه لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته، ومخيَّر لأن الله أعطاه قدرة واختياراً، فإذا أراد الخير يَسَّر الله له الخير، وإذا أراد الشرّ يَسَّر الله له الشرّ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل: ٥-١٠] والنبي ﷺ يقول: «اعملوا فكل ميسر لما خُلق له» لما ذكر للصحابة أن الأمور بقدر الله وقضائه، قالوا: أفلا نترك العمل يا رسول الله ونتكل علىٰ كتابنا؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(*) فالعبد إذا أراد الخير، ورغب في الخير، ومال إلىٰ الخير، يَسَّر الله له الخير، وإذا كان =

(*) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٤٩) و(٦٦٠٥)، وفي «الأدب المفرد» (٩٠٣)، ومسلم (٢٦٤٧) (٦) و(٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، وابن ماجه (٧٨)، والترمذي (٢١٣٦) و(٣٣٤٤) وهو في «مسند الإمام أحمد» ٢/٥٦ (٦٢١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

. . . .

= علىٰ العكس أراد الشرَّ، ومال إلىٰ الشر، فإن الله ييسِّر له الشرّ، كلّ ميسَّر لما خُلِق له. فالسبب من قبل العبد، والتوفيق من الله.

فقول الناظم: (أفعالنا مخلوقة لله) هذا ردٌّ علىٰ القدرية والمعتزلة، لأن الله خالق كل شيء، وقوله: (لكنها كسب لنا) هذا ردٌّ علىٰ الجبرية. يقولون: ما هي بكسب لنا، هي فعل الله وحده ما لنا فيها اختيار ولا إرادة أو مشيئة.

ومعنىٰ: (لكنها كسب لنا) أي: فعل لنا، فالكسب والفعل بمعنىٰ واحد، قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالأفعال خلقها الله ولكنها كسب للعباد بمعنىٰ أنها فعل يقع من العباد، والفعل والكسب بمعنىٰ واحد لا يختلفان عند جمهور أهل السنة، وأما الأشعري وأتباعه فيقولون: إنها كسب وليست فعلاً، هذا التفريق لا يتصور أبداً؛ لأنه لا فرق بين الفعل والكسب، سماها الله كسباً للعباد، وسماها عملاً ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] فسماها كسباً، وسماها عملاً، وسماها فعلاً، فهي كسب وعمل وفعل للعباد، ليست كسباً فقط كما تقوله المعتزلة، ولهذا يُقال:

مما يُقالُ ولا حقيقةَ تحتَه ... معقولةً لذوي الأفهامِ =

. . . .

= الكسبُ عندَ الأشعريِّ والحالُ عندَ الهاشميِّ وطَفْرةُ النَّظّامِ(*)

فمن الأمور التي لا حقيقة لها الكسب عند الأشعري، وهي هذه المسألة.

(مخلوقة لله) هذا بلا شك، هي (كسب لنا) وفعل لنا، لا يكفي أن نقول: كسب، بل نقول: هي فعل وكسب، كسب لنا وفعل لنا.

(يا لاهي) هذا ردّ علىٰ من أخذ بأحد القولين، إما الجبر وإما نفي القدر، هذا يعتبر لاهياً، أي: غافلاً عن معرفة الأدلة، بينما المطلوب منه التعلم ومعرفة الحق واتباعه.

(*) أورد السَّفّاريني معنىٰ هذه الأبيات في كتابه «لوامع الأنوار البهية» ١/ ٣١٢، قال: لكن الأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختياراً، ويقول: إن الفعل كسب للعبد، لكن يقول: لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور، وهو مقام دقيق حتىٰ قال بعضهم: إن هذا الكسب الذي أثبته الأشعري غير معقول، قال: حتىٰ قال جمهور العقلاء: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري.
وقد سلفت ترجمة الأشعري ص٥٢.
وأما الهاشمي فالمقصود به أبو هاشم المعتزلي، وهو عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجُبّائي (٢٤٧-٣٢١هـ)، عالم بالكلام من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سميت «البهشمية» نسبة إلىٰ كنيته «أبي هاشم»، من مصنفاته «الشامل» في الفقه، و«العدة» في أصول الفقه. «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٦٣-٦٤، «الأعلام» ٤/ ٧.
وأما النظام فهو إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق، من أئمة المعتزلة، انفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة سميت «النظامية» نسبة إليه، له تصانيف كثيرة، منها كتاب «الطفرة» وكتاب «النبوة» وغيرهما ورد أنه سقط من غرفة فمات سنة بضع وعشرين ومئتين، وقيل سنة ٢٣١هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٥٤١-٥٤٢. «الأعلام» ١/ ٤٣.

٦٣ـ وكـــلُّ مـــا يفعلُـــهُ العبـــادُ
مِـن طـاعـةٍ أو ضـدِّهـا مُـرادُ[١]

---

(١) (كل ما يفعله العباد) أي فعل كان (من طاعة) يستحق عليها الثواب، (أو ضدها) يعني معصية يستحق عليها العقاب، والطاعة ضد المعصية، أفعال العباد كلها مرادة لله، الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، كلها مرادة لله بالإرادة الكونية والمشيئة، فكلها أرادها الله كوناً، وشاءها، والإرادة علىٰ قسمين:

الأولىٰ: إرادة كونية.

الثانية: إرادة دينية.

مثال الأولىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] هذه الإرادة الكونية.

مثال الإرادة الشرعية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨] هذه إرادة شرعية.

والإرادة الكونية لا بد من وقوعها، وأما الإرادة الدينية فقد تقع، وقد لا تقع، والإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة والرضا، فقد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها خلاف الإرادة الشرعية فإن من لازمها المحبة والرضا، فالله لا يريد ديناً إلا ما يحبه، وأما ما يريده كوناً فقد يحبه مثل طاعة الطائع، وقد لا يحبه مثل كفر الكافر ومعصية العاصي، أرادهما الله كوناً، لكنه لا يحبهما شرعاً، ولذلك نهىٰ عنهما، فنهىٰ عن المعصية، وعن الكفر والشرك.

٦٤ـ لــربِّنـا مِــن غيــرِ مــا اضطــرارِ
منــه لنــا فــافْهَــمْ ولا تُمــارِ(١)

---

(١) (لربنا) أي أن أفعالنا كلها، الطاعة والمعصية داخلة تحت إرادة الله ومشيئته، كل ما يفعله العباد فهو مراد لربنا (من غير ما اضطرار) لنا، يعني لم يجبرنا هذا رد علىٰ المجبرة الذين يقولون: إن الله أجبر العباد علىٰ أفعالهم، وليس لهم اختيار، فهم يفعلون بدون اختيار وإنما هم كالآلة التي تُحرك، هؤلاء غلوا في إثبات الإرادة الكونية، ونفوا الإرادة الشرعية.

(فافهم ولا تمار) افهم هذا، وفصله هذا التفصيل، واجمع بين الأدلة ولا تمارِ، يعني: لا تجادل بالباطل كما يجادل أهل الضلال الذين يأخذون طرفاً من الأدلة ويتركون الطرف الآخر، فالجبرية أخذوا بطرف الأدلة التي جعلت المشيئة والإرادة لله ـ جل وعلا ـ، وأنه خالق كل شيء، والقدرية أخذوا بالأدلة التي تدل علىٰ أن الله جعل للعبد مشيئة وإرادة واختياراً، ونسوا أن الله ـ جل وعلا ـ هو الخالق، وهو المدبر، وهو الذي له المشيئة النافذة، نسوا هذا، فكل من الطائفتين أخذ بطرف من النصوص.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم جمعوا بين النصوص؛ لأنها كلها من عند الله سبحانه وتعالىٰ. أما الأخذ ببعض النصوص وترك بعضها، فهذه طريقة أهل الزيغ دائماً وأبداً، إنهم يأخذون بطرف من الأدلة، ويتركون الطرف الآخر ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] أما الراسخون في العلم فيقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] يجمعون بين كلام الله وكلام رسوله، ولا يأخذون ببعضه ويتركون بعضه وإنما يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٧-٨] يعني =

. . . .

= كما ضل الذين في قلوبهم زيغ وأخذوا بالمتشابه، فإن أهل السنة والجماعة هداهم الله ـ جل وعلا ـ فجمعوا بين الأدلة وفسروا بعضها ببعض، ولم يضربوا بعضها ببعض، وقالوا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧]. فالله ـ جل وعلا ـ له مشيئة، وله إرادة، وهو الخالق لكل شيء، لكن العباد لهم أيضاً مشيئة، ولهم إرادة، ولهم أفعال، وقد جمع الله بين هذا وهذا في قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، أضاف المشيئة إلىٰ العباد: هذا ردّ علىٰ الجبرية، وأضافها إليه فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: هذا رد علىٰ القدرية. آية واحدة فيها الهدىٰ ـ ولله الحمد ـ وفيها النور.

فالقرآن كله يفسر بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً، ومثله كلام الرسول ﷺ، لكن هذا يحتاج إلىٰ رسوخ في العلم، أما المبتدىء وأما الجاهل فلا يصلح أن يتكلم في مسائل العلم حتىٰ يتعلم ويترسخ في العلم، ويعرف طرق الاستدلال، ويعرف الخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، ويعرف الناسخ والمنسوخ، ليست المسألة أنك إذا وجدت آية أو حديثاً تأخذه، وتستدل به دون أن تنظر فيه هل هو معارض لدليل آخر؟ أو لا يوجد له معارض، وإذا وجد معارض، فكيف الجمع بينهما؟ وهل هذا الدليل الذي أخذته، هل هو صحيح من ناحية السند أو غير صحيح؟ هل هو محكم أو هو منسوخ؟

ولهذا ألف العلماء رحمهم الله أصول الفقه وألفوا أصول التفسير لهذا الغرض، أصول الفقه لمعرفة الاستدلال وكيفية الاستدلال واستنباط الأحكام، وأصول التفسير لمعرفة كيف يُفسر كلام الله ـ عز وجل ـ وضعوا للتفسير قواعد أخذوها من القرآن نفسه، ومن السنة. فلا يجوز =

٦٥- وجـازَ للمـولَـىٰ يُعـذِّبُ الـورَىٰ
من غيرِ ما ذنبٍ ولا جُرمٍ جرَىٰ[1]

= لأحد أن يدخل في هذه الميادين حتىٰ يتعلم، ويدرس أصول الفقه، ويدرس أصول التفسير، ويدرس مصطلح الحديث ليعرف صحيح السنة من الضعيف والموضوع، ويعرف الأحاديث الشاذة والأحاديث غير الشاذة، يجب أن يعرف هذه الأمور.

هذه علوم لا بد منها، لا بد أن يتعلم الإنسان، ولا يكفي أنه إذا صار يعرف حروف الهجاء يأخذ كتاباً ويقرأ، وإذا انتهىٰ من الكتاب صار عالماً! هل كتاب واحد يجعلك عالماً وأنت لم تدرس اللغة، ولم تدرس النحو، ولم تدرس الأصول، ولم تدرس القواعد الفقهية، ولم تدرس التفسير، ولم تدرس شروح الحديث، ولم تدرس كلام العلماء. العلم ليس بهذه السهولة إنه يحتاج إلىٰ وقت، ويحتاج إلىٰ علماء تتلقىٰ عنهم العلم المطلوب، وهذا يحتاج إلىٰ معاناة وصبر، ولا يعنىٰ أن تدعي العلم بمجرد سماعك لشريط، أو قراءتك لكتاب ما، لا يعني هذا أنك صرت عالماً! لا يجوز هذا، بل إن هذا يضر الأمة ويضر الإنسان نفسه، وينشأ جيل يتلاعبون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(١) هذا الكلام غير سليم، وهو يجري علىٰ مذهب الأشاعرة الذين ينفون الحكمة في أفعال الله جل وعلا، فيقولون: إن الله يفعل لمجرد المشيئة، لا لحكمة، فيجوز أن يعذّب المطيع، وأن ينعّم الكافر؛ لأنه يفعل ما يشاء.

وأما أهل السنة فيقولون: هذا باطل في حق الله سبحانه وتعالىٰ، فإنه لا يليق به أن يُنعّم الكافر وأن يعذّب المؤمن، لا يليق بحكمته =

. . . .

= سبحانه وتعالىٰ، وبرحمته، وجاءت الأدلة في الكتاب والسنة في أنه أعدّ للمتقين الجنات، وأعد للكافرين النار، هذا الذي جاء في الكتاب والسنة، فكيف تقولون: يُعذب الورىٰ من غير ما ذنب ولا جرم جرىٰ.

وأما ما جاء في الحديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم»(*). هذا معناه أن الله لو حاسبك علىٰ نعمه التي أنعمها عليك، وحاسبك علىٰ حسناتك، فماذا تساوي حسناتك بالنسبة للنعم التي أنعمها الله عليك؟ لا تقابل شيئاً. لو حاسب الله ـ جل وعلا ـ العباد علىٰ أعمالهم وقابل بينها وبين نعمه التي أنعمها عليهم، ما قابلت أعمالهم شيئاً، ولكن الله يعفو عنهم سبحانه وتعالىٰ، يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠] ولهذا فإن النبي ﷺ علىٰ ما أعطاه الله من العبادة واليقين والعمل الذي لا يباريه أحد من الخلق فيه يقول: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»(**) ولما قال ﷺ: «لن يُدخِل الجنةَ أحداً =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٥/ ٤٦٥، ٤٨٦، ٥١١ (٢١٥٨٩) و(٢١٦١١) و(٢١٦٥٣)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٩٢) و(١٠٩٣) من حديث أبي بن كعب وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وهو حديث إسناده قوي، كما في «المسند».

(**) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، وابن ماجه (٣٨٤١)، والترمذي (٣٤٩٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٢/ ٢٢٢ (١١٢٩)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٤٠/ ٣٦١-٣٦٢ (٢٤٣١٢) و٤٢/ ٤٣٨ (٢٥٦٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٦٦ـ فكــلُّ مــا مِنــهُ تَعــالَــىٰ يَجمُــلُ
لأنَّــه عـــن فعلِــهِ لا يُســـألُ[(١)]

= عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»[(*)] فالأعمال سبب لدخول الجنة وليست هي الثمن للجنة، الجنة كرم من الله، وفضل من الله سبحانه وتعالىٰ، وإنما الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة.

فلو أن الله أحصىٰ عليهم أعمالهم، وأحصىٰ عليهم نعمه التي أعطاهم، وأحصىٰ عليهم سيئاتهم، فإن أعمالهم الصالحة لا تقابل شيئاً، ولكن الله ـ جل وعلا ـ يعفو، ويضاعف الحسنات، ويرحم عباده المؤمنين علىٰ تقصيرهم وعلىٰ قلة أعمالهم، فلا يغتر الإنسان بعمله.

(١) (كل ما منه) جل وعلا من الأفعال والأوامر والنواهي يجمُل، لأن كل ما يصدر عن الله جل وعلا فإنه محمود؛ لأنه لا يصدر عنه شيء إلا لحكمة، فيضع العقوبات في مواضعها، ويضع الكرامات في مواضعها، فكل ما يصدر عنه جل وعلا فهو حسن ومحمود، خلاف العباد فإنهم يصدر منهم الخير، ويصدر منهم الشر، يصدر منهم المحمود، ويصدر منهم المذموم، أما الله جل وعلا فإنه لا يصدر عنه إلا ما هو محمود، ولا يُسأل عما يفعل لحكمته؛ لأنه لا يفعل شيئاً لغير حكمة، أما الأشاعرة فيقولون: لا يُسأل عما يفعل؛ لأنه يفعل لمشيئته، لا لحكمة، وهذا غلط، الله جل وعلا لا يُسأل عما يفعل، كما قال تعالىٰ في القرآن: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]؛ لأنه لا يفعل إلا ما فيه =

(*) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) و(٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٤١٦/٤١ (٢٤٩٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٦٧ـ فـإنْ يُثِـبْ فـإنَّـه مِـن فَضلِـهِ
وإنْ يُعـذِّبْ فبِمَحْـضِ عَـدْلِـهِ[1]

= حكمة، وما فيه خير، حتىٰ عقوبة الكافر فيها حكمة، لأنها عدل منه سبحانه أنه يعذب الكافر وينعّم المطيع، فما حكم به من العقوبات في الدنيا، قطع يد السارق، رجم الزاني، جلد الزاني، جلد القاذف، قتل القاتل عمداً، هذا غاية العدل وغاية الحكمة، لأن فيها مصالح للعباد، حكم بقطع يد السارق جزاء بما كسب، وحكم بالقصاص لأنه يمنع القتل بغير حق وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وحكم بإقامة الحد علىٰ الزاني رجماً أو جلداً، وذلك لحماية الأعراض، ومنع جريمة الزنىٰ واللواط، وهذا لحكمة عظيمة، فهذه العقوبات وإن كانت مكروهة للناس ومؤلمة لمن تقع عليه، إلا أنها من جهة الله رحمة وعدل، وخير للبشرية، فأفعاله سبحانه في غاية الحكمة، وفي غاية التمام والكمال فقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي لا يُعترض عليه سبحانه وتعالىٰ في شيء من أفعاله وأحكامه؛ لأنها صادرة عن حكمة ورحمة وعدل وإحسان منه سبحانه وتعالىٰ.

(١) هذا صحيح وحق، الثواب فضل منه سبحانه وتعالىٰ، والعقاب عدل منه سبحانه وتعالىٰ، فالثواب لأهل الطاعات، والعقاب لأهل المعاصي والجرائم، فهذا عدل منه سبحانه، فالثواب علىٰ الطاعات فضل منه سبحانه وتعالىٰ، هو الذي تفضل فأثابهم علىٰ ذلك، ويُضاعف لهم الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، ومن الناس من يؤتىٰ أجره بغير حساب، هذا فضل منه سبحانه، فالنعم كلها، والنعيم في الجنة كله فضل من الله، والعذاب في النار والعقوبات في الدنيا كلها عدل منه سبحانه وتعالىٰ؛ لأنه يضع الأمور في مواضعها.

٦٨- فلَمْ يَجِبْ عليه فِعْلُ الأصْلَحِ
ولا الصَّلاحِ وَيْحُ مَن لَمْ يُفْلِحِ[(١)]

٦٩- فكُلّ مَن شاءَ هُداه يَهتدي
وإنْ يُرِدْ ضَلالَ عبدٍ يَعتَدِ[(٢)]

---

(١) هذا رد علىٰ المعتزلة، الذين يقولون: يجب علىٰ الله فعل الأصلح، وهذا باطل لأنه لا يجب علىٰ الله ـ جل وعلا ـ شيء، ولا أحد يوجب علىٰ الله شيئاً، وإنما الله هو الذي يوجب علىٰ نفسه رحمة منه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، هذا حق أحقه الله علىٰ نفسه سبحانه وتعالىٰ، وقول النبي ﷺ: «حق العباد علىٰ الله ألا يُعذب من لا يشرك به شيئاً»(*) هذا تفضل منه، لا لأن أحداً أوجب عليه ذلك، فلا أحد يوجب علىٰ الله شيئاً.

وقوله: (ويح من لم يفلح) ويح كلمة تؤلم وتوجع، يتوجع علىٰ من ضل من الأمة الإسلامية كيف انحرفوا عن الصراط المستقيم، (من لم يفلح) أي: من لم يفز بمتابعة الحق والالتزام بالكتاب والسنة، والابتعاد عن الباطل.

(٢) الهداية والضلال بيد الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فالهداية لها أسباب، والضلال له أسباب، فالله جل وعلا يهدي من يشاء ويضل من يشاء، يهدي من يشاء فضلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً منه سبحانه وتعالىٰ، والهداية علىٰ قسمين: =

(*) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) (٤٩)، وهو في «مسند الإمام أحمد» ٣٦/٣١٧ (٢١٩٩١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

. . . .

= هداية دلالة وإرشاد، وهذه حاصلة لكل الخلقِ، الكفارِ والمؤمنين، كلهم هداهم الله، بمعنىٰ أن الله دلهم وأرشدهم إلىٰ طريق الصواب، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] هذه هداية دلالة وإرشاد.

والنوع الثاني: هداية التوفيق، وهذه خاصة بالمؤمنين، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أي: هداية التوفيق ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهذه الهداية هي التي يطلبها العباد في قولهم في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] وهي هداية التوفيق والثبات.

وأما هداية الدلالة والإرشاد فهذه حاصلة لكل أحد، بمعنىٰ أنه بيَّن وأرشد الجميع، لكن التوفيق خاص بالمؤمنين، الله جل وعلا يقول لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦] هذه هداية التوفيق، لما حرص ﷺ علىٰ إسلام عمّه أبي طالب وموته علىٰ الإسلام، حرص ﷺ علىٰ ذلك غاية الحرص، وحزن لما مات علىٰ الكفر، وأنزل الله عليه هذه الآية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦][*] فهو يضع هداية التوفيق فيمن يستحقها، فالعبد هو الذي يطلب الهداية ويحرص عليها، فيوفقه الله جل وعلا، أما الذي يعرض عن الهداية ويتكبر فهذا يحرمه الله من الهداية بسبب أفعاله، فالضلال له أسباب، والهداية لها أسباب من قبل العبد.

(*) انظر: البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، حديث المسيب بن حزن المخزومي رضي الله عنه، و«تفسير ابن كثير» ٦/٢٤٦-٢٤٧، سورة القصص الآية: ٥٦.

فصل

في الكلام علىٰ الرزق

٧٠- والـرزقُ مـا يَنفـعُ مِـن حـلالِ
أو ضِـدِّه فَحُـلْ عـن المُحـالِ[1]

---

(١) من جملة أفعال الله جل وعلا الرزق فهو الذي يرزق قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨] فالله جل وعلا هو الرزاق، فمن أسمائه الرزاق، ومن أفعاله أنه يرزق، ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

والرزق: هو ما يسوقه الله جل وعلا للعباد، مما يقتاتون به، ويتغذون به، فكل المخلوقات رزقها الله جل وعلا، هو الذي يرزقها، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] فالأرزاق كلها من الله يسوقها إلىٰ عباده، من الحشرات والدواب والسباع والهوام والطيور والآدميين، والوحوش، كل المخلوقات التي تدب علىٰ الأرض، كلها رزقها علىٰ الله جل وعلا. يأتيها رزقها بأمر الله، وتتغذىٰ برزق الله عز وجل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، والرزق علىٰ قسمين:

رزق تملك: وهو ما يملكه الناس من الثروات، ومن الأموال، ومن المدخرات.

ورزق القوت: وهو ما يتغذون به، ويأكلونه ويشربونه هذا كله من الله، رزق التملك، ورزق التغذي، كله من الله جل وعلا، فما يخلق خلقاً إلا ويقدر له رزقه، ويسوق له رزقه، ولولا ذلك لهلكت المخلوقات، =

. . . .

= من الذي يغذي الحشرات؟ من الذي يغذي الطيور؟ من الذي يغذي الحيوانات؟ من الذي يغذي السباع والهوام؟ من الذي يغذي الآدميين؟ كل له رزقه، والرزاق هو الله سبحانه وتعالىٰ، ولولا أن الله يجري لها أرزاقها لهلكت في البر والبحر.

والرزق أيضاً ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: رزق حلال: وهو ما كان من كسب طيب، وهذا هو الذي يغذي تغذية طيبة، وهو الذي ينفع المسلم إذا تصدق منه، أو أكله، أو تموله، وهو الذي جاء من طريق مباح، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] المراد بالطيبات هنا الحلال، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، هذا الحلال، وهو الذي أمر الله بالأكل منه، وأمر بالإنفاق منه ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والقسم الثاني: الرزق الحرام، وهو علىٰ نوعين:

النوع الأول: حرام لوصفه كالميتة، والخنزير، والخبائث، هذا حرام لوصفه.

النوع الثاني: حرام لطريقة كسبه كالربا، والرشوة، والقمار، والغش، والاحتيال، والنهب والسرقة، والغصب.

كله رزق الله سبحانه وتعالىٰ، الحلال والحرام، ولكن الحلال هو الذي أمر الله بالأكل منه، والإنفاق منه، ونهىٰ عن الحرام بنوعيه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال =

٧١ـ لأنَّــــه رازقُ كُــــلِّ الخَلْــــقِ
وليــسَ مخلــوقٌ بغيــرِ رِزْقِ(١)

= سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، ونهىٰ ﷺ عن الغش، ونهىٰ عن الخيانة وعن الغدر، ونهىٰ عن أخذ مال المسلم بغير حق «لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه»(*)، ونهىٰ عن النجش، ونهىٰ عن مكاسب محرمة مفصلة في الأحاديث الصحيحة مع القرآن الكريم، فالرزق كله من الله الحلالُ والحرامُ، لكن الحلال أُمرنا بأخذه والتغذي منه والإنفاق منه، والحرام نُهينا عنه.

هذا معنىٰ قول الناظم: (والرزق ما ينفع من حلال) هذا القسم الأول.

(أو ضده) هذا هو القسم الثاني وهو الحرام، كله من رزق الله سبحانه وتعالىٰ، لكن هذا رزق حلال، وهذا رزق حرام.

وقوله: (فَحُلْ عن المحال) حُلْ: يعني زل من التحول وهو الزوال عن الشيء، وتجنب الشيء، فحل: يعني تجنب (عن المحال) والمحال: هو الباطل.

(١) الله رازق كل الخلق، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] تكفل الله برزقها يومياً، يأتيها رزقها في أوكارها، وفي جحورها، وأينما وجدت، تكفل الله بأن يوصل إليها أرزاقها حتىٰ صغار الطير في =

(*) قطعة من حديث أخرجه أحمد في «المسند» ٣٤/ ٢٩٩ (٢٠٦٩٥) من حديث أبي حُرَّة الرَّقاشي عن عمه رضي الله عنه.

٧٢ـ ومَنْ يَمُتْ بِقَتلِهِ مِن البَشَرْ
أو غيرِه فبالقضاءِ والقَدَرْ
٧٣ـ ولم يَفُتْ مِن رِزْقِهِ ولا الأجلْ
شيءٌ فَدَعْ أهلَ الضلالِ والخَطَلْ[١]

= الأوكار، لا تروح ولا تجيء، من الذي يأتي لها بالغذاء، سخر الله لها الوالدين، يأتيان لها بالماء، ويأتيان لها بالرزق وهي في أوكارها، حتىٰ تقوىٰ وتطير وتطلب الرزق لنفسها، فالعاجز عن الأشياء والذي لا يقدر علىٰ أن يكتسب لنفسه، يسخر الله له من يكتسب له، حتىٰ الطيور، والحيوانات، يسخر الله بعضها لبعض.

(١) قدر الله سبحانه وتعالىٰ الآجال كما قدر الأرزاق، فكل مخلوق له أجل مقدر يعيشه علىٰ هذه الأرض، ثم يأتيه أجله، ويكتب علىٰ الجنين في بطن أمه، يأتيه الملك فيؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، يُكتب أجله ومدة عيشه في هذه الحياة، فإذا جاء أجله لا يتقدم ولا يتأخر، فالأمم لها أجل، والأفراد لهم آجال، كل شيء له أجل، لا يُزاد فيه ولا يُنقص، فالميت مات بأجله سواءً مات علىٰ فراشه، أو مات بالقتل، لا أحد يموت إلا بأجله، ولا يموت إلا حين يستوفي أجله، ولا يُقال: إن القتيل لو لم يُقتل لعاش، ولو كان بقي له مدة ما قُتل، لكن الله نَوَّع الموت بأنواع، فمنه نوع يكون بالقتل، ومنه نوع يكون بالمرض، ومنه نوع يكون بالحوادث، فالله نوَّع الموت، كما قال الشاعر:

ومن لم يمت بحد السيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد =

. . . .

= فلا شك أن كل ميت يموت بأجله، ولو قدر أنه يعيش لما مات، ولما قُتل، ولهذا لما قال المنافقون: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨] قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٨] ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، فالآجال مكتوبة ومحددة ومقدرة لا يُزاد فيها ولا يُنقص، ولا أحد يموت أو يُقتل أو يغرق أو يحترق أو يموت بأي سبب إلا وقد تم أجله، والرزق أيضاً، إذا قدر الله لك الرزق فلا بد أن يأتيك، ولن تموت حتىٰ تستكمل رزقك، لا تموت وقد بقي لك رزق في هذه الدنيا، أبداً. وكل مخلوق يموت في الوقت المقدر لموته، قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وفي الحديث: «لن تموت نفسٌ حتىٰ تستكمل رزقها»(*) فإذا تم الأجل والرزق المكتوب جاء الموت بلا شك، أما الذين يقولون: إن المقتول باق له مدة، ولو أنه سلم من القتل لعاش، هذا كلُّه من الكذب والافتراء، وعدم الإيمان بالقضاء والقدر، والذين يتحسرون إذا فاتهم =

(*) حديث صحيح بشواهده، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٦، ٢٧ من حديث أبي أمامة، ويشهد له حديث ابن مسعود عند الحاكم ٢/ ٤، وآخر من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن حبان (٣٢٣٩) و(٣٢٤١)، والحاكم ٢/ ٤ و٤/ ٣٢٥، وأبي نعيم في «الحلية» ٣/ ١٥٦، ١٥٧، و٧/ ١٥٨، وثالث من حديث حذيفة عند البزار كما في «المجمع» ٤/ ٧١ فيصح الحديث بها. وانظر «زاد المعاد» لابن القيم ١/ ٧٧-٧٨ طبعة مؤسسة الرسالة.

. . . .

= شيء من التجارات أو من الأرباح، يتحسرون ويقولون: لو عملنا كذا لحصل لنا كذا، هذا كله من الكلام الباطل يقول النبي ﷺ: «احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(*) فانتبه للأسباب، لا تقل: أجلس، فإن كان الله قد كتب لي شيئاً فسيأتي، هذا غلط، افعل الأسباب، اطلب الرزق، ولكن بعد طلب الرزق، وبعد بذل الأسباب، إذا لم يحصل المقصود فاعلم أنه لم يقدر لك، إذا أنت بذلت الذي من قبلك، ولم يقدر لك فعليك بالإيمان بالقضاء والقدر، ولا تتحسر ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل.

❊ ❊ ❊

(*) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الثالث

في الأحكام والكلام علىٰ الإيمان ومتعلقات ذلك[١]

٧٤ـ وواجبٌ علىٰ العبادِ طُرّاً
أنْ يَعبدوهُ طاعةً وبِرّاً[٢]

---

(١) الباب الثالث من أبواب العقيدة: باب الأحكام، جمع حكم، والمراد به بيان أحكام أهل الكبائر من الذنوب وما يتعلق بذلك، وبيان الإيمان ما هو، وما هي مناقضاته ومكملاته، إلىٰ غير ذلك.

(٢) واجب علىٰ جميع الخلق أن يعبدوا الله سبحانه وتعالىٰ وحدَه، لا شريك له؛ لأن هذا حقه عليهم وهو الذي خلقهم من أجله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٩٢] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي أوجب الله فيها علىٰ خلقه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

وهذا حقه عليهم كما قال النبي ﷺ في حديث معاذ: «حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»[*] فمن قام بهذا الحق فإن له حقاً =

(*) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) (٤٩) وهو في «مسند الإمام أحمد» ٣٦/٣١٧ (٢١٩٩١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٧٥- ويَفعلُــوا الفعــلَ الــذي بـــه أَمَــرْ
حتماً ويتركوا الذي عنه زَجَرْ[(١)]

= علىٰ الله ألا يعذبه، كما في نفس الحديث: قال ﷺ: «وحق العباد علىٰ الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئاً». هذا هو الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله، وأرسل به رسله، وأنزل به كتبه.

(أن يعبدوه طاعة وبِرّاً) ولا يخرج عن وجوب عبودية الله أحد، فالذين يزعمون أنهم يصلون إلىٰ مرتبة لا يحتاجون فيها إلىٰ العبادة، كغلاة الصوفية الذين يزعمون أنهم خاصة الخاصة، وأنهم وصلوا إلىٰ الله وعرفوه، فليسوا بحاجة إلىٰ العبادة، هذا ضلال وكفر وإلحاد وزندقة، فإنه لا يخرج أحد عن عبادة الله عز وجل. والله ـ جل وعلا ـ قال لنبيه الذي هو أشرف الخلق، قال له: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وسماه عبده ورسوله. وقال ﷺ: «أنا عبد الله ورسوله»(*) فلا يخرج أحد عن العبودية، أفضل الخلق هو محمد ﷺ وهو عبد لله، قام علىٰ قدميه الشريفتين حتىٰ تفطرتا من طول القيام، عبودية لله سبحانه وتعالىٰ. فلا يخرج عن هذا الأصل أحد كائناً من كان ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

(١) ويجب علىٰ كل عبد أن يفعل الفعل الذي أمر الله به، ويترك الفعل الذي نهىٰ الله عنه، فالذي يجب عليه عبادة الله، ويجب عليه أن يفعل ما أمر الله به، وأن يترك ما نهىٰ الله عنه، ولا يخرج عن هذا الأصل أحد، لا أحد يخرج عن الأوامر والنواهي ويقول: إنه وصل إلىٰ الله، والأوامر =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ١٣٤ (٢٢٤٦٧) من حديث أبي عبد الرحمٰن الفهري رضي الله عنه.

. . . .

= والنواهي إنما هي للعوام، وأما الخواص فإنهم ليسوا بحاجة إلىٰ الأوامر والنواهي فيفعلون ما يشاؤون!! كما يقوله غلاة الصوفية.

والأمر: طلب فعل الشيء، والنهي: طلب الكف عن الشيء. والأمر الأصل أنه للوجوب إلا إذا دل دليل علىٰ أنه للاستحباب فيُحوَّل إلىٰ الاستحباب والندب. وقد يكون الأمر للإباحة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] هذا للإباحة، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢] هذا للإباحة، فالأمر إذا جاء بعد نهي فإنه يكون للإباحة لتساوي الطرفين.

فالواجب: ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه، والمستحب: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، والمباح: مستوي الطرفين، له أن يفعل وله أن يترك، لا ثواب له ولا عقاب عليه، هذا هو المباح. والنهي: الأصل أنه للتحريم، إلا إذا دل دليل علىٰ أنه للكراهة، والمحرم عكس الواجب، أي: ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله، والمكروه: ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

وقد يكون الأمر للتهديد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤] ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩] هذا أمر تهديد. وقد يكون الأمر للتعجيز، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] كما في قوله ﷺ عن الله سبحانه أنه قال: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»(*) ويقال للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم»(**) هذا أمر للتعجيز.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/ ٨٤ (٧١٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فصل

في الكلام علىٰ القضاء والقدر(١)

غير ما تقدم

٧٦ـ وكُلُّ ما قَدَّرَ أو قَضاهُ
فواقعٌ حتماً كما قَضاهُ(٢)

---

(١) (القضاء والقدر) من أفعال الله سبحانه وتعالىٰ، والإيمان به أصل من أصول الإيمان الستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، فهو ركن من أركان الإيمان. وهو أن الله سبحانه علم ما كان وما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، ثم شاءه وأراده ثم خلقه.

هذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، والإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، والإيمان بأنه لا يقع في هذا الكون إلا ما شاءه الله وأراده، والإيمان بأن كل شيء فهو من خلق الله، فالله خالق كل شيء ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر. وهما بمعنىٰ واحد.

(٢) ما قدره الله وقضاه فلا بد أن يقع، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] أي: بقضائه وقدره، فما قضاه وقدره لا بد أن يقع، ولو حاول الناس منعه لن يستطيعوا، فيجب علىٰ العبد أن يؤمن بذلك.

٧٧ـ وليسَ واجباً على العبدِ الرِّضا
بكلِّ مَقْضِيٍّ ولكنْ بالقضَا[١]

٧٨ـ لأنَّه مِنْ فِعْلِهِ تعالَىٰ
وذاك مِنْ فِعْلِ الذي تقالَىٰ[٢]

---

(١) مسألة رضا العبد بما قضاه الله وقدره فيه تفصيل فإن ما قضاه الله وقدره منه ما يجب الرضا به، وهو ما قضاه الله وقدره من الطاعات والقربات، فيجب علىٰ العبد أن يرضىٰ بذلك وجوباً، أن يرضىٰ بما شرعه الله سبحانه وتعالىٰ من الشرائع، ومن الأوامر والنواهي، ويجب عليه أن يكره ويبغض ما حرمه الله سبحانه وتعالىٰ ونهىٰ عنه، ومنه، أي مما قضاه الله وقدره ما لا يجب الرضا به، وإنما يُستحب الرضا به، مثل المصائب التي تقع بالإنسان فهذه يجب الصبر عليها، الصبر واجب لكن الرضا بها ليس بواجب، وإنما الرضا بها مستحب، لكن لا بد أن يصبر عليها، ويعلم أنها بقضاء الله وقدره. هذا هو التفصيل في الرضا بما قضاه الله وقدره، منه ما هو واجب، ومنه ما يحرم أن يرضىٰ به مثل الكفر والمعاصي، يحرم علىٰ الإنسان إنه يرضىٰ بالكفر ويرضىٰ بالمعاصي، ومنه ما هو مستحب وهو الرضا بالمصائب والمكاره التي تجري علىٰ العبد، فيجب عليه أن يصبر ويعلم أنها من الله، ولكن لا يجب عليه أن يرضىٰ بها، ولذلك يسعىٰ في إزالتها، يسعىٰ بالعلاج، ويسعىٰ بأخذ الأسباب التي تُنجيه من المكاره والشدائد. فلا يجب عليه الرضا بكل مقضي.

(٢) القضاء والقدر من فعل الله تعالىٰ فيجب الرضا به، وأما فعل العبد للمعاصي فهذا مقلي فمعنىٰ: (تقالىٰ) تفاعل من قلاه، أي: أبغضه ورفضه، فمن أتىٰ بما يبغضه الله يجب عليه أن يبغضه ولا يرضىٰ به، ولا يقول: هذا فعل الله، بل هذا فعلك أنت، فتُبغض المعاصي والذنوب وتندم علىٰ فعلها، وتتوب منها.

فصل

في الكلام علىٰ الذنوب ومتعلقاتها[1]

---

(١) أي الحكم علىٰ أصحاب الكبائر، والذنوب والمعاصي بمعنىٰ واحد وهي مخالفة أمر الله سبحانه به ويسمىٰ ذنباً. والذنوب منهي عنها، ويجب علىٰ العبد أن يبتعد عنها ويبغضها لأن الله يبغضها، وإذا وقع في شيء منها فيجب عليه التوبة. يجب عليه أولاً أن يبتعد عن الذنوب ولا يفعلها؛ لأنها تُغضب الله ـ جل وعلا ـ وتخالف أمر الله، لكنه لو وقع في شيء منها فيجب عليه المبادرة بالتوبة منها، والله يتوب علىٰ من تاب.

والذنوب والمعاصي علىٰ قسمين: كبائر، وصغائر. قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] والكبائر كثيرة لا تُحصىٰ بالعدّ، ولكن لها ضوابط تُعرف بها، فالكبيرة: ما رتّب الله عليه حدّاً في الدنيا، مثل قطع يد السارق، ورجم الزاني، وجلد الشارب والقاذف، وجلد السكران، فما رتب الله عليه حدّاً في الدنيا فهذا يدل علىٰ أنه كبيرة، أو رتب عليه وعيد في الآخرة، بأن توعد الله عليه بالنار في الآخرة، فهذا دليل علىٰ أنه كبيرة. أو رُتّب عليه غضب أو لعنة أو نار فهذا دليل علىٰ أنه كبيرة، فالذنوب التي لعن الله أصحابها أو لعنه الرسول ﷺ، هذا دليل علىٰ أنها كبائر. ولقد لعن الله الكاذبين والظالمين والكافرين، ولعن الرسول ﷺ جملة من أصحاب المعاصي كالسارق والمصورين وغير ذلك ممن لعنهم رسول الله ﷺ. ولعن مَن لعن والديه، ولعن من غيّر منار الأرض، ولعن من آوىٰ محدثاً. فمن لعنه الله أو لعنه الرسول فهذا دليل علىٰ أنه أتىٰ =

. . . .

= كبيرة. وإذا توعد الله بالغضب علىٰ الذنب فهذا دليل علىٰ أنه كبيرة، أو تبرأ الرسول ممن فعله وقال: أنا بريء ممن فعل كذا وكذا، أو قال: ليس منا من فعل كذا وكذا، «من غشنا فليس منا»(*) هذه ضوابط الكبيرة: ما رُتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو خُتم بغضب أو لعنة أو نار، أو تبرأ الرسول ﷺ ممن فعله، أو قال: ليس منا، فهذه كبائر.

وأما ما نُهي عنه ولم يُرتب حدّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، ولا غضب، ولا لعنة، ولا براءة منه، فهذا مُحرّم ولكنه ليس بكبيرة، بل هو من الصغائر.

والكبائر تتفاوت بعضها أشد من بعض، منها السبع الموبقات يعني المهلكات كما في قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: وما هُنّ يا رسول الله. قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(**) فهذه من أعظم أنواع الكبائر، وأعظمها علىٰ الإطلاق الشرك بالله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وقد أوصل بعض العلماء الكبائر إلىٰ سبعين أو أكثر من سبعين كبيرة، ككتاب «الكبائر» للحافظ الذهبي وكتاب «الكبائر» لابن حجر الهيتمي. وبعضهم يقول: إنها إلىٰ السبع مئة أقرب. فالحاصل إنها لا تُعدّ وإنما تُحَدّ، يعني تُضبط بالتعريف. =

(*) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

= وصاحب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة إن كانت شركاً يخرج صاحبها بها من الإيمان، أما إن كانت دون الشرك فإنه لا يخرج من الإيمان ولكن يكون ناقص الإيمان، فلا يُعطىٰ اسم الإيمان المُطلق ولا يُسلب منه مُطلق الإيمان، بل يكون مؤمناً ناقص الإيمان، أو يكون مؤمناً فاسقاً، أو يكون مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته. هذه عبارات السلف رحمهم الله، لا يُخرجون صاحب الكبيرة التي دون الشرك من الإيمان، ولكنه يكون مؤمناً ناقص الإيمان، وهو تحت مشيئة الله، إنْ تابَ اللهُ عليه، وإن لم يتب فهو تحت مشيئة الله ـ جل وعلا ـ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ولكنه لا يُخلده في النار، كما قال سبحانه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] قيد ذلك بالمشيئة، هؤلاء هم أصحاب الكبائر عند أهل السنة والجماعة.

أما الخوارج فإنهم يُكفرون أصحاب الكبائر ويقولون: إنهم خالدون في النار. ولا يفرقون بينهم وبين الكفار الأصليين،. وأما المعتزلة فيقولون: صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولا كافر. وهذا ليس له أصل في الإسلام، ولكنه قول مبتدع للمعتزلة. وإذا مات ولم يتب فهم فيه مثل الخوارج يقولون: مُخلد في النار.

وأما أهل السنة والجماعة فهم ـ ولله الحمد ـ وسط، فلم يكفروه كما كفرته الخوارج، ولم يخرجوه من الإسلام كما أخرجته المعتزلة، ولم يعطوه الإيمان المطلق ويقولون: هو كامل الإيمان كما تقوله المرجئة. فالمعتزلة والخوارج أخرجوه من الإيمان. الخوارج قالوا: =

٧٩ـ ويَفْسُقُ المذنبُ بالكَبيرَةْ
كَذا إذا أَصَرَّ بالصَّغيرَةْ(١)

= كافر، والمعتزلة قالوا: في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة يقولون: هو كامل الإيمان لا ينقص إيمانه. هذا قول المرجئة، وهو قول متطرف، وعندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص بل إنه شيء واحد.

فالمعتزلة والخوارج أخذوا بطرف، وهو طرف الوعيد، والمرجئة أخذوا بطرف، وهو طرف الوعد، وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الوعد والوعيد، جمعوا بين الطرفين، وردوا المتشابه إلىٰ المحكم، وعملوا بالنصوص جميعها والحمد لله.

(١) (يفسق) الفسق هو الخروج، يقال للفأرة: الفويسقة؛ لأنها خرجت عن مألوف الدواب وصارت تؤذي، والدواب أغلبها لا يؤذي، فلما خرجت عن مألوف الدواب صارت فويسقة. فالفسق في اللغة هو الخروج عن المألوف. والمراد به في الشرع: الخروج عن طاعة الله، وقد يكون كفراً مثل فسق إبليس ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] يعني خرج عن طاعة الله. فالفسق قد يكون كفراً وقد يكون دون الكفر، مثل عصاة الموحدين.

وقوله: (كذا إذا أصرّ بالصغيرة) الصغيرة: وهي الذنب الذي لا يصل إلىٰ حدّ الكبيرة، وإذا أصر وداوم عليه صار كبيرة، فالإصرار علىٰ الصغيرة يصيِّرها كبيرة. ولهذا يقول العلماء: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

ولا يتساهل الإنسان بالصغائر يجب عليه التوبة منها، فإن لم يتب منها وأصرّ عليها صارت كبائر؛ لأن مداومته عليها يدل علىٰ عدم مبالاته =

٨٠- لا يَخرجُ المرءُ من الإيمانِ
بِموبقاتِ الذَّنْبِ والعِصيانِ[(١)]

٨١- وواجبٌ عليه أنْ يتوبَا
مِن كُلِّ ما جَرَّ عليه حُوْبَا[(٢)]

= وعلىٰ تهاونه بجانب الله سبحانه وتعالىٰ. فالإصرار علىٰ الصغيرة يصيرها كبيرة.

(١) هذا مذهب أهل السنة والجماعة: لا يخرج المؤمن من الإيمان بالمعاصي والذنوب سواء كانت كبائر أو صغائر ما دامت دون الشرك، خلافاً للخوارج وخلافاً للمعتزلة وخلافاً للمرجئة.

(٢) واجب علىٰ العبد أن يتوب من جميع الذنوب من الصغائر والكبائر (من كل ما جر عليه حوباً) أي: إثماً، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] الحوب هو الإثم، فكل ما يجر الإثم فيجب علىٰ العبد أن يتوب منه، سواء كان كبيرة أو صغيرة؛ لأن الله أمر بالتوبة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] لقد ناداهم باسم الإيمان، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فليست التوبة خاصة بالكفار والمشركين بل هي أيضاً لأهل الإيمان، يجب عليهم أن يتوبوا من الذنوب والمعاصي، ولا يقولوا: الحمد لله ما دمنا غير مشركين ولا كفار فالمعاصي لا تضر. مثل ما يقوله المرجئة ويتساهلون فيها، بل يجب عليهم أن يتوبوا إلىٰ الله - جل وعلا - ويبادروا بالتوبة ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] لا يؤجلون التوبة، كمن يقول: إن شاء الله أنا إذا كبرت أو قبل الموت =

. . . .

= أتوب. فهذا يؤجل التوبة قد لا يدرك الوقت الذي قال، أو أتوب الصباح إذا أصبحت إن شاء الله أتوب، أو بعد أسبوع أو بعد شهر، لا يدري ربما يموت في الحال، ولا يدرك الأجل الذي أجله، فالله ـ جل وعلا ـ أمر بالتوبة من كل ذنب، من الكفر، من الشرك، من الذنوب، من الكبائر، من الصغائر، من كل ذنب.

والله ـ جل وعلا ـ وَعَدَ التائبين بالتوبة. والتوبة في اللغة الرجوع، يقال: تاب إذا راجع، تاب وأناب وثاب، بمعنىٰ واحد، فالتوبة هي الرجوع من المعصية إلىٰ الطاعة، ولها ثلاثة شروط، لا تكفي التوبة باللسان فلا بد من ثلاثة شروط.

الشرط الأول: أن يُقلع عن الذنب، أما إذا قال: أستغفر الله وهو مقيم علىٰ الذنب! هذا ليس بتائب حتىٰ يترك الذنب.

الشرط الثاني: أن يعزم أن لا يعود في المستقبل، فإن كانت توبته مؤقتة بشهر رمضان أو بيوم الجمعة فقط أو في موسم الحج يتوب إلىٰ الله وهو بنيته إنه يرجع بعد ذلك فإنه لا تُقبل توبته؛ لأن هذه توبة مؤقتة، فإذا علم الله أن في نيته أنه يعود إلىٰ المعاصي بعد ذلك فإن الله لا يقبل منه توبته.

الشرط الثالث: أن يندم علىٰ ما فات من ذنوبه وسيئاته ولا ينساها، بل دائماً يذكرها ويستغفر ويتوب ويخاف منها، أما إذا أمن من عقوباتها ولم يندم عليها، أو كان يتمدح بها ويقول: الله غفر لي، وكما قيل: المؤمن يرىٰ ذنبه كالجبل يخشىٰ أن ينقض عليه، والمنافق يرىٰ ذنبه كالذباب وقع عليه ثم طار. يستخف بالذنوب، أما المؤمن فإنه دائماً =

٨٢ـ ويَقبلُ المولَىٰ بمَحْضِ الفَضْلِ
مِن غيرِ عبدٍ كافرٍ مُنفَصِلِ[(١)]

٨٣ـ ما لَمْ يَتُبْ مِن كُفْرِهِ بضِدِّهِ
فيرتَجِعْ عن شِرْكِهِ وَصَدِّهِ[(٢)]

= يخشىٰ من الذنوب، إنها كالجبل الذي فوقه يخاف أن ينقض عليه. هذا دليل علىٰ صحة التوبة.

وإن كانت التوبة من مظالم للعباد فهناك شرط رابع وهو أن يطلب المسامحة من المظلوم ويرد حقه إليه؛ لأن حق المخلوق لا يسقط إلا إذا أدي إليه حقه أو سمح به، أما أن تظلم الناس وتقول: أنا تائب إلىٰ الله فهذا لا يكفي. حقوق العباد لا تسقط إلا بردها إليهم أو مسامحتهم عنها.

(١) يقبل المولىٰ التوبة ممن تاب قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورىٰ: ٢٥] فيقبل الله التوبة إذا توفرت شروطها، فإن الله وعد أنه يقبل التوبة عن التائبين ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] هذا وعد من الله سبحانه وتعالىٰ.

(ويقبل المولىٰ بمحض الفضل) قبول التوبة فضل من الله ـ جل وعلا ـ تفضل به. ولو شاء لأهلكه بذنوبه ولم يقبل منه.

وقوله: (من غير عبد كافر منفصل) يعني منفصل عن الإيمان، فإذا تاب الكافر من الذنوب ولم يتب من الكفر فلا تُقبل توبته حتىٰ يتوب من الكفر أولاً.

(٢) يتوب أولاً من الكفر ثم يتوب من بقية المعاصي، هذا هو الذي يتوب الله عليه، أما إن تاب من الذنوب ولم يتب من الكفر والشرك فهذا لا يقبل الله منه توبة.

٨٤ـ ومَنْ يَمُتْ ولَمْ يَتُبْ مِن الخَطا

فـأمـرُه مُفَـوَّضٌ لـذي العَطـا[١]

٨٥ـ فـإنْ يَشَـأْ يعَـفُ وإنْ شـاءَ انتَقَـمْ

وإنْ يَشَـأْ أعطَـىٰ وأَجْـزَلَ النِّعَـمْ[٢]

---

(١) مرتكب الكبيرة من المؤمنين إذا مات ولم يتب فهو إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، إن شاء غفر له ولم يعذبه، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يُخرجه من النار إلىٰ الجنة بتوحيده وإيمانه.

(٢) إن يشأ عذبه وهو مستحق لذلك، وإن شاء تاب عليه وأكرمه، والله أهل لذلك سبحانه وتعالىٰ.

* * *

فصل

في أهل العناد والزندقة والإلحاد(١)

(١) هناك فئات قالوا: لا تُقبل توبتهم في الدنيا فلا بد من إقامة الحد عليهم وهم:

أولاً: الساحر، لا تُقبل توبته، بل يُقام عليه الحدّ ويُقتل بكل حال؛ لأن توبته في الظاهر لا تدل علىٰ توبته في الباطن، فيُقتل؛ ولأن النبي ﷺ قال: «حدّ الساحر ضربه بالسيف»(*)، ولأن عمر كتب: أن اقتلوا كل ساحر وساحر(**). ولم يأمر باستتابتهم.

الثاني: الزنادقة، وهم الذين يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، ومنهم المنافقون، والزنادقة جمع زنديق، وهو الذي يتظاهر بالإسلام ويبطن الكفر والزندقة، فهذا إذا أُمسك وثبت عليه الزندقة فإنه يُقتل ولو أظهر التوبة، بل يقام عليه الحد ويُقتل ولا يسقط عنه الحد.

ثالثاً: الملاحدة، كالإسماعيلية والدروز والعلوية (النصيرية)، وطوائف الباطنية، والعبيدية الفاطميين، هؤلاء زنادقة، وهؤلاء أيضاً عند جمع من العلماء لا تُقبل توبتهم، بل يُقتلون، فإن كانوا صادقين فيما بينهم وبين الله فهذا عند الله في الآخرة، أما نحن في الدنيا فنطبق عليهم =

(*) أخرجه الترمذي (١٤٦٠) من حديث جندب الخير الأزدي، وقال: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، والصحيح عن جندب موقوف. والعمل علىٰ هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس رضي الله عنه.
وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نَرَ عليه قتلاً. اهـ.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ١٩٦ (١٦٥٧) عن بجالة بن عبدة التميمي.

٨٦ـ وقِيلَ فِي الدّروزِ والزّنادِقَة[1]

. . . .

= الحكم الشرعي، أما فيما بينهم وبين الله إذا كانوا صادقين في توبتهم فالله يقبل منهم في الآخرة، وإن كانوا كاذبين فالله أعلم بذلك. هذا حاصل ما سيأتي في هؤلاء الطوائف.

(١) الدروز: طائفة من الباطنية من الإسماعيلية، والإسماعيلية نسبة إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنتسب إليه الإسماعيلية وهو بريء منها، إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، هؤلاء أئمة رضي الله عنهم ورحمهم، لكن تنتسب إليهم هذه الطوائف القبيحة. فالإسماعيلية نسبة إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق. قالوا: إن الخلافة بعد أبيه جعفر آلت إليه. مع أنه مات قبل أبيه، قالوا: إنها انتقلت إلىٰ ابنه محمد بن إسماعيل، فمحمد حل محل أبيه.

وأما الموسوية، وهم الجعفرية الرافضة المعروفون الآن، فهؤلاء يقال لهم الموسوية، ينتسبون علىٰ موسىٰ بن جعفر، قالوا: إن الخلافة بعد جعفر انتقلت إلىٰ ابنه موسىٰ الصغير؛ لأن إسماعيل لما مات انتقلت إلىٰ أخيه الصغير وهو موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق. فلذلك يسمون بالموسوية والجعفرية، فهم علىٰ خلاف مع الإسماعيلية.

والإسماعيلية هم أخبث الطوائف؛ لأنهم صاروا باطنيين، وانبثق منهم القرامطة والفاطميون والعلويون (النصيريون) والدروز، كل هؤلاء من الإسماعيلية الباطنيين، وهم أكفر أهل الأرض؛ لأنهم يحلون ما حرم الله، ما عندهم حرام ولا حلال، كل شيء عندهم مباح ـ والعياذ بالله ـ يستحلون الزنا والخمر واللواط وسائر المحرمات؛ لأنهم باطنية يظهرون الانتساب إلىٰ الإسلام في الظاهر وهم كفار في الباطن. =

٨٦ـ . . . .

وسـائـرِ الطـوائـفِ المُنـافِقَـة[١]

= هؤلاء لا تُقبل توبتهم، إذا ثبت علىٰ أحد أنه يعتنق مذهب الإسماعيلية يجب قتله بكل حال ولو تاب لا يسقط عنه الحد.

والدروز طائفة من الإسماعيلية، معرفون بهذا الاسم إلىٰ الآن، لهم بلاد ولهم أماكن.

(١) هذا هو الرابع ممن لا تقبل توبتهم في الدنيا المنافق، والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، هذا هو النفاق الاعتقادي، وأما النفاق العملي هو أن يكون مؤمناً صادقاً في إيمانه لكن يحصل منه بعض النفاق في الأعمال لا في العقيدة، مثل الكذب في الحديث قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[*] هذه من صفات المنافقين، ومثل ترك صلاة الجماعة قال ﷺ: «أثقل الصلاة علىٰ المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر»[**] هذا نفاق عملي قد يصدر من بعض المؤمنين، فإن تاب تاب الله عليه، وإذا استمر معه صار فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها، كما قال الرسول ﷺ.

أما المقصود الآن فهو النفاق الاعتقادي. فالمنافق النفاق الاعتقادي إن تاب توبة صادقة فيما بينه وبين الله قبل الله منه، وإما إن أظهر التوبة لنا فنحن لا نقبل منه بل نطبق عليه الحد. =

(*) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٢٩٤ (٩٤٨٦)، والبخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٨٧ـ وكُـــلُّ داعٍ لابتــــداعٍ يُقْتَــــلُ[١]
كمَـــنْ تكـــرَّر نَكْثُـــه لا يُقْبَـــلُ[٢]

= خامساً: من تكررت ردته فلا تقبل توبته، ويستدلـون علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٧] هذا ومن أدلتهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠] إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

والقول الثاني: أن من تاب تاب الله عليه مهما كان، ووجب الكف عنه مهما كان، لقوله سبحانه وتعالىٰ في النصارىٰ الذين يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم وإن الله ثالث ثلاثة، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤] فدل علىٰ أنهم لو تابوا تاب الله عليهم، ولعموم نصوص التوبة أن من تاب تاب الله عليه من جميع الذنوب ولم يستثن منها شيئاً ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] وهذا عامّ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجمع من المحققين أن من أظهر التوبة يقبل منه ذلك.

فقوله: (وقيل في الدروز والزنادقة) (وقيل) هذا تضعيف؛ لأن الناظم سيختار القول الثاني وهو أنه تقبل توبته.

(١) (وكل داع لابتداع): هذا هو السادس ممن لا تقبل توبتهم من يدعو إلىٰ بدعة مكفرة كبدعة الروافض وبدعة الخوارج وبدعة الجهمية، الذي يدعو إليها ويزينها ويُرغّب فيها هذا زنديق يُقتل.

(٢) (كمن تكرر نكثه) يعني تكررت ردّته، فعندهم لا تُقبل توبة الزنديق، ولا تُقبل توبة الساحر، ولا تُقبل توبة من سب الله أو سب الرسول ﷺ، ولا =

٨٨ـ لأنَّـه لـم يُبْـدِ مِـن إيمـانِـهِ
إلا الـذي أذاعَ مِـن لِسَـانِـهِ[(١)]

٨٩ـ كمُلحـدٍ وسـاحـرٍ وسـاحـرَةْ
وهـم على نِيَّاتِهـم فـي الآخِـرَةْ[(٢)]

= تُقبل توبة من تكررت ردته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء: ١٣٧] هذا تكررت ردته فلا تُقبل توبته، هذه الطوائف عند جمع من أهل العلم لا تُقبل توبتهم بل يُقتلون بكل حال.

(١) لأنه لو أظهر التوبة لا يؤمن، لأنه من قبل كان يقول: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ويصلي ويتظاهر بالصلاة، لكن مع هذا يعمل السحر، ومع هذا يسب الله، أو يسب الرسول ﷺ، أو يسب الدين، أو يتهكم بالدين، وهو يشهد أن لا إلـٰه إلا الله، ناقض الشهادة فلا تُقبل توبته؛ لأنه لم يعدل عن ما هو عليه. (إلا الذي أذاع من لسانه) تكون توبته بلسانه فقط لا بقلبه.

(٢) (كملحد) الملحد هذا اسم عامّ لكل مَن كفر بالله عز وجل وأصر علىٰ كفره (وساحر وساحرة) لأن عمر رضي الله عنه كتب إلىٰ عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[(*)]. ولم يقل: استتيبوهم بل أمر بقتلهم؛ لأن لا يؤمن شرهم، يظهرون التوبة وهم علىٰ سحرهم وفسادهم وإفسادهم. وأما في الآخرة فأمرهم إلىٰ الله إذا كانوا صادقين في توبتهم، فإن الله يقبل توبتهم في الآخرة. (وهم علىٰ نياتهم في الآخرة) وهم علىٰ نياتهم في التوبة =

(*) سلف تخريجه ص١٤٦.

٩٠- قلتُ وإنْ دَلَّتْ دلائلُ الهُدَىٰ
كما جرَىٰ للعيلبوني اهتدَىٰ[(١)]

٩١- فإنَّه أذاعَ مِن أسرارِهِمْ
ما كان فيه الهتكُ عن أستارِهِمْ[(٢)]

٩٢- وكانَ للدِّينِ القويمِ ناصرا
فصارَ منا باطناً وظاهرا[(٣)]

= إذا كانت صادقة فإن الله يقبلها منهم، لكن نحن مأمورون بقتلهم وإجراء الحكم الشرعي عليهم في الدنيا بناء علىٰ ما أُمرنا به في شأنهم.

(١) إذا ظهر من أحد من هؤلاء الطوائف صحة التوبة، ودلت القرائن والعلامات علىٰ صحة توبته فإنه يُقبل منه ذلك.

(العيلبوني)[(*)] هذا درزي، كان من أئمة الدرزية ثم تاب إلىٰ الله، والعيلبوني نسبة إلىٰ عيلبون وهي بلدة ما بين قرية حطين ودير حنا، من أعمال صفد. تاب إلىٰ الله وطلب العلم وصنف كتاباً في الرد علىٰ الدروز، فهذا ظهرت دلائل توبته وصار من أهل العلم والإيمان رحمه الله، فمثل هذا تُقبل توبته عند الجميع.

(٢) العيلبوني ألف كتاباً في الرد علىٰ الدروز الذين تاب من مذهبهم وكشف أستارهم وفضح سرائرهم، هذا دليل علىٰ صدق توبته.

(٣) صار العيلبوني يناصر الدين ويدعو إلىٰ الله ويرد علىٰ أهل الكفر والشرك والزندقة، فظهرت أدلة توبته.

(*) هو حسن الصفدي العيلبوني، كان من الدروز، فتاب ونظم نونية طويلة في الرد عليهم وكشف ضلالاتهم، وحسن حاله وصلحت أعماله، ورفض ما كان عليه من الضلال والأوهام. انظر «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، للمحبي ٢/ ٧٩.

٩٣- فكُـــلُّ زِنـــديـــقٍ وكُـــلُّ مـــارِقِ
وجـــاحـــدٍ ومُلحـــدٍ منـــافِـــقِ

٩٤- إذا استبـــانَ نُصْحُـــه للـــدِّيـــنِ
فـــإنَّـــه يُقْبَـــلُ عَـــنْ يقيـــنِ[1]

---

(١) هذا ترجيح للرأي الثاني، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، أن كل من تاب من هؤلاء ولم يظهر منه ما يخالف التوبة يُقبل منه ذلك لعموم الأدلة في قبول التوبة. فالناظم رحمه الله أيَّد القول الثاني.

وقوله: (إذا استبان نصحه للدين) يعني ظهرت الأدلة علىٰ صدق توبته، كل من ظهر منه ذلك مِن صدق التوبة والإنابة فإنه يُقبل منه ذلك.

❊ ❊ ❊

فصل

في الكلام علىٰ الإيمان واختلاف الناس فيه، وتحقيق مذهب السلف في ذلك(١)

(١) الفصل: هو الفاصل بين الشيئين، وهو في التأليف أصغر من الباب، العلماء المؤلفون يقسمون المؤلفات إلىٰ كتاب ثم باب ثم فصل، تسهيلاً علىٰ طلاب العلم؛ لأنه لو سُرد الكلام بدون أن يُجعل فيه أبواب وفصول فإن ذلك يبعث علىٰ السآمة والملل، فإذا قُسم علىٰ أبواب وفصول سهل ذلك علىٰ طالب العلم.

وهذا الفصل يتضمن الكلام علىٰ مسألة الإيمان، ما هو الإيمان وما هي أركانه؟ لأن هذا باب مهم. والإيمان في اللغة هو التصديق الجازم الذي لا يعتريه شك، هذا هو الإيمان في اللغة، سُمي التصديق إيماناً؛ لأن المصدق يأتمن المُخبر علىٰ ما أخبر به، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق. فهو تصديق خاص، تصديق يصحبه ائتمان للمُخبر. هذا في اللغة.

وأما الإيمان في الشرع: فهو عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لا بد من هذه الأمور في الإيمان، أن ينطق بلسانه، وأن يعتقد بقلبه، وأن يعمل بجوارحه، فإذا نقص شيء من هذه الأمور لم يكن مؤمناً، فلو أنه نطق بلسانه ولكنه لم يُصدق بقلبه فهذا منافق النفاق الأكبر، وهذا شأن المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] فنفىٰ عنهم الإيمان مع أنهم يقولون: آمنا؛ لأنهم لم =

. . . .

= يعتقدوا ذلك بقلوبهم. وقال سبحانه وتعالىٰ عن المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢] ادعاؤهم الإيمان إنما هو سترة يتسترون بها، وإلا فهم في قلوبهم كفار، كما قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧] هذا شأن المنافقين. وهذا مع الأسف قول الكرّامية، يقولون: الإيمان قول باللسان. وهذا إنما يصدق علىٰ إيمان المنافقين.

وكذلك مَن صدّق بقلبه ولم ينطق بلسانه فليس بمؤمن، ولهذا نفىٰ الله الإيمان عن مشركي قريش، بل عن فرعون، فمشركو قريش قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] فهم لا يكذبون الرسول في قرارة أنفسهم، ولكنهم لم ينطقوا بألسنتهم بأن يشهدوا أنه رسول الله، حملهم الكبر والحسد علىٰ الامتناع، وكذلك اليهود قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: الرسول ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ يعرفونه في قلوبهم وفي كتبهم لكنهم أبوا أن يعترفوا برسالته ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] يعلمون في قلوبهم.

وقال موسىٰ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] هذا موسىٰ عليه السلام قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني الآيات والمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، جحدوا =

. . . .

= بها: جحدوا بألسنتهم وأبوا أن يُقروا، واستيقنتها أنفسهم: يعني قلوبهم، ظلماً وعلواً: هذا الذي حملهم علىٰ عدم الاعتراف الظلم والعلو في الأرض. فهذا دليل علىٰ أن من اعترف بقلبه ولم ينطق بلسانه أنه ليس بمؤمن. والذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب هم الأشاعرة، يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، ولو لم ينطق ولو لم يعمل، ما دام أنه مصدق بقلبه فهو مؤمن. وهذا قول باطل؛ لأنه ينطبق علىٰ كفار قريش وعلىٰ فرعون وعلىٰ سائر الأمم الذين يعرفون الحق بقلوبهم لكنهم أبوا أن يعترفوا به ظاهراً، وأن يعلنوا به لأغراض عندهم منعتهم. هذا قول الأشاعرة.

وأشد منهم ضلالاً الجهمية، وهم أشد المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو الاعتراف بالقلب ولو لم يصدق، إذا علم بقلبه ولو لم يصدق فهو مؤمن. هذا عند الجهمية، وهذا أشد أنواع الإرجاء.

والقول الرابع: قول الحنفية: أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، والأعمال ليست داخلة في الإيمان. هؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء.

إذاً فالمرجئة أربع فرق:

الفرقة الأولى: التي تقول: إن الإيمان هو مجرد النطق ولو لم يعتقد بقلبه.

الفرقة الثانية: الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه. وهذا قول الأشاعرة.

الفرقة الثالثة: الذين يقولون: إن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان ولو لم يعمل. وهذا قول مرجئة الفقهاء. =

. . . .

= القول الرابع: قول الجهمية، أن الإيمان مجرد العلم بالقلب والاعتراف بالقلب ولو لم يُصدق. وهذا أشد أنواع الإرجاء.

أما أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً فيرون أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[الأنفال: ٢-٤] فوصفهم بهذه الأوصاف: ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ هذا عمل، ويؤتون الزكاة ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ هذا عمل. وقال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ هذا دليل علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص. وقال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شُعبة. أعلاها قول: لا إلـٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(*) وهذا يدل علىٰ أن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ لأن قول: لا إلـٰه إلا الله هذا نطق باللسان، وإماطة الأذىٰ عن الطريق عمل باليد جعله النبي ﷺ من الإيمان، والحياء شعبة من الإيمان وهو عمل قلبي، وغير ذلك من الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل علىٰ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة كما قال تعالىٰ: ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[المدثر: ٣١] فهذا دليل علىٰ أن الإيمان =

(*) أخرجه مسلم (٣٥) (٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي ١/ ٨٦ باب ذكر الحديث الذي ورد في شعب الإيمان.

٩٥- إيمانُنا قولٌ وقَصدٌ وعَمَلْ[١]
تَزيدُه التَّقوَىٰ ويَنقصُ بالزَّلَلْ[٢]

٩٦- ونحن في إيمانِنا نَستثنِي
مِنْ غيرِ شَكٍّ فاسْتَمِعْ واسْتَبِنِ[٣]

= يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، كلما عصىٰ الإنسان ربه نقص إيمانه حتىٰ ربما لا يبقىٰ معه من الإيمان إلا الشيء القليل، حتىٰ لا يبقىٰ معه من الإيمان إلا حبة خردل أو أقل من ذلك. هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وهو التعريف الصحيح المأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله، وما عداه فهو أقوال باطلة.

(١) (إيماننا) أي: أهل السنة والجماعة (قول) يعني نطق باللسان (وقصد) وهو الاعتقاد بالقلب (وعمل) وهو العمل بالجوارح.

(٢) (تزيده التقوىٰ) هذا معنىٰ قولهم: يزيد بالطاعة. والتقوىٰ هي الطاعة، (وينقص بالزلل) وهي المعصية؛ لأن المعصية زلل.

(٣) هذه مسألة تتعلق بالإيمان، وهي هل يجوز الاستثناء فيه فتقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو تقول: أنا مؤمن فقط، ولا تقول: إن شاء الله؟ المسألة فيها خلاف، والصحيح أنه إذا أُريد بالاستثناء الشكُّ فهذا لا يجوز، أما إذا كان المراد بالاستثناء عدم تزكية النفس فتقول أنا مؤمن إن شاء الله، قصدك أنك لا تزكي نفسك، فتدعي أنك كامل الإيمان وليس عندك نقص، فهنا لا بأس بالاستثناء، فإذا أريد بالاستثناء هذا فلا بأس. (من غير شك)، أما إذا كان معنىٰ الاستثناء الشك فهذا لا يجوز. (فاستمع) لهذا القول؛ لأن هذا هو الصواب، (واستبن) يعني اسأل عما يُشكل عليك، إذا كان حصل عليك إشكال.

٩٧- نُتابِعُ الأخيارَ مِنْ أهلِ الأثَرِ
ونَقتفِي الآثارَ لا أهلَ الأشَرِ[١]

٩٨- ولا تَقُلْ إيمانُنا مَخلُوقُ
ولا قَديمٌ هكذا مَطلُوقُ[٢]

---

(١) نحن في إيماننا نتبع أهل السنة والجماعة (من أهل الأثر) يعني من أهل الحديث؛ لأن هذا هو الإيمان عند أهل الحديث كالإمام أحمد والبخاري، ومَنْ قبلهم من أئمة الهدىٰ، هذا قولهم في الإيمان، نحن نسير علىٰ منهجهم، أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأما من قال غير ذلك فليس من أهل الأثر.

(٢) لا تقل: إيماني مخلوق، ولا تقل: غير مخلوق، ولا تقل: قديم، فالإيمان فيه تفصيل، إذا قلت: الإيمان مخلوق، والإيمان تدخل فيه الأعمال كما سبق منها الصلاة، والصلاة تشتمل علىٰ أشياء غير مخلوقة، مثل تلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، هذا غير مخلوق، وتشتمل علىٰ الركوع والسجود والجلوس والقيام، هذه أعمال العبد، وهي مخلوقة، والله هو خالق كل شيء، فهي عمل العبد، وهي خلق الله كما سبق بيان ذلك، فلا بد من التفصيل.

فلا تُطلق وتقول: الإيمان مخلوق؛ لأنه يدخل فيه الصلاة التي تشتمل علىٰ القرآن، والقرآن غير مخلوق، وتشتمل علىٰ الذكر، والذكر غير مخلوق، فلا تقل: الإيمان مخلوق إطلاقاً، ولا تقل: الإيمان غير مخلوق، بل منه ما هو مخلوق كالقيام والركوع والسجود، والأعمال البدنية، هذه مخلوقة لله، وهي أعمالنا، وكسبنا كما سبق، ولهذا يقول الإمام أحمد رحمه الله: من قال: الإيمان مخلوق فقد كفر، ومن قال: غير مخلوق فقد ابتدع، لا بد من التفصيل.

٩٩- فـــإنَّـــه يَشمـــلُ للصَّـــلاةِ
ونحـوِهـا مِـن سـائـرِ الطـاعـاتِ(١)

١٠٠- ففعلنـا نحـو الـركـوعِ مُحْـدَثُ
وَكُـلُّ قـرآنٍ قـديـمٍ فـابْحَثُـوا(٢)

١٠١- وَوَكَّـــلَ اللهُ مِـــن الكِـــرام
اثنيـــنِ حَـــافِظَيـــنِ لـــلأنـــامِ(٣)

---

(١) لأن الإيمان يشمل الصلاةَ وسائرَ الأعمال التي يقوم بها العباد، والأعمال منها ما هو ليس بمخلوق كتلاوة القرآن، وذكر الله: التسبيح والتهليل والتكبير، ومنها ما هو مخلوق كالحركات التعبدية من قيام وركوع وسجود وغير ذلك.

(٢) شيء منها مخلوق وهو القيام والركوع والسجود والجلوس، وأما القرآن والذكر فهذا غير مخلوق، وهذا تشتمل عليه الصلاة.

ولكن قوله: (قديم) يعني القرآن سبق تبيان أن إطلاق أن القرآن قديم غير صحيح، وكلام الله كما سبق قديم النوع حادث الآحاد، بمعنىٰ أن الله لم يزل متكلماً في الأزل، ويتكلم إذا شاء سبحانه وتعالىٰ متىٰ شاء، فهو حادث الآحاد ومنه القرآن.

(٣) الحفظة هم الذين يحفظون أعمال بني آدم من الملائكة «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار»(*)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] وقال تعالىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ملكان موكلان بكتابة ما يصدر عن =

(*) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) (٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠٢- فَيَكْتُبَـانِ كُـلَّ أفعـالِ الـورَىٰ
كما أتىٰ في النَّصِّ مِن غيرِ امْتِرَا[1]

= الإنسان، واحد عن يمينه وآخر عن شماله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٧-١٨] وكل واحد منا معه ملكان يلازمانه ويكتبان ما يصدر عنه في صحائف تعرض علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ليلاً ونهاراً، والناظم ذكر هذا في باب الإيمان؛ لأنه يجب الإيمان به، يجب الإيمان بالحفظة، وأن من أنكر هذا فهو كافر، من أنكر وجود الحفظة فهو كافر.

(وَوَكَّلَ الله من الكرام) لأن الله وصفهم بالكرام، ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١]، وهم خَلْق مِن خَلْق الله من عالم الغيب، خلقهم الله من النور، ومهمتهم العبادة والتسبيح، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن مهمتهم القيام بالأعمال التي يكلها الله إليهم، ومنهم الحفظة، فإن الله وكل إليهم حفظ أعمال بني آدم، لأن الملائكة أصناف، منهم الحفظة، فإن الله وكل إليهم حفظ أعمال بني آدم، وهذا ما يتعلق بنا.

(١) يكتبان الأعمال ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]، ويكتبان الأقوال ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨]، ويكتبان الأعمال خيرَها وشرَّها.

* * *

الباب الرابع
في ذكر البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور[1]

(١) ومن أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، وهو اليوم الذي بعد الدنيا، سمي باليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، الدنيا هي اليوم الأول، ويُقال: يوم القيامة، وسُمي بيوم القيامة؛ لأن الناس يقومون من قبورهم لرب العالمين، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وأول اليوم الآخر هو الموت، فمن مات دخل في اليوم الآخر، من مات انتهت الدنيا في حقه، وانتقل إلىٰ الآخرة فحينئذٍ تبدأ معه أمور الآخرة في قبره، فيأتيه ملكان فيجلسانه، وتُعاد روحه في جسده، فيحيا حياة برزخية، فيسألانه: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن أجاب بجواب صحيح فاز، وإن لم يستطيع الجواب هلك، إن قال: ربي الله، والإسلام ديني، ونبي محمد ﷺ، فإنه حينئذٍ ينجو، ويُجعل قبرُه روضةً من رياض الجنة، وإن لم يستطع وقال: هاه هاه لا أدري، فإنه يضرب بمرزبة من حديد، لو ضربت بها جبال الدنيا لذابت، ويُقال له: لا دريت ولا تليت، يعني ولا اتبعت، ثم يُفتح له باب إلىٰ النار، ويكون قبره حفرة من حفر النار، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه[*]، فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، وهذا من أول أمور الآخرة، أول ما يواجه الإنسان من أمور الآخرة أحوال القبر.

(*) انظر «جامع الأصول» لابن الأثير ١١/ ١٧٣-١٧٩ الفصل الثاني: في سؤال منكر ونكير، حيث ذكر الأحاديث التي تتعلق بهذا الباب.

١٠٣ـ وَكُـلُّ مـا صَـحَّ مِـنَ الأخبـارِ
أو جـاءَ فـي التَّنْـزِيـلِ والآثـارِ

١٠٤ـ مِـنْ فِتْنَـةِ البَـرْزَخِ والقُبـورِ
ومَـا أَتَـىٰ فـي ذَا مِـنَ الأُمـورِ(١)

---

(١) البرزخ: هو الحائل بين الشيئين، وسمي القبر برزخاً؛ لأنه الحائل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وهو محل انتظار، فمن مات صار في هذا البرزخ ينتظر قيام الساعة، والدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، فالبرزخ حاجز بين الدار الدنيا، والدار الآخرة التي هي دار القرار، وهو محطة انتظار ويُبعث الناس من القبور إلىٰ المحشر ثم يساقون إلىٰ الدار الآخرة، فليس القبر هو النهاية، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] زرتم، والزائر معلوم أنه ينتقل، فالميت يزور القبر، وينتظر الرحيل منه، ولذلك سمي بالبرزخ.

وقوله: (وكل ما صح من الأخبار) أي عن الرسول ﷺ فإنه يجب التصديق به، وأما ما لم يصحّ، وما لم يبلغ درجة الصحة فإنه لا يُعتمد عليه في أمور الغيب، فالحديث الضعيف لا يُعتمد عليه في أمور الغيب، وإنما يُعتمد علىٰ الحديث الصحيح، لأنه كلام من لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، سواءً كان متواتراً أو آحاداً، ما صح يجب الإيمان به سواءً كان متواتراً أو آحاداً، وهذا ردّ علىٰ الذين يقولون: إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم والاعتقاد وإنما تفيد الظن، هذا كلام باطل، والصواب أن ما صح عن الرسول ﷺ فإنه لا شك فيه، ويفيد العلم، ويفيد اليقين، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. =

. . . .

= (أو جاء في التنزيل) وهو القرآن، كلام الله عزّ وجل، فلا شك فيه؛ لأنه كلام رب العالمين، وكذلك ما صح عن الرسول ﷺ فإنه من عند الله، وهو كلام من لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، ولكن لماذا قَدَّم الناظم الأخبارَ علىٰ القرآن؟ للاهتمام بها؛ لأن بعض الناس يتشكك في الأحاديث، وفي الأخبار فقدمها من باب الاهتمام بها، ورداً علىٰ الذين يشككون في الأحاديث؛ لأن هناك مَن يشكك في السنة كلِّها، وهم مَن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، ويقولون: نحن لا نعمل إلا بالقرآن فقط، وهذا كفر برسالة محمد ﷺ فإن القرآن أمرنا أن نأخذ بما صح عن الرسول ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] والله أنزل القرآن علىٰ نبينا محمد ﷺ ليبينه للناس، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فلا بد من السنة؛ لأن السنة تبين القرآن، وتفسر القرآن، وتوضح القرآن.

وقوله: (فتنة البرزخ) الفتنة هي الاختبار، فإن الميت إذا وضع في قبره وسوي عليه التراب، وتولّىٰ عنه المشيعون، وإنه ليسمع قرع نعالهم، يأتيه ملكان فتعاد روحه في جسده ويجلسانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هذه فتنة واختبار، هذا اختبار مثل اختبار الدنيا في الفتن والابتلاءات التي يظهر فيها الصابر من غير الصابر، وكذلك في القبر يُختبر الإنسان، يُختبر ليظهر المؤمن من المنافق، المؤمن يستطيع الجواب ولا يتلكأ؛ لأنه عاش علىٰ الإيمان ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] عاش علىٰ الإيمان فيستطيع الجواب بسهولة، وأما المنافق عاش علىٰ =

. . . .

= النفاق والكفر فلا يستطيع الجواب إذا وضع في قبره، فيقول: هاه هاه ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ويحال بينه وبين الجواب، هذا من أعظم الفتن والامتحان، وهو موقف له ما بعده، إن نجا منه نجا مما بعده، وإن لم ينجو منه فإنه لن ينجو مما بعده، فليس هذا بالهين ولا بالسهل، فعلىٰ الإنسان أن يتذكر هذا، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ولو كان في هذه الدنيا مِنْ أفصح الناس، ولو كان متعلماً وبليغاً وناطقاً وخطيباً، وحافظاً لكل شيء من المتون ومن الشروح، إذا كان منافقاً فإنه لا يستطيع الجواب بل يتلجلج، والعياذ بالله.

(وما أتىٰ في ذا من الأمور) كلُّ هذا صح عن الرسول، يجب الإيمان به ولم ينكره إلا المعتزلة، لأن المعتزلة يعتمدون علىٰ عقولهم، ولا يؤمنون بما خالف عقولهم، فيقولون: نحن لو كشفنا عن الميت وجدناه كما وضعناه، لا نشاهد عنده ناراً ولا جنة، فنقول لهم: هذا من أمور الآخرة التي هي من علم الغيب، وليس هو من أمور الدنيا، أنتم في الدنيا، ولا تدركون هذا، والميت إما أنه في عذاب وإما أنه في نعيم، وأنتم لا تشعرون بذلك، وربما يُدفن اثنان في قبر، واحدٌ في نعيم، وواحدٌ في عذاب، واحدٌ في جنة وواحدٌ في نار، وهما متجاوران، والله علىٰ كل شيء قدير، وهذا من أمور الآخرة لا تدركه العقول، ومن علم الغيب ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩] فيجب علىٰ المؤمن أن يؤمن بما صحَّ عن الرسول ﷺ، ولا يقول: أنا لا أجد شيئاً، يعني أن كل ما لا تعرفه لا يكون صحيحاً!!، أمور الآخرة لا يعلمها =

١٠٥ـ وأَنَّ أرواحَ الـورَىٰ لَـمْ تُعْـدَمِ
مَـع كَـوْنِهـا مَخلـوقـةً فـاسْتَفْهِـمِ(١)

= إلا الله عز وجل. وعذاب القبر يتناول كل ميت، وكذلك نعيم القبر، يتناول كل ميت، سواءً دُفن أو صُلب أو أكلته السباع، أو أُلقي في البحر يأتيه ما قدر له من عذاب أو نعيم وهو في أي مكان، والله علىٰ كل شيء قدير.

(١) من أمور البرزخ أمر الروح، والروح لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه، وهي موجودة فيك وأنت لا تعلمها ولا يعلمها أحد، لا يعلمها إلا الله، وهي من العجائب أن الإنسان الذي فيه روح يتحرك ويمشي، ويأكل ويشرب، ويضحك، فإذا نُزِعت الروحُ صار جثة هامدة، لا حراك بها، هذا من آيات الله سبحانه وتعالىٰ، فأين عقول المعتزلة، أين ذهبت؟ نقول لهم: علمونا عن الروح إن كنتم أهل علم، لا بد أنهم يقولون: الروح من علم الغيب لا يعلمها إلا الله، ونقول: كذلك الأمور التي أخبر عنها الرسول ﷺ كلها من علم الغيب، والروح مُحدَثة خلقها الله بعد أن لم تكن، ولكنها لا تُعدَم بالموت، الروح تبقىٰ، الروح خلقت للبقاء، والجسم قد يفنىٰ ويصير تراباً، ولكنه لا ينعدم بل تبقىٰ مادته، ويبقىٰ عَجْب الذنب من الإنسان لا يفنىٰ، والعذاب يكون علىٰ الروح وعلىٰ البدن، والنعيم يكون علىٰ الروح وعلىٰ البدن، ولو كان البدن تراباً، فإنه يناله من العذاب ومن النعيم ما قَدَّر الله له، والروح تتصل بالميت في قبره، ولذلك تُعاد إليه روحُه عند سؤال الملكين، وتصعد وتنزل، وتكون في نعيم، وتكون في عذاب، ومن الأرواح ما هو في جنات النعيم، ومنها ما هو في أجواف طير في الجنة، كأرواح الشهداء، ومنها =

١٠٦ـ فَكُـلُّ مـا عـن سَيِّـدِ الخَلْـقِ وَرَدْ
مِنْ أمرِ هذا البابِ حَقٌّ لا يُرَدّْ[١]

= ما هو في سجين والعياذ بالله، كأرواح الكفار، فالروح لها أمور عجيبة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ولكن الاعتقاد أنها لا تفنىٰ، وإنما هي خُلقت للبقاء فإذا نُفخ في الصور النفخةُ الثانية، عادت الأرواح إلىٰ أجسادها.

(١) (كل ما عن سيد الخلق) وهو محمد ﷺ ورد وصح عنه ذلك من هذه الأمور الغيبية فإنه يجب الإيمان به، وعدم التردد فيه، وأن لا نتدخل بعقولنا وأفكارنا، هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ومدارها علىٰ النقل لا علىٰ العقل، مدارها علىٰ النقل، وما صح في الخبر.

❊ ❊ ❊

فصل

في أشراط الساعة
وعلاماتها الدالة علىٰ اقترابها ومجيئها(١)

(١) هذا الفصل في بيان أشراط الساعة، والمرد بالساعة: يوم القيامة حينما تنتهي الدنيا، وتبدأ الآخرة، وسُمي بالساعة؛ لأنه يحصل فجأة، وبسرعة، فكأنه ساعة، والله جل وعلا أخبر عن قيام الساعة ولكنه لم يبين متىٰ قيامها، أخفىٰ الله هذا عن خلقه، كما أنه أخفىٰ وقت الموت عن بني آدم، فلا يدري أحدٌ متىٰ يموت، ولا يدري أحد متىٰ تقوم الساعة، وحكمته في ذلك ـ والله أعلم ـ من أجل أن يستعد الناس بالأعمال الصالحة، ولا ينتظروا أو يؤخروا؛ لأنهم لا يدرون متىٰ يحصل الموت لكل فرد، ومتىٰ تقوم الساعة بالنسبة للجميع، فلهما نهاية لا بد منها، ولكن وقت ذلك عند الله جل وعلا، لا يعلمه إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل يعلم متىٰ تقوم الساعة، ولهذا لما سأل جبريل نبينا محمداً ﷺ قال: «أخبرني عن الساعة» يعني عن قيام الساعة متىٰ؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»(*)، ما المسؤول عنها وهو محمد ﷺ بأعلم من السائل وهو جبريل، كل منهما لا يدري متىٰ تقوم الساعة؛ لأن الله استأثر بعلم ذلك، فلم يطلع عليه أحداً، ولهذا قال جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال =

(*) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب، وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ١/ ٩٣ الحديث الثاني.

. . . .

= سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣]؛ لأنهم ليس لهم مصلحة في معرفة قيام الساعة، وإنما مصلحتهم في العمل الصالح، هذا هو الذي أُمروا به، وهو الذي يجب أن يسألوا عنه ويعتنوا به، وأما وقت قيام الساعة فليس لهم مصلحة في ذلك، بل مصلحتهم في عدم معرفته حتىٰ يستعدوا ولا يؤخروا التوبة، فعلم قيام الساعة من الأمور التي لا يعلمها إلا الله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤] هذه الخمس لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وأما ما للناس مصلحة في إطلاع الرسل عليه، فقد أطلع الله رسله علىٰ شيء من المغيبات لمصلحة البشر، إلا هذه الخمس فإن الله لم يطلعهم عليها بل استأثر بعلمها سبحانه وتعالىٰ، ومنها قيام الساعة، ولكن قيام الساعة له علامات، إذا حدثت دلت علىٰ قرب قيامها، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ [الزخرف: ٦٦] ينظرون: يعني ينتظرون، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] أشراطها، أي: علاماتها؛ لأن الشرط في اللغة هو العلامة، وقد ذكر النبي ﷺ هذه الأشراط، وقد جاء في الكتاب والسنة ذكر هذه العلامات، وهذه العلامات تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذي حصل وانتهىٰ.

والقسم الثاني: المتوسط.

والقسم الثالث: العلامات الكبار. =

. . . .

= فالذي مضىٰ وانتهىٰ مثل بعثة الرسول ﷺ، فإن بعثة الرسول ﷺ من علامات الساعة؛ لأنه آخر الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ولا نبي بعده، ويقول ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطىٰ(*)، ويُسمىٰ نبي الساعة، ومنها ما حصل من الحوادث بعد وفاته ﷺ، كالحروب التي حصلت، والملاحم والفتن التي حصلت، وانتهت، ومنها ظهور النار من حَرَّة المدينة حتىٰ أضاءت لها أعناق الإبل في الشام(**)، وهي نار ظهرت في الحرة، ومكثت أياماً، هذا من علامات الساعة التي مضت وانتهت.

والمتوسطة، والله أعلم، مثل ما نعيش فيه الآن من هذه المخترعات الحديثة التي قَرَّبت البعيدَ، هذه من علامات الساعة، هذه المخترعات، وهذه المراكب الحديثة، والصناعات، وظهور كنوز الأرض هذا من علامات الساعة، ومنها كثرة المال، ويكون المال في يد لكع بن لكع في آخر الزمان، يعني يكون في يد أراذل الناس، ومنها إسناد الأمور إلىٰ غير أهلها، وتضييع الأمانة، قال ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: وما إضاعتها؟ قال: «أن تُسند الأمور إلىٰ غير أهلها»(***)، ومنها فشو الربا، وكثرة الفساد، وكثرة الزنا، وكثرة المسكرات والمنكرات، هذه كلها من علامات الساعة المتوسطة، ومنها زخرفة المساجد، =

(*) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(**) انظر «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٣٨٦ الفصل السادس: في خروج النار قبل الساعة، حيث ذكر أحاديث تتعلق بهذا الباب.

(***) أخرجه البخاري (٦٤٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠٧ـ وَمَـا أَتَـىٰ فـي النَّـصِّ مِـنْ أَشْـراطِ
فَكُلُّـــهُ حـــقٌّ بـــلا شِطـــاطِ[١]

١٠٨ـ منهـا الإمـامُ الخَـاتِـمُ الفَصِيـحُ
مُحَمَّـــدٌ المَهْـــدِي والمَسِيـــحُ[٢]

= ورفع المنابر في المساجد، وغير ذلك مما جاء في الحديث، ومنها المباهاة في المساجد(*)، ومنها تضييع الصلاة والتهاون بها، كل هذا من علامات الساعة المتوسطة، ثم تأتي العلامات الكبار، المتتابعة، كظهور المهدي، وخروج الدجال، ونزول المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وآخرها النار التي تخرج من قعر عدن، والتي تسوق الناس إلىٰ المحشر، هذه كلها علامات كبار متتابعة.

(١) (ما أتى في النص) من القرآن أو من السنة الصحيحة من ذكر علامات الساعة، أي: أشراط الساعة فهو حق يجب الإيمان به، ولا يجوز الشك فيه أو تكذيبه أو تأويله، أي: تفسيره بغير حقيقته كما يفعل المتلاعبون، من التأويل الفاسد، إما أن يكذبوا النصوص، وإما أن يحرفوها، بل يجب الإيمان بها علىٰ حقيقتها، وعلىٰ مدلولها من غير تصرف فيها.

(بلا شِطاط) يعني بلا تردد وبعد عن معناه، الشطط: هو البعد، والشطاط هو الشطط بمعنىٰ واحد، أي: البعد عما تدل عليه من الحق.

(٢) (منها) أي: أولها (الإمام) أي: أول العلامات الكبار (الإمام الخاتم) للأئمة (الفصيح)؛ لأنه من العرب ومن قريش، هذه صفات المهدي: =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/ ٣٧٢ (١٢٣٧٩)، وأبو داود (٤٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس في المساجد».

. . . .

= أنه إمام يبايعه المسلمون ويتقلد الأمر، ويصير إماماً للمسلمين عندما يحصل بين المسلمين فتن وشقاق، ولا يكون لهم إمام يتبعونه، يُظهِر الله هذا الرجلَ من بيت الرسول ﷺ، من ولد الحسن بن علي، اسمه محمد بن عبد الله. يوافق اسم الرسول ﷺ، واسم أبيه يوافق اسم أبي الرسول ﷺ، وقال: (الفصيح) لأنه من أفصح العرب من قريش، بل من بني هاشم، وهم أفصح العرب لساناً، فيبايعه الناس علىٰ حين فساد من الأمر وشقاق بين الناس، فيبايعونه فيجتمعون عليه، ويقودهم للجهاد في سبيل الله، ويحصل علىٰ يده خير كثير، وجمع للكلمة، ونصرة للإسلام بعد الشتات، واتفاق بعد الافتراق، هذا من رحمة الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا لا بد من اعتقاده؛ لأنه صحت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

(منها الإمام) الذي هو وليُّ الأمر المُقتَدىٰ به، (الخاتم) يعني خاتم الأئمة. (محمد المهدي) هذا محمد اسمه، والمهدي لقبه.

(والمسيح) هذا هو العلامة الثانية، نزول المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وقبله خروج الدجال يعني في خلافة المهدي، يظهر المسيح الدجال الذي حذرت منه الأنبياء، وأكثرهم تحذيراً منه نبينا محمد ﷺ، ولهذا شرع لنا أن نستعيذ من فتنته في آخر كل صلاة، قال ﷺ: «استعيذوا بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن عذاب القبر»(*) سُمي بالمسيح؛ لأنه ممسوح العين أعور، وقيل: لأنه يمسح الأرض بسرعة، =

(*) أخرجه بنحوه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) (١٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠٩ـ وأنَّـــهُ يَقْتُـــلُ لِلـــدَّجَّـــالِ
ببـابِ لُـدٍّ خَـلِّ عَـنْ جِـدالِ[(١)]

= أي: لسرعة مشيه، ولسرعة سيره في الأرض، فيمسحها بسرعة، والدجال من الدجل وهو الكذب، لما معه من الكذب، والفتنة، حتىٰ إنه يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ويأمر الأرض فتخرج كنوزها، ومعه صورة جنة، وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار، ولكن يتراءىٰ للناس خلاف الحقيقة، ففتنته شديدة، فتنته عظيمة وشديدة، ويتبعه خلق كثير يفتتنون به، وأكثر من معه اليهود لعنهم الله، فإنه هو إمام اليهود، وهو يظهر في اليهود. وإن تجمعهم والله أعلم الآن في فلسطين تمهيد لظهور الدجال منهم، فيتبعونه، ويفتتن فيه خلق كثير إلا مَن ثَبَّته الله عز وجل، ولا يبقىٰ محل إلا ويأتيه إلا مكة والمدينة، ولكن من أراد الله فتنته فإنه يخرج إليه، من مكة والمدينة، ثم ينزل المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، فيقتله.

(١) حينما يظهر الدجال، ويحصل علىٰ المسلمين ما يحصل من الفتن، يجيء الله جل وعلا بالفرج، فينزل المسيح عيسىٰ ابن مريم من السماء؛ لأن الله رفعه إلىٰ السماء، وبقي حياً، ثم ينزل في آخر الزمان بأمر الله سبحانه وتعالىٰ، كما قال سبحانه وتعالىٰ فيه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾ أي: نزول المسيح علامة علىٰ قرب الساعة، وفي قراءة: (وإنَّهُ لَعَلَمٌ للساعة)[(*)] أي: علامة علىٰ الساعة، وهو نزول المسيح عليه السلام، فينزل في آخر الزمان حينما تشتد فتنة المسيح الدجال، فيقتله بباب لُدٍّ، علىٰ وزن =

(*) وهي قراءة شاذة قرأ بها الأعمش (وإنَّهُ لَعَلَمٌ) بفتح العين واللام الثانية، أي: شرط وعلامة علىٰ اقتراب الساعة ويوم القيامة. «إتحاف فضلاء البشر» للبنا ٢/٤٥٨، «الميسر في القراءات الأربعة عشر» لمحمد فهد خاروف، ص٤٩٤.

١١٠ـ وأمرُ يأجوجَ ومأجوجَ أثْبِتِ
وأنَّهُ حقٌّ كهدْمِ الكعْبةِ(١)

= مُدّ مدينة من مدن فلسطين، فيطلبه عيسىٰ عليه السلام، إذا علم الدجال بنزول المسيح هرب، فيطلبه عيسىٰ عليه السلام، ويدركه بباب لُدّ، ويقتله، ويريح الله المسلمين من شره.

وعيسىٰ ابن مريم عليه السلام سُمي بالمسيح، لأنه يمسح علىٰ ذي العاهة فيبرأ بإذن الله، كما قال تعالىٰ عنه أنه قال: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(١) في وقت المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام يظهر يأجوج ومأجوج، وهذه العلامة الرابعة، خروج يأجوج ومأجوج: وهم أمة عظيمة من بني آدم، قيل: إنهم من ذرية يافث بن نوح، وقيل غير ذلك، والله أعلم، المهم أنهم من بني آدم، وهم أمة عظيمة، كانوا يفسدون في الأرض وهم أهل ظلم، وأهل بطش، وبأس شديد، فلما جاء ذو القرنين الإسكندر المقدوني، وطاف الأرض كما ذكر الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٦] فهو قد ذهب إلىٰ مطلع الشمس، ثم ذهب إلىٰ مغرب الشمس، ثم ذهب إلىٰ السدين جبلين عظيمين، فهناك قال له الناس: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] يعني نجعل لك مالَ خراج، وفي قراءة: ﴿هَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً﴾(*) يعني مالاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ﴾=

(*) ﴿خَرَاجاً﴾ بفتح الراء وألف بعدها، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر «إتحاف فضلاء البشر» للبنا ٢/٢٢٦، «الميسر في القراءات الأربعة عشرة»، ص٣٠٣.

. . . .

= ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يعني لا أريد منكم شيئاً لما عندي من استعداد، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥] فأقام السد بين الجبلين العظيمين، من الحديد والنحاس فلم يستطيعوا حين ذاك ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] يعني أن يتسلقوه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] يعني خرقاً، فمنعهم الله به، من أن يفسدوا في الأرض، وصار حائلاً بينهم وبين الناس ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] ولكن إذا جاء آخر الزمان فإن هذا السد يزول ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] فيخرقونه في آخر الزمان، فيسيحون في الأرض، ويعيثون في الأرض فساداً وقتلاً، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩] فيحصل فساد في الأرض، وقتل، ثم إن المسيح عليه السلام في هذا الوقت يأمره الله بأن يحرز المسلمين إلىٰ الطور، إلىٰ بلاد بالطور ليتحصنوا بها من يأجوج ومأجوج. ثم يدعون الله عز وجل ويتضرعون إليه، ثم ينزل الله فيهم مرضاً يأخذ برقابهم فيهلكون جميعاً، فإذا علم المسلمون بهلاكهم يخرجون من حصونهم، فيجدون الأرض مملوءة بجثثهم ورائحتهم المنتنة، فيدعون الله مرة ثانية أن يذهب جثثهم، فيبعث الله طيراً، فتحمل جيفهم إلىٰ حيث شاء الله، ثم ينزل الله مطراً يغسل به الأرض بعدهم، ويستريح المسلمون من شرهم.

وقوله: (وأنه حق) أي: أمر يأجوج ومأجوج في القرآن، ذكره الله في القرآن ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧] وقد جاء وصفهم في =

. . . .

= السنة والأحاديث الصحيحة، ووصف ما يجري منهم، وهذا من علامات الساعة الكبار.

(كهدم الكعبة) بعد ذلك بعد ما يُهلك الله يأجوج ومأجوج، يموت المسيح عليه السلام، ويُدفن؛ لأن الله أخبر أنه يموت ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي موت المسيح عليه السلام، فدل علىٰ أنه يموت في آخر الزمان، وإنما أبقاه الله إلىٰ ذلك الوقت لحكمة ثم يموت كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فيموت عيسىٰ عليه السلام، قيل: إنه يموت في المدينة ويُدفن عند قبر الرسول ﷺ، والله أعلم. المهم أنه يموت كما في القرآن، ثم يبعث الله ريحاً طيبة يقبض الله بها روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقىٰ في الأرض إلا شرار الناس، إذا لم يبق في الأرض إلا شرار الناس، يُرفع القرآن، يُرفع من الصدور ومن المصاحف فلا يبقىٰ منه شيء في أيدي الناس، وهذا معنىٰ قول أهل السنة: منه بدأ - أي من الله - وإليه يعود، يعني في آخر الزمان يعود القرآن إلىٰ الله جل وعلا.

ومن علامات الساعة أيضاً هدم الكعبة، الكعبة بيت الله العتيق، الذي حماه الله جل وعلا من أيدي الجبابرة، ولذلك سمي بالبيت العتيق، فلا أحد يتمكن من هدمه، ولما أراد أبرهة ملك الحبشة أن يهدمه أرسل الله عليه الطير الأبابيل فأهلكتهم عن آخرهم، وبقي البيت وسيبقىٰ إلىٰ أن يشاء الله في آخر الزمان، عندما يحصل الفساد في الأرض، وينتشر، ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض مسلم كما أنه يُرفع القرآن، كذلك يُهدم البيت، =

١١١ـ وأنَّ منهـــا آيـــةُ الــدُّخَــانِ
وأنَّــه يُــذْهَــبُ بــالقُــرآنِ(١)

١١٢ـ طلــوعُ شمــسِ الأُفُــقِ مِــن دَبُــورِ
كَــذاتِ أجيــادٍ علــىٰ المَشْهُــورِ(٢)

= فلا يبقىٰ بيت علىٰ وجه الأرض، والذي يهدمه رجل يُقال له: ذو السويقتين من الحبشة، فينقضه حجراً حجراً، وذلك حين ينتهي الإسلام من الأرض، ولا يبقىٰ فيها إلا أهل الفساد، فيُرفع القرآن، وتُهدم الكعبة.

(١) كذلك من علامات الساعة، الدخان، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] فالدخان قيل: إنه هو الدخان الذي حصل في وقت الرسول ﷺ في المجاعة التي حصلت علىٰ قريش حتىٰ صاروا من شدة الجوع إذا رفع أحدهم رأسه إلىٰ السماء يرىٰ مثل الدخان ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٠-١١]، والصحيح أنه دخان يأتي في آخر الزمان، وليس هو الدخان الذي تراءىٰ للناس وقت المجاعة علىٰ قريش، وإنما هو دخان يأتي في آخر الزمان يملأ الدنيا، فالمؤمن يصيبه منه مثل الزكمة، وأما الكافر فإنه يتضرر منه ويدخل في جوفه وأنفه وفمه، ويتضرر؛ لأنه عذاب.

(وأنه يُذهب بالقرآن) أي يرفع كما عرفناه.

(٢) هذا آخر العلامات، طلوع الشمس من مغربها، جعل الله جل وعلا الشمس تظهر من المشرق وتغيب في المغرب، كما هو المشاهد، وكما في قوله سبحانه علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام لما حاج النمرود الجبار الذي قال: أنا أحيي وأميت، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ =

. . . .

= ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] انقطع وانخصم، ولم يستطع الإجابة. أجرىٰ الله جل وعلا العادة علىٰ أن الشمس تخرج من المشرق، وتغرب في المغرب، في فلكها، تخرج علىٰ أناس وتغيب عن أناس، يتعاقب الليل والنهار، يأتي هذا ويذهب هذا إلىٰ آخر الزمان فحينئذ بدل أن تخرج الشمس من المشرق تخرج من المغرب، وهذا من علامات الساعة يراها الناس حينما تخرج من المغرب، وهذا عند خراب الدنيا، ونهاية الدنيا، وحينئذ إذا طلعت الشمس من مغربها لا تُقبل التوبة، ولا يُقبل إسلام الكافر، والمذنب والعاصي إذا تاب من ذنبه لا تُقبل توبته، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ بعض آيات ربك وهو طلوع الشمس من مغربها.

وقوله: (طلوع شمس الأفق من دَبُور) الدبور: هو الغرب، سمي دبوراً؛ لأنه دبر الكعبة.

وقوله: (كذات أجياد علىٰ المشهور) أي: كذلك من علامات الساعة (ذات أجياد) وهي الدابة التي تخرج من أجياد علىٰ القول المشهور من أقوال أهل العلم، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] دابة تخرج في مكة، قيل: تخرج من أجياد من بين جبال أجياد، تخرج علىٰ الناس، وتَسِمُهم، تكتب علىٰ المؤمن مؤمن، وتكتب علىٰ الكافر كافر، ولا تدع أحداً علىٰ وجه الأرض إلا وتكتب هل هو مؤمن أو كافر، فيصبح الناس متميزين، هذا مؤمن وهذا كافر.

١١٣ـ وآخــرُ الآيــاتِ حَشْــرُ النــارِ
كمـا أَتَـىٰ فـي مُحْكَـمِ الأخبـارِ[(١)]

١١٤ـ فكلُّهــا صَحَّــتْ بهــا الأخبــارُ
وسَطَّــرَتْ آثــارَهــا الأخيــارُ[(٢)]

---

(١) (آخر الآيات حشر النار) وهي نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلىٰ أرض المحشر في الشام، تبيت بهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، ولا تترك أحداً إلا وتسوقه من المشرق والمغرب والجنوب، ومن كل مكان. كما أتىٰ ذلك في محكم الأخبار أي الأدلة عن الرسول ﷺ.

(٢) كل هذه العلامات التي ذكرها صحت بها الأخبار، من القرآن، ومن السنة عن الرسول ﷺ، فيجب الإيمان بها، ولا يجوز التردد فيها أو التشكيك فيها، أو تأويلها؛ لأن هناك من جهال الكتاب أو من أهل الضلال مَن يحرف هذه الآيات وينكر مدلولها، يُنكر بعضهم نزول المسيح عيسىٰ ابن مريم، وبعضهم يُنكر خروج المهدي، وبعضهم يُنكر خروج الدجال.

الواجب علىٰ المؤمن الإيمان بما صح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن لا يُحكم عقله ويكذب بآيات الله كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩] فالمؤمن لا يتدخل في الأدلة، بل يثبتها كما جاءت، ويؤمن بها إن كان عرف معناها فالحمد لله، وإلا يُسلم لله ولرسوله، ولا يجهد نفسه ويتعسف، ويضلل الناس ويشككهم في أمور دينهم. وعلامات الساعة أُلِّف فيها مؤلفات، منها: «النهاية» لابن كثير، آخر كتاب «البداية والنهاية» ومنها كتاب «الإشاعة في أشراط الساعة» لابن رسول البرازنجي، وهو موجود ومطبوع، ومنها كتاب =

. . . .

= «الإذاعة في أشراط الساعة» للشيخ صديق حسن خان القنوجي وهو مطبوع ومتداول، ومن آخرها ما ألفه الشيخ حمود التويجري رحمه الله وهو كتاب «إتحاف الجماعة في ذكر أشراط الساعة» وهو كتاب يتكون من مجلدين وهو كتاب ضخم، وغزير العلم، وغزير الفائدة، رحمه الله وجزاه خيراً، وهو مطبوع ومتداول، والعلماء يذكرون أشراط الساعة في آخر كتب العقائد، مثل السفاريني هنا، فالعلماء يذكرونها في كتب العقائد؛ لأنه يجب اعتقادها، والإيمان بها وعدم التلاعب بها.

❊ ❊ ❊

فصل
في أمر المعاد(١)

(١) (فصل في أمر المعاد) المعاد: مصدر عاد يعود معاداً وعوداً، والمراد به يوم القيامة الذي فيه البعث؛ لأن الله يعيد الناس كما كانوا، فسُمي المعاد من العود؛ لأن الله يعيد الخلق ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فهذه الحياة الدنيا بعدها الموت، ثم بعد الموت البعث، والدور ثلاث كما جاء في الكتاب والسنة:

١ ـ دار الدنيا وهذه للعمل.

٢ ـ ودار البرزخ وهي القبر، وهذه دار انتظار مؤقتة.

٣ ـ والدار الثالثة دار القرار وهي دار الآخرة، ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، يستقر الخلق فيها، لا انتقال منها، فالدنيا انتقلوا منها إلىٰ القبور، والقبور انتقلوا منها إلىٰ الدار الآخرة، ولا انتقال بعدها. أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار أبد الآباد، فالآخرة هي جزاء علىٰ الأعمال التي حصلت في الدنيا، فالدنيا دار عمل، والآخرة دار الجزاء، وهذا من حكمة الله جل وعلا، أنه لم يخلق الخلق عبثاً، بحيث إنهم في هذه الدنيا يعملون الصالحات أو يعملون السيئات ويتركون بلا جزاء، هذا لا يليق بعدل الله سبحانه وحكمته، لا بد أن هذه الأعمال لها نتائج ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، الكافر يكفر ويفسق ويتمرد ويُترك!!، والمحسن يُحسن ويعمل الصالحات ويفني حياته في الطاعات ويذهب عمله سُدىٰ، هذا لا يليق بحكمة الله ولا بعدل الله سبحانه وتعالىٰ، هذا هو المعاد، ويوم المعاد وهو يوم القيامة، سُمي معاداً من العود، وهو بعث الأموات، وإعادة خلقهم كما كانوا في =

. . . .

= الدنيا، لا يضيع من أجسامهم شيء، كلها تعود كما كانت بقدرة القادر سبحانه وتعالىٰ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣-٤]، والبعث أهون عليه جل وعلا من البداءة من ناحية العقل، وإلا فالله جل وعلا كل شيء هين عليه، ولكن من ناحية العقول الإعادة أسهل وأيسر من البداءة، و﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧] الذي قَدِر علىٰ البداءة قادر من باب أولىٰ علىٰ الإعادة.

وفي هذا ردّ علىٰ الذين يستبعدون البعث، ويعجزون الله سبحانه وتعالىٰ، والبعث يؤمن به أهل الأديان كلهم المسلمون واليهود والنصارىٰ كما جاءت به الرسل، وإنما يُنكر البعث الملاحدة من المشركين وغيرهم. ينكرون البعث لقصر عقولهم وأفهامهم وجهلهم بالله عز وجل، وبقدرة الله جل وعلا، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾[التغابن: ٧-٩]، ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٣] يسألون الرسول ﷺ عن البعث هل هو حق؟ ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٣-٥] فهذه ثلاث آيات أمر رسوله أن يحلف به علىٰ حصول البعث والنشور. =

١١٥ـ وَاجْـزِمْ بـأَمْـرِ البَعْـثِ والنُّشُـورِ
والحَشْرِ جَزْماً بَعْدَ نَفْخِ الصُّوْرِ(١)

= والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة، قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(*) وتارة يذكر الله الإيمان به والإيمان باليوم الآخر كما قال تعالىٰ في أول سورة (البقرة): ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢-٤] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالبعث، والإيمان بما يكون في يوم القيامة ركن من أركان الإيمان، فمن جحده فهو كافر بالله عز وجل ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] فلا ينكره إلا الكفرة والزنادقة والملاحدة والفلاسفة، أما أهل الأديان فإنهم يؤمنون بالبعث.

(١) (واجزم) يعني اعتقد جازماً بلا شك، (بالبعث والنشور) البعث والنشور بمعنىٰ واحد، فالبعث هو النشور، والنشور هو البعث بمعنىٰ واحد، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١-٢٢] انشره: يعني بعثه، فالبعث هو النشور، بمعنىٰ واحد.

وقوله: (واجزم بأمر البعث والنشور) يعني بخلاف الكفرة والملاحدة الذين ينكرون البعث، وكذلك الذين يشكون في البعث، يقولون: يمكن ولا يمكن والله أعلم، فالذي يتوقف فيه ويشك كافر، فلا بد أن يجزم المسلم ويوقن، ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، يوقن يقيناً جازماً =

(*) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

. . . .

= لا شك فيه، فإن كان في نفسه شك فإنه كافر، ومن باب أولىٰ إذا صرح ونفىٰ البعث والنشور قال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، فهذا أولىٰ بالكفر والإلحاد ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: (واجزم) وردّ علىٰ من عنده شك أو تردد، أو الذي يقول: يمكن يبعثون، ويمكن لا يبعثون.

(والحشر) وهو جمع الناس في المحشر وهو صعيد واحد يجمع الله فيه الخلائق الأولين والآخرين يمد الأرض، ويمسح ما فيها من الجبال والمرتفعات، فتصبح ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦-١٠٧] ثم يحشر الله الخلائق في هذا المكان، مكان واحد. الأولون والآخرون والجن والإنس، والحيوانات والطيور، والحشرات وكل شيء، كل الخلق يُجمعون في هذا المكان، ويحصل زحام شديد في هذا المكان لكثرة الخلق حتىٰ إن أقدامهم يقع بعضها علىٰ بعض من شدة الزحام في هذا المحشر الهائل العظيم ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: (بعد نفخ الصور) أي الحشر يكون بعد نفخ الصور، والصور: هو القرن الذي خلقه الله سبحانه وتعالىٰ وهو قرن هائل مدور، فيه أرواح الخلق، ووكل به ملكاً عظيماً من الملائكة وهو إسرافيل، التقمه وهو ينتظر الأمر، فينفخ فيه ثلاث نفخات:

النفخة الأولىٰ: نفخة الفزع.

النفخة الثانية: نفخة الصعق.

النفخة الثالثة: نفخة البعث. =

. . . .

= قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٧-٨٨] هذه نفخة الفزع؛ لأنها علىٰ إثرها يتغير العالم، تسير الجبال من أماكنها، وتصير هباءً، تصير سراباً، تمرّ مرّ السحاب، وتنشق السماوات، وتتساقط النجوم، وعند ذلك يفزع الناس، ويخافون من هذا الحدث العظيم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢] هذه نفخة الفزع، استثنىٰ الله مخلوقات لا تفزع، قيل: هم الملائكة، وقيل غيرهم، والله أعلم.

ثم ينفخ النفخة الثانية، نفخة الصعق وهو الموت، فلا يبقىٰ أحد حي إلا ما استثنىٰ الله جل وعلا، ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] وكل حي فإنه يموت إلا من استثنىٰ الله جل وعلا، قيل: هي الحور العين في الجنة، والله أعلم.

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ هذه النفخة الثالثة ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ ﴾ من قبورهم ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، وذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ يجمعهم، يجمع عظامهم، ولحومهم وشعورهم، فتتآلف وتتكون منها الأجسام وتعود كما كانت، حتىٰ لو أن شخصاً يعرف شخصاً في الدنيا، ومر عليه لعرفه، لكن ليس فيهم أرواح، ثم يأمر إسرافيل فينفخ النفخة الثالثة، فتطير كل روح إلىٰ جسدها تدخل فيه فيحيون ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، وأول من يقوم من قبره محمد ﷺ، فهو أول من تنشق عنه الأرض عليه =

١١٦ـ كَــذا وقــوفُ الخَلْــقِ للحِسَــابِ
والصُّحُــفُ والمِيــزانُ للثــوابِ(١)

= الصلاة والسلام، وكذلك الخلائق كلهم يقومون من قبورهم بقدرة قادر، وأمر عزيز حكيم سبحانه وتعالىٰ، ثم يأمرهم الله بالسير إلىٰ المحشر ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، مثل الجنود الذين يسيرون خلفَ العَلَم لا يتخلف منهم أحد، ولا أحد يذهب يميناً أو شمالاً، أما المؤمنون فيكون هذا اليوم عليهم يسيراً سهلاً، وإنما عسره علىٰ الكافرين ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، فيسيرون من قبورهم إلىٰ المحشر، ويجتمعون فيه بأمر الله سبحانه وتعالىٰ، لا أحد يتخلف.

هذا معنىٰ قول الناظم: (والحشر جزماً بعد نفخ الصور) الحشر هو الجمع ويكون بعدما ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثالثة، فتحيا الأجسام ثم تؤمر فتسير كالجراد المنتشر علىٰ وجه الأرض إلىٰ المحشر، ويقومون في هذا الصعيد خمسين ألف سنة، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ، يقفون علىٰ أقدامهم، والشمس قريبة من رؤوسهم قدر ميل، والعرق يأخذ منهم كلّ مأخذ علىٰ حسب أعمالهم.

(١) ثم بعد ما يطول عليهم الوقوف في المحشر، خمسين ألف سنة شاخصة أبصارهم حفاة أقدامهم عراة أجسامهم غُرلاً غير مختونين، فإذا طال عليهم الوقوف، قال بعضهم لبعض: اذهبوا إلىٰ من يشفع لكم عند ربكم، ليريحكم من الموقف إما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار، فيذهبون إلىٰ آدم عليه السلام فيعتذر، ثم يذهبون إلىٰ نوح عليه السلام فيعتذر، ثم يذهبون إلىٰ إبراهيم عليه السلام فيعتذر، ثم يذهبون إلىٰ موسىٰ عليه =

. . . .

= السلام فيعتذر، فيذهبون إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فيعتذر، ثم يذهبون إلىٰ محمد ﷺ، فيقول: «أنا لها، أنا لها»(*) فيأتي ويخر ساجداً تحت العرش بين يدي ربه عز وجل، ويطيل السجود ويدعو ربه عز وجل، ولا يزال ساجداً يدعو حتىٰ يُقال له: «ارفع رأسك، وسلْ تُعطَ، واشفع تُشفع»(**) عند ذلك يشفع في أهل الموقف بأن يريحهم الله منه ويحاسبهم، فيظهر بذلك شرفه ﷺ علىٰ الخلق كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] هذا هو المقام المحمود وهو الشفاعة العظمىٰ الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر بذلك شرفه وفضله عليه الصلاة والسلام.

(والصحف والميزان للثواب) فينصرفون من المحشر إلىٰ الحساب، فيحاسبهم الله جل وعلا علىٰ أعمالهم يقررهم بها، ولا يضيع منها شيء، فالمسلمون علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يُحاسب بل يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في الحديث «سبعون ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»(***).

القسم الثاني: من يُحاسب حساباً يسيراً، وهو العرض وينقلب إلىٰ أهله مسروراً. =

(*) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(**) قطعة من الحديث السابق.

(***) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

. . . .

= والقسم الثالث من المسلمين من يُناقش الحساب، قال ﷺ: «من نُوقش الحساب عُذب»(*) يُناقشون الحساب، يذكرون بسيئاتهم وغدراتهم ويناقشون عليها واحدة واحدة.

أما الكفار فإنهم لا يُحاسبون مثل محاسبة المسلمين، وإنما يقررون بأعمالهم؛ لأنهم ليس لهم حسنات، كل أعمالهم كفر، فلا يُحاسبون مثل حساب المسلمين، وإنما يُحاسبون حساب تقرير، يوقفون علىٰ أعمالهم وكفرهم وسيئاتهم والعياذ بالله يقررون بها، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: ٢٦] إن الإنسان الذي لا ينسىٰ يوم الحساب، يُحاسب نفسه في هذه الدنيا من أجل أن يستريح في الآخرة، فيتوب من السيئات، ويكثر من الحسنات من أجل أن يسهل عليه الحساب يوم القيامة أو لا يُحاسب.

ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته: «أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر»(**) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ علىٰ الله ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٨] الإنسان يُحاسب نفسه في هذه الدنيا، فيتوب من الذنوب، ويخرج من الدنيا وقد استغفر من ذنوبه، وتخلص منها لأنه بإمكانه وهذا سهل جداً لمن يَسَّره الله عليه. يستغفر الله ويتوب إلىٰ الله توبة صادقة فيغفر الله له، أما إذا لم يستغفر ولم يتب فإنه يثقل عليه الحساب يوم القيامة، ولهذا يقول عمر في بقية خطبته: «وإنما يصعب الحساب يوم القيامة علىٰ =

(*) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(**) أورده ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٢١٣ [الحاقة: ١٨]، وعزاه لابن أبي الدنيا.

= أقوام جازفوا الأمور فوجدوا الله قد أحصىٰ عليهم مثاقيل الذر» هؤلاء هم الذين يصعب عليهم الحساب يوم القيامة، والإنسان العاقل التقي من يتذكر الحساب، ويحاسب نفسه قبل يوم الحساب.

قال: (والصحف والميزان) فبعد الحساب تتطاير الصحف، صحف الأعمال فكل يأخذ صحيفته، المسلم المؤمن يأخذ صحيفته بيمينه، والكافر يأخذ صحيفته بشماله، أو من وراء ظهره ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] يفرح ويود أن الناس يطلعون عليه ويقول للناس: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ لأنه شيء يشرف، يفتخر به ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠] ظننت يعني تيقنت؛ لأن الظن يُطلق ويُراد به أحياناً اليقين، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] يعني متيقنون.

أما الميزان فهو ميزان الأعمال، وهو ميزان حقيقي له كِفتان توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] فإذا رجحت الحسنات أفلح، وإذا رجحت السيئات خاب وخسر، ميزان لا يظلم أحداً، ميزان حقيقي، جاء القرآن والسنة بإثباته، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩] =

١١٧ـ كَذا الصِّراطُ ثُمَّ حوضُ المُصْطَفَىٰ
فَيَا هَنَا لِمَنْ نَالَ بِهِ الشِّفَا(١)

= وليس هو ميزاناً معنوياً كما تقوله المعتزلة، يقولون: الميزان عبارة عن إقامة العدل يوم القيامة، وليس هناك ميزان حقيقي؛ لأنهم يعتمدون علىٰ عقولهم وأفكارهم ويقولون علىٰ الله ما لا يعلمون، نسأل الله العافية، فيؤولون الميزان بأنه ميزان معنوي معناه إقامة العدل، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: الميزان حقيقي له كفتان كما جاء في الحديث توزن به الأعمال.

(١) ومما يكون يوم القيامة الصراط، والصراط في اللغة الطريق، والمراد به هنا الجسر الذي يكون علىٰ متن جهنم، وهذا بعد الحساب، وبعد الميزان يُنصب الجسر علىٰ متن جهنم، يمر الناس عليه علىٰ قدر أعمالهم، منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً علىٰ قدميه، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يُخطف ويُلقىٰ في جهنم، وهذا مذكور في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٢] لا ينجو إلا المتقون، وأما الظالمون فيسقطون في جهنم يتساقطون من علىٰ الصراط، لأنهم ليس لهم أعمال تنقذهم، فيسقطون.
أما أهل الأعمال الصالحة فأعمالهم تنجيهم، ﴿نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] هذا هو الصراط. =

. . . .

= قال: (ثم حوض المصطفىٰ) مما يكون في الآخرة حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يعني في ساحات القيامة حوض مسيرته شهر، يعني طوله مسيرة شهر، وفي حديث «كما بين أيلة وصنعاء»(*)، هذه مسافته، حوض يصب فيه ميزابان من الجنة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلىٰ من العسل، وكيزانه عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، هذا حوض النبي ﷺ، والماء يأتي إليه، تأتي أمته يوم القيامة ويردون عليه، ولكن منهم من يُصرف عنه، ولا يتمكن من الشرب، وهم المرتدون الذين ارتدوا عن الإسلام والمبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه فإنهم يمنعون من الشرب من الحوض يوم القيامة. أما أهل الاستقامة وأهل السنة فإنهم يردون الحوض علىٰ رسول الله ﷺ، وإنما يُمنع منه مرتد ومبتدع، فيقول الرسول: «يا رب أصحابي، أصحابي» فيقول: «إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، إنهم ما زالوا مرتدين علىٰ أدبارهم»(**) ويقول ﷺ: «سحقاً سحقاً لمن غير وبدل»(***) نسأل الله العافية.

قال: (فَيَا هَنا لمن نال به الشفا) الهنيءُ: ما أتاك بلا مشقة، وكأنه يقول: أيها الشراب السائغ الهنيء الآتي بلا مشقة أقبل، ويا هَنا لِمَن =

(*) أخرجه البخاري (٦٥٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٤٦١ الفرع الأول في صفة الحوض.

(**) أخرجه بنحوه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(***) أخرجه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١١٨ـ عَنْـهُ يُـذَادُ المُفْتَـرِي كمـا وَرَدْ

وَمَنْ نَحَا سُبلَ السَّلامَةِ لَمْ يُرَدّْ(١)

١١٩ـ فَكُـنْ مُطِيعـاً واقْـفُ أهـلَ الطّـاعَـةِ

في الحوضِ والكوثرِ والشَّفَاعَةِ(٢)

= ورده وشرب منه فإنه لا يظمأ بعد ذلك أبداً، لأن يوم القيامة فيه عطش شديد في المحشر، فأمة محمد ﷺ يردون علىٰ حوضه ويشربون، وقيل: إن كل نبي له حوض، والله أعلم.

(١) (عنه يُذاد المُفتري كما ورد) المفتري: الذي ارتد عن دين الإسلام؛ لأن كثيراً من المسلمين الآن ليس لهم من الإسلام إلا الاسم، وإسلامهم غير صحيح لأن عندهم نواقض من نواقض الإسلام، وعندهم بدع ومحدثات، فإسلامهم ليس صحيحاً وليس مستقيماً، هؤلاء يمنعون من الشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة، لا يشرب منه إلا المستقيم علىٰ طاعة الله، الملتزم بسنة رسول الله ﷺ الذي لم يبدل ولم يغير.

(ومن نحا سبل السلامة) نحا: يعني لزم وسار علىٰ سبل السلامة (لم يُرَدّ) لَمْ يُرَدَّ من الشرب يوم القيامة.

(٢) إذا كنت تريد أن تَرِد هذا الحوض فكن مطيعاً لله ولرسوله، أما مَن يدعي أنه من أمة محمد ولكنه لا يطيع ولا ينقاد ولا يسير علىٰ منهج الرسول ﷺ، فهذا لا ينفعه التسمي بالإسلام، بل يمنع من ورود الحوض، أشد ما يكون عطشاً والعياذ بالله، فالذي يريد أن يشرب من هذا الحوض يلزم السنة، ولزوم السنة ما هو بالأمر السهل، فيه ابتلاء وامتحان، هناك ناس يعيرونك ويؤذونك ويتنقصونك، ويقولون: هذا متشدد متنطع إلىٰ آخره، أو ربما أنهم لا يكتفون بالكلام، ربما أنهم يقتلونك أو يضربونك، أو =

١٢٠ـ فــإنَّهــا ثــابِتَــةٌ للمُصْطَفَــىٰ
كغيـرِهِ مِـنْ كـلِّ أَرْبَـابِ الـوَفَـا(١)

= يسجنونك، ولكن اصبر، اصبر إذا كنت تريد النجاة وأن تشرب من هذا الحوض، اصبر علىٰ التمسك بسنة رسول الله ﷺ إلىٰ أن تلقاه علىٰ الحوض.

(واقْفُ أهلَ الطاعة) كن مطيعاً لله ولرسوله، ومقتدياً بأهل الطاعة من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم حتىٰ ترد هذا الحوض.

(١) فإن هذه الأمور، الحوض والكوثر والشفاعة ثابتة لنبينا محمد ﷺ، فيجب أن نؤمن بها، وأن نتمسك بسنة نبينا محمد ﷺ حتىٰ نرد عليه الحوض يوم القيامة، ولا نبدل ولا نغير. تقدم الكلام علىٰ الكوثر والحوض، وانتهينا إلىٰ الشفاعة، ومسألة الشفاعة هذه مسألة عظيمة جاء ذكرها في القرآن، وغلط فيها طوائف كثيرة، وجاء ذكرها في القرآن وفي السنة، وفي كلام أهل السنة والجماعة.

والشفاعة في الأصل: هي الوساطة في حصول المطلوب. وبعضهم يقول: الشفاعة هي طلب الخير للغير. وذلك بأن يكون لأحد طلب عند أحد فيأتي مَن يشفع للطالب عند المطلوب، يعني يتوسط في قضاء حاجته. سُمي هذا العمل بالشفاعة من الشفع وهو ضد الوتر؛ لأن الشافع انضم إلىٰ المشفوع له بعد أن كان منفرداً فصار شفعاً.

والشفاعة علىٰ قسمين:

الشفاعة عند المخلوقين في قضاء حوائجهم عند المسؤولين، وعند الملوك، وعند ولاة الأمور، وهذه تنقسم إلىٰ قسمين: شفاعة حسنة فيها =

. . . .

= أجر، وشفاعة سيئة، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥] تكون الشفاعة حسنة إذا كانت في شيء ينفع وليس فيها اعتداء؛ لأن فيها نفعاً للناس، فإذا لم يكن فيها اعتداء علىٰ أحد وإنما هي مجرد طلب للمحتاج وقضاء حاجة المحتاج فهذه شفاعة حسنة، قال ﷺ: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما شاء»(*).

والشفاعة في الأمور النافعة عند الناس من فعل الخير، ومن التعاون علىٰ البر والتقوى، ومن بذل الجاه للمحتاجين. فأي إنسان مسلم محتاج إلىٰ شيء عند المسؤولين أو عند من يملك هذا الشيء فإذا طلبه منه تأتي أنت وتشفع له في قضائه، فيُقدرك المشفوع عنده ويقضي حاجة هذا المحتاج، هذه شفاعة حسنة. أو يكون المسؤول غاضباً علىٰ أحد ويريد الانتقام منه فتأتي وتشفع له وتطلب المسامحة له، وأن يعفو عنه، هذا شيء طيب أيضاً، وتكون في الأموال وتكون أيضاً في غير الأموال.

أما الشفاعة السيئة: فهي أن تشفع في أمر حرام إما بأن يأخذ المشفوع له حق غيره بأن تشفع عند المسؤول أو عند المدير من أجل أن يُعطىٰ هذا الشخص حق غيره، أو يُقدمه علىٰ غيره ممن هو مستحق قبله، فهذه شفاعة سيئة؛ لأنها تضر الناس. وأعظم من ذلك الشفاعة في الحدود، إذا ثبت علىٰ إنسان الحد يأتي شخص ويشفع في إسقاطه. هذه الشفاعة محادة لله عز وجل وشفاعة محرمة، وقد أراد النبي ﷺ =

(*) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، وأحمد في «المسند» ٣٢/ ٣٥٤ (١٩٥٨٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

. . . .

= قطع يد امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فجاء جماعتها وطلبوا من أسامة بن زيد بن حارثة أن يشفع عند الرسول ﷺ في ترك قطع يد هذه المرأة، فتقدم أسامة إلىٰ الرسول بذلك فغضب عليه الرسول ﷺ مع أنه يحبه حباً شديداً، غضب عليه غضباً شديداً وقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(*) فالحدود ليس فيها شفاعات. وقد جاء في الأثر: إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمُشفع(**). فلا يجوز الشفاعة في الحدود. وفي الحديث: «لعن الله من آوىٰ محدثاً»(***) والشفاعة في الحد إيواء للمحدث، فإذا تقرر الحد، حد السرقة أو حد الزنا أو حد الشرب للمسكر علىٰ أحد فلا يجوز لأحد أن يتوسط في إسقاطه عنه، بل يجب إقامة الحدود إذا تقررت وثبتت، والشفاعة فيها حرام. هذه هي الشفاعة السيئة المحرمة التي يترتب عليها إسقاط حد من حدود الله أو إضرار بالآخرين وأخذ لحقوقهم، فهذه الشفاعة محرمة، وهي شفاعة سيئة ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. هذه الشفاعة عند المخلوقين. =

(*) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(**) هو من قول الزبير بن العوام رضي الله عنه، انظر «نيل الأوطار» ٤/٦٥٨ كتاب الحدود، باب: الحث علىٰ إقامة الحد إذا ثبت، والنهي عن الشفاعة فيه.

(***) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد في «المسند» ٢/٢١٢ (٨٥٥) وهو من زيادات عبد الله بن أحمد، وهو من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

. . . .

= والشفاعة عند الله سبحانه وتعالىٰ حق، ولكن بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع كما قال تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لا بد من إذن الله ـ جل وعلا ـ وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] وليست الشفاعة عند الله مثل الشفاعة عند الملوك، الشفاعة عند الملوك تجري ولو لم يأذنوا، يشفع الشافع ولو لم يأذن الملك. وأما الشفاعة عند الله فإنها لا تحصل إلا بعد إذن الله سبحانه وتعالىٰ؛ لعظمته جل وعلا، فلا أحد يتجرأ أن يشفع عنده بدون إذنه ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل الإسلام والإيمان، لكن عنده ذنوب استحق بها دخول النار، فيأذن الله ـ جل وعلا ـ لمن يشاء من عباده أن يشفع فيه إكراماً للشافع ومنفعة للمشفوع. قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو المؤمن الذي استحق العقوبة، فيأذن الله ـ جل وعلا ـ لبعض عباده الصالحين أن يشفعوا فيه بأن يعفو الله عنه. وتنفع الشفاعة بإذن الله بهذين الشرطين.

أما الكافر فإن الله لا يقبل فيه شفاعة قال تعالىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] وقال تعالىٰ: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] إنما يقبل الله الشفاعة في أهل الإيمان فقط ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] تضمنت هذه الآية الشرطين المذكورين: (يأذن الله) هذا الشرط الأول، =

. . . .

= (ويرضىٰ) يعني عن المشفوع فيه، هذا الشرط الثاني. هذه هي الشفاعة الصحيحة، التي توفر فيها هذان الشرطان. وهي أنواع:

منها ما هو خاص بنبينا محمد ﷺ، ومنها ما هو عام له ولغيره من النبيين والمرسلين والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا صغاراً يشفعون أيضاً. هذه هي الشفاعة الصحيحة. فالخاص بالنبي ﷺ أنواع:

أولاً: الشفاعة العظمىٰ، الشفاعة في أهل الموقف في أن يفصل الله القضاء بينهم ويُريحهم من الموقف، هذه خاصة بالنبي ﷺ حين يتأخر عنها أولو العزم من الرسل ويتقدم لها ﷺ.

ثانياً: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فهو ﷺ أول من يستفتح باب الجنة.

ثالثاً: شفاعته في عمه أبي طالب، وأبو طالب كافر، مات علىٰ الكفر، ولكن لكونه حمىٰ النبي ﷺ ودافع عنه فإن الله ـ جل وعلا ـ أذن لنبيه أن يشفع فيه أن يُخفف عنه العذاب لا أن يخرج من النار. هذه خاصة بالنبي ﷺ وخاصة بأبي طالب، فلا أحد من الكفار تنفعه الشفاعة إلا هذا الشخص، أبو طالب تنفعه شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عنه. هذه الشفاعات خاصة بنبينا محمد ﷺ. وأما الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة فهي عامة، يشفع من أذن الله له من الملائكة، ومن الأنبياء والمرسلين، ومن الأولياء والصالحين، ومن الأفراط الذين يموتون صغاراً يشفعون لآبائهم يوم القيامة. هذه الشفاعة في أهل الكبائر، وهذه الشفاعة حق باتفاق أهل السنة والجماعة، وإنما أنكرها المعتزلة والخوارج؛ فهم ينفون الشفاعة في أهل الكبائر، ويقولون: من =

. . . .

= دخل النار فإنه لا يخرج منها، ولو كان من أهل التوحيد ومن أهل الإيمان. ويخالفون بذلك الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ. وهذا ضلال عظيم والعياذ بالله.

في حين أن القبوريين علىٰ العكس أثبتوا الشفاعة وطلبوها من كل أحد، طلبوها من الأموات، وطلبوها من أصحاب القبور، فهم علىٰ طرفي نقيض مع المعتزلة، المعتزلة ينفون الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين، والقبوريون يثبتونها بدون إذن الله وبدون الضوابط الشرعية. فلذلك يعكفون علىٰ القبور والأضرحة ويطلبون منها الشفاعة. وهذا مثل ما عليه المشركون الأولون الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] يعبدون الأولياء والصالحين ويذبحون لهم وينذرون لهم ويطوفون بقبورهم، وإذا قيل لهم: هذا شرك، قالوا: إنما قصدنا أن يشفعوا لنا عند الله. هذا ما عليه المشركون الأولون وهو ما عليه القبوريون اليوم.

وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون الشفاعة بشرطيها: أولاً: إذن الله للشافع، وثانياً: أن يكون المشفوع فيه ممن تجوز فيه الشفاعة وهم أهل التوحيد من عصاة المؤمنين. فأهل الضلال بين طرفي إفراط وتفريط، أما أهل السنة فهم الوسط في هذه المسألة كما هم الوسط ـ ولله الحمد ـ في كل أمور الدين وأمور العقيدة. هذا هو مُحصل الكلام في هذه المسألة. =

١٢١ـ مِـن عـالِـمٍ كـالـرُّسْـلِ والأبـرارِ[١]

سوى التي خُصَّتْ بذي الأنوارِ[٢]

= وقوله: (فإنها) أي: الشفاعة في أهل الكبائر (ثابتة للمصطفىٰ) وهو محمد ﷺ كما أنها ثابتة لغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، بعد إذن الله ـ جل وعلا ـ وبعد أن يرضىٰ الله عن المشفوع فيه، بهذين الشرطين وهذين القيدين العظيمين.

(١) من الأنبياء وغيرهم كما سبق تفصيله.

(٢) سوى الشفاعة التي خُصت بالرسول ﷺ وهي التي بيَّناها.

❊ ❊ ❊

فصل

في الكلام علىٰ الجنة والنار(١)

---

(١) الجنة في الأصل: البستان والخضرة والأنهار، مأخوذة من الاجتنان والاستتار؛ لأنها تستر مَن فيها بين أشجارها، والنار ـ والعياذ بالله ـ هي دار العذاب. فهما داران مخلوقتان خلقهما الله سبحانه وتعالىٰ، خلق الجنة وجعلها دار المتقين، وخلق النار وجعلها دار الكافرين.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥] الجنة أُعدت للمتقين، والنار أُعدت للكافرين، فيجب علىٰ المؤمن أن يُصدق بهاتين الدارين، ويصدق بأنهما موجودتان الآن، وأنهما تبقيان ولا تفنيان؛ لأن الله قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ومعنىٰ أُعدت: هذا فعل ماض يدل علىٰ أنها موجودة.

والميت إذا وضع في قبره إن كان من أهل السعادة فُتح له باب إلىٰ الجنة، وجاءه من روحها وطيبها، وإن كان شقياً فُتح له باب إلىٰ النار، وجاءه من حرها وسمومها. هذا دليل علىٰ وجود الجنة والنار. وكان النبي ﷺ جالساً في أصحابه فسمعوا وجبة، يعني سمعوا شيئاً ثقيلاً سقط، فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رُمي به من شفير جهنم منذ سبعين عاماً فالآن وصل إلىٰ =

١٢٢ـ وَكُــلُّ إنســانٍ وَكُــلُّ جِنَّــةْ
فــي دارِ نَــارٍ أو نَعِيــمِ جَنَّــةْ(١)

= قعرها»(*) هذا دليل علىٰ أنها موجودة. وأخبر ﷺ أن شدة الحر من فيح جهنم(**)، وشدة البرد أيضاً من فيح جهنم؛ لأن الله جعل لها نفسين: نفساً في الشتاء وذلك أشد ما يجد الناس من البرد، ونفساً في الصيف وذلك أشد ما يجد الناس من الحر(***). دل علىٰ أنها مخلوقة وموجودة.

وأيضاً الجنة والنار لا تفنيان خلافاً لأهل الضلال، فمنهم من قال: إنهما غير موجودتين الآن، وإنما توجدان فيما بعد. ومنهم من قال: إنهما تفنيان ولا يبقىٰ لهما أثر. ومنهم من قال: الجنة تبقىٰ والنار تفنىٰ. إلىٰ آخر هذه الأقوال الخاطئة. والصواب أنهما موجودتان باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان أبد الأبد، خلقهما الله للبقاء.

(١) (كل إنسان) يعني من بني آدم، الإنسان: هو الإنسي، (وكل جِنَّة) وهم الجن، والجن: خلق من عالم الغيب نؤمن بوجودهم؛ لأن الله أخبرنا عنهم لكننا لا نراهم ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] ولذلك سموا بالجن من الاجتنان وهو الاستتار، وإلا فهم موجودون ويعيشون معنا، وقد يراهم بعض الناس أحياناً لكن هم من عالم الغيب، ونحن نؤمن بوجودهم. =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٤٣٣ (٨٨٣٩)، ومسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**) انظر البخاري (٥٣٣، ٥٣٤)، ومسلم (٦١٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(***) انظر البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٦١٧) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٢٣ـ هُمَا مَصِيرُ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ الوَرَىٰ
فَـالنَّـارُ دارُ مَـنْ تَعَـدَّىٰ وافْتَـرَىٰ[(١)]

= وهم مكلفون مثلنا بالأوامر والنواهي والحلال والحرام ومتعبدون، فهم مثلنا، والنبي ﷺ أُرسل إلىٰ الإنس وإلىٰ الجن، استمع إليه نفر من الجن كما في القرآن في آخر سورة الأحقاف وفي سورة الجن، أنهم استمعوا للرسول ﷺ وآمنوا به، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم البر ومنهم الفاجر فهم مثل بني آدم تماماً في التكليف والعمل والجزاء، وهم يعيشون ويموتون ويبعثون، الكافر منهم يدخل النار والمؤمن منهم يدخل الجنة، علىٰ خلاف في ذلك هل الجن المؤمنون يدخلون الجنة أو لا يدخلون؟ والصحيح أنهم يدخلون الجنة بإيمانهم مثل الإنس.

فالإيمان بوجود الجن أمر واجب وهو من الإيمان بالغيب بناءً علىٰ الخبر الصادق، ومن أنكر وجودهم فهو كافر؛ لأنه مُكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، وليس عنده حجة إلا أنه لا يراهم. وهل كل شيء لا بد أن تراه؟ هناك أشياء لا تراها، هل أنت ترىٰ روحك التي تمشي بها وتأكل وتشرب وتقوم وتقعد، هل تراها؟ هناك مخلوقات لا تراها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ. هل الإنسان يرىٰ عقله؟ هل يوجد فرق بين جسم العاقل وجسم غير العاقل؟ لا فرق في الأجسام، وإنما الفرق في وجود العقل وعدمه، هل الناس يرون العقل؟ لا يرونه وهو خلق من خلق الله سبحانه وتعالىٰ. فهناك أشياء مخلوقة لا يعلمها إلا الله، منها الجن، ومنها الملائكة، ومنها عذاب القبر ونعيمه، هذه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

(١) (هما) أي: الجنة والنار مصير الخلق (من كل الورىٰ) أي: الخلق، فالمؤمنون في الجنة والكفار في النار من الجن والإنس ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ=

١٢٤ـ وَمَـنْ عَصَـىٰ بِـذَنْبِـهِ لَـم يَخلـدِ
وإنْ دَخَلَهـا يـا بَـوَارَ المُعْتَـدِي[١]

١٢٥ـ وَجَنَّـةُ النَّعيـمِ لـلأبـرارِ
مَصُـونَـةٌ عـن سـائـرِ الكُفّـارِ[٢]

= وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] قالوا: بلىٰ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فالنار (دار من تعدىٰ) حدود الله ـ جل وعلا ـ (وافترىٰ) أي: كذب علىٰ الله عز وجل.

(١) هذه مسألة أصحاب الكبائر، عند أهل السنة والجماعة أن عصاة الموحدين وإن دخلوا النار فإنهم لا يُخلدون فيها بل يُخرجون منها، إما برحمة الله ـ جل وعلا ـ وإما بشفاعة الشافعين، ولا يخلد فيها إلا الكافر والمشرك، أما عصاة أهل الإيمان وأصحاب الكبائر فقد يدخلون النار إذا أراد الله ـ جل وعلا ـ ولكنهم لا يُخلدون فيها، وإن طال مكثهم فيها فإنهم لا يُخلدون فيها إنما الخلود في النار يكون بسبب الكفر والشرك بالله عز وجل.

خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن أصحاب الكبائر مُخلدون في النار[*].

(٢) (جنة النعيم) هذا من أسماء الجنة، الجنة لها أسماء: جنة النعيم، وجنة الخلد، وجنات عدن، لها أسماء كثيرة، وهي دار المتقين خاصة ولا يدخلها كافر أو مشرك.

(*) وقد سبق الكلام في هذه المسألة في حكم مرتكب الكبيرة من حيث الكفر وعدمه وهذه المسألة فرع علىٰ تلك.

١٢٦ـ واجْـزِمْ بـأَنَّ النَّـارَ كـالجَنَّـةِ فـي
وجـودِهـا وأنَّهـا لَـمْ تَتْلَـفِ(١)

١٢٧ـ فنســـألُ اللهَ النَّعيـــمَ والنَّظَـــرْ
لِـرَبِّنـا مِـن غيـرِ مـا شَيْـنٍ غَبَـرْ(٢)

---

(١) واجزم بأن النار مثل الجنة بأنها موجودة وأن وجودها مستمر وأنها لا تفنىٰ، وفي هذا ردّ علىٰ الذين يقولون: إن النار تفنىٰ.

(٢) ومما يكون لأهل الجنة يوم القيامة النظر إلىٰ وجه الله الكريم، لما آمنوا به في هذه الدنيا ولم يروه ولكن استدلوا عليه بآياته القرآنية وآياته الكونية، لما آمنوا به من غير أن يروه أباح الله لهم النظر إليه يوم القيامة لتقر بذلك أعينهم، ويجدون من اللذة في النظر إلىٰ وجه الله أعظم مما يجدون في الجنات.

وأما الكفار لما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] لا يرون الله سبحانه وتعالىٰ عقوبة لهم، لما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل. ورؤية المؤمنين لربهم ثابتة متواترة في القرآن وفي السنة، في القرآن في آيات منها قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] الحسنىٰ: يعني الجنة، وزيادة: وهي النظر إلىٰ وجه الله الكريم، كما فسرها بذلك رسول الله ﷺ في «صحيح مسلم» أن الزيادة هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم(*)، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥] =

(*) انظر مسلم (١٨١) حديث صهيب رضي الله عنه.

. . . .

= والمزيد هو النظر إلىٰ وجه الله(*)، يراه أهل الجنة كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، كلٌّ يراه من غير زحام ومن غير مشقة، قال ﷺ: «لا تُضَامُون» وفي رواية: «لا تُضَامُّون في رؤيته» العادة أن الشيء الواحد إذا أراد الناس رؤيته وهم كثيرون يتزاحمون عليه، أما الرب ـ جل وعلا ـ فإنهم يرونه من غير زحام.

وهذا موجود في الخلق، فالقمر يراه الناس كلهم، ولا يتزاحمون كذلك الشمس لا يتزاحم الناس في رؤيتها، إذا كان هذا في المخلوق، فالخالق ـ جل وعلا ـ من باب أولى. ولهذا مثَّل النبي ﷺ لرؤية الله برؤية الشمس ورؤية القمر(**)؛ لأنهما يحصلان من غير مشقة ومن غير زحام، ولا يحصل ارتياب فيه أو شك، تواترت بذلك الأحاديث.

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ناضرة: الأولىٰ بالضاد، من النضرة وهي الحسن والبهاء أما ناظرة: الثانية فهي بالظاء من النظر، والنظر إذا عُدي بنفسه فمعناه المكث والانتظار، كما في قوله تعالىٰ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] أي: انتظرونا، يقول المنافقون للمؤمنين يوم القيامة إذا كان مع المؤمنين نور، والمنافقون يطفأ نورهم ويتعثرون، يقولون للمؤمنين: (انظرونا) يعني انتظروا لا تذهبوا بعيداً عنا، فإذا عُدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار. وإذا عُدي بـ«في» فمعناه التفكر والاعتبار قال تعالىٰ: =

(*) انظر «تفسير ابن كثير» ٧/ ٤٠٧ [قٓ: ٣٥].

(**) انظر حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢)، وأبي داود (٤٧٣٠)، والترمذي (٢٥٥٤).

. . . .

= ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] فإذا عُدي بـ«في» فمعناه التفكر والاعتبار. أما إذا عُدي بـ«إلىٰ» فمعناه المعاينة بالأبصار كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] فمعناه أن الأبصار تراه يوم القيامة، وأما قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فليس فيها نفي الرؤية، إنما فيها نفي الإدراك، بمعنىٰ أن الأبصار وإن رأته فإنها لا تُدركه بمعنىٰ أنها لا تُحيط به جل وعلا وإن رأته، ففيها إثبات الرؤية ونفي الإدراك. هذا رد علىٰ الذين نفوا الرؤية واستدلوا بهذه الآية، يقولون: الله لا يُرىٰ يوم القيامة لأنه يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ نقول: هذا غلط في الاستدلال، الآية لم تنف الرؤية، ما قالت: لا تراه الأبصار، وإنما قالت: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يعني لا تُحيط به. فأنت مثلاً ـ ولله المثل الأعلىٰ ـ إذا نظرت إلىٰ الشمس هل أنت تحيط بها؟ لا يمكن أن تحيط بجرم الشمس وإنما تراها مجرد رؤية، فما كل ما يُرىٰ يُدرك جميعه ويُحاط به كله، فمعنىٰ قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: لا تُحيط به سبحانه وتعالىٰ، كما قال ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] هذا من القرآن. وأما الأدلة علىٰ إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من السنة النبوية فالأحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»(*).

(*) أخرجه بنحوه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١٢٨ـ فــإنَّــهُ يُنْظَــرُ بــالأبصــارِ
كمـا أتـىٰ فـي النَّـصِّ والأخبـارِ[١]

١٢٩ـ لأنَّــه سبحــانَــهُ لــم يُحجَــبِ
إلا عــن الكــافـرِ والمُكَــذِّبِ[٢]

---

(١) كما أتي ثبوت النظر إليه سبحانه في النص من القرآن ومن الأخبار المتواترة عن الرسول ﷺ. ويرونه في الجنة، ويرونه سبحانه في عرصات القيامة.

(٢) من أدلة إثبات الرؤية للمؤمنين قوله تعالىٰ في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإذا حجب الكفار عن رؤيته دل هذا علىٰ أن المؤمنين لا يُحجبون من رؤيته. وبهذا استدل الإمام الشافعي رحمه الله علىٰ إثبات الرؤية بهذه الآية بأنه إذا حجب منها الكفار عن رؤيته فيدل هذا علىٰ أن المؤمنين لا يُحجبون من رؤيته سبحانه وتعالىٰ.

❊ ❊ ❊

الباب الخامس

في ذكر النبوة[(١)]

(١) قال الناظم رحمه الله: (الباب الخامس) يعني من أبواب العقيدة (ذكر النبوة) النبوة والرسالة بمعنىٰ واحد إلا أن الرسالة أعمّ من النبوة، فكل رسول نبيّ وليس كل نبي رسولاً؛ لأن الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه. ومعنىٰ التبليغ: إلزام الناس به وقتالهم عليه. أما أن النبي يدعو إلىٰ الله ويحكم بين الناس ويبين الحق من الباطل فهذه وظيفة الأنبياء والرسل والمؤمنين جميعاً لكن التبليغ معناه الإلزام وقتال الناس علىٰ ما جاء به.

والنبي يوحىٰ إليه كما يوحىٰ إلىٰ الرسول، ولكن النبي يوحىٰ إليه ببعض المسائل ولا يوحىٰ إليه بشريعة كاملة، وإنما هذا للرسول. فالرسول هو الذي يوحىٰ إليه بشرع كامل، وأما النبي فيوحىٰ إليه في بعض الأمور، وأما بقية الأمور فهو يتبع مَن كان قبله من الرسل ويحكم بشريعة من قبله. مثل أنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ ولم يؤت أحدٌ منهم كتاباً إلا داود عليه السلام أُوتي الزبور، والزبور ليس كتاب تشريع وإنما هو كتاب أذكار وابتهالات وعبادة، وأما الشريعة فهي شريعة موسىٰ عليه السلام، بخلاف عيسىٰ عليه السلام فإن الله أنزل عليه الإنجيل وهو كتاب مستقل من الكتب السماوية، وهو مصدق ومُكمل للتوراة، وينسخ بعض الأحكام التي فيها. فالحاصل أن النبي والرسول كل منهما يوحىٰ إليه، ولكن النبي لا ينزل عليه كتاب مستقل، إنما هذا للرسول، هو الذي ينزل عليه كتاب مستقل. والرسول=

. . . .

= لا يتبع من قبله في التشريع والأحكام ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وإنما يُبعث بشريعة مستقلة في الأحكام. وأما العقائد فعقيدة الأنبياء كلهم واحدة، عقيدة التوحيد كل الأنبياء عليها، أما التشريعات والأحكام العملية فإنها تختلف من نبي إلىٰ نبي ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فالشرائع تختلف وتُنسخ وتنتهي في وقتها وتخلفها شريعة ثانية، إلىٰ أن خُتمت الشرائع بشريعة محمد ﷺ التي لا تُنسخ إلىٰ أن تقوم الساعة.

والنبي: قيل مأخوذ من النبأ وهو الإخبار؛ لأن النبي يُخبر عن الله فيكون نبيء بالهمز، ويُقرأ بهذا في بعض القراءات ﴿يـٰأَيُّها النَّبِيُّء﴾(*) [الأنفال: ٦٤] وقيل: النبي مأخوذ من النبوة وهي الارتفاع؛ لأن النبي له مكانة مرتفعة علىٰ غيره، وعلىٰ هذا ليس فيه همز.

وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام رحمة من الله لعباده ومِنَّة منه سبحانه وتعالىٰ عليهم، وحاجتهم إلىٰ بعثة الرسل أشد من حاجتهم إلىٰ المطر وإلىٰ الهواء وأشد من حاجتهم إلىٰ الروح التي تحيا بها أبدانهم، فالناس بدون نبوة يهلكون، وأيضاً الناس في ظلام حتىٰ تأتي النبوة بالنور والوحي والبرهان ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] فحاجة الناس إلىٰ الرسل أشد من حاجتهم إلىٰ الماء وإلىٰ الهواء وإلىٰ حياة الأبدان، ولهذا من رحمة الله ـ جل وعلا ـ وفضله ومنته وإحسانه إلىٰ خلقه أنه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين، =

(*) وهي قراءة نافع، انظر «الميسر في القراءات الأربعة عشرة»، ص١٨٥.

١٣٠ـ ومِـــنْ عَظِيـــمِ مِنَّـــةِ السَّـــلامِ ولُطْفِـــهِ بســـائـــرِ الأنـــامِ(١)

= فيبعثهم لحكمة عظيمة وهي أنهم يُرشدون إلىٰ الحق، ويدلون عليه، وينهون عن الباطل والهلاك، ويُحذرون منه.

وأيضاً يبعثهم ليقيم الحجة علىٰ الخلق لئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولهذا يقول ملائكة النار لأهل النار إذا سيقوا إليها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١] يعترفون يوم القيامة، أما في الدنيا فيعاندون، لكن في يوم القيامة يعترفون أن الرسل جاءتهم، وأنها بيَّنت لهم، وأنذرتهم وحذرتهم، فإرسال الرسل فيها مِنَّة من الله ـ جل وعلا ـ علىٰ عباده؛ لأن العقول لا تُدرك المنافع والمضار استقلالاً وإن كانت تُدركها إجمالاً، لكن لا تُدركها تفصيلاً، وهذا يحتاج إلىٰ الرسل ليبينوا ويفصلوا للناس المنافع والمضار العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة وفيها إقامة حجة علىٰ الخلق.

(١) المِنَّة هي العطاء بدون مقابل، يُقال: مَنَّ عليه بكذا، أي: أعطاه بدون مقابل، ومن أسماء الله المنان الذي يُعطي تفضلاً وإحساناً بدون مقابل من المُعطَىٰ. أما المنان مِن الخلق فهو مذموم، لأن المنان من الخلق هو الذي يُعجب بعطيته ويؤذي مَن أعطاه بذكر عطيته. وهذا من الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، كما في الحديث «ثلاثة لا ينظر الله إليهم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالأيمان الكاذبة»(*). فالمنان هو الذي يتمنن بعطائه =

(*) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

١٣١ـ أَنْ أَرْشَدَ الخَلْقَ إلىٰ الوصُولِ مُبيِّناً للحَقِّ بالرسولِ[1]

= ويؤذي الناس الذين أعطاهم قال تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] فالمنان من الخلق مذموم، وأما المنان من أسماء الله ـ جل وعلا ـ فهو محمود، فالله ـ جل وعلا ـ بفضله وكرمه مَنَّ بإرسال الرسل، لا أن ذلك واجب عليه سبحانه وتعالىٰ بل تفضل منه علىٰ خلقه.

والسلام: من أسماء الله ـ جل وعلا ـ ومعناه: السالم من النقائص والعيوب والمُسَلِّم لغيره من الآفات والأمراض، فالسلام معناه السالم ومعناه المُسَلِّم.

واللطف: هو الرفق.

(١) (أن أرشد الخلق) مِنْ مِنَّته سبحانه أن أرشد الخلق، أي: دلَّ الخلق إلىٰ الوصول إليه سبحانه وتعالىٰ، وإلىٰ جنته وكرامته في بعثة الرسول، أي: الرسل، اسم جنس. فبعثة الرسول مِنَّة من الله عز وجل، ولطف من الله عز وجل، وإحسان من الله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

الله ـ جل وعلا ـ من لطفه ورحمته بعباده أنه يرشدهم ولا يتركهم لأنفسهم وعقولهم، ولا يتركهم لشياطين الإنس والجن، بل إنه يرسل الرسل مبشرين ومنذرين وداعين الناس لسلامتهم وحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة.

١٣٢ـ وشَـــرْطُ مَـــنْ أُكْـــرِمَ بـــالنُّبُـــوَّةِ
حُـــرِّيَّـــةٌ ذُكُـــورَةٌ كَقُـــوَّةِ(١)

---

(١) لما ذكر أن بعثة الرسل ضرورة، وأنها فضل من الله سبحانه وتعالىٰ ذكر ما يُشترط في النبي من صفات:

أولها: الحرية: بأن يكون حراً غير مملوك؛ لأن المملوك فيه نقص لا يليق بالنبي، ولأن المملوك نفعه مملوك لسيده فلا يتمكن من القيام بمهام الرسالة وبيان الرسالة؛ لأنه محجوز بالرق.

الصفة الثانية: الذكورة: فلا يكون الرسول إلا من الذكور ولا يكون من الإناث، فليس في النساء نبي، بل النبوة والرسالة كلها في الرجال؛ لأن الرجل أقدر علىٰ تبليغ الرسالة، وأصبر علىٰ أذىٰ الناس، وأقدر علىٰ الجهاد في سبيل الله من المرأة ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] فمواهب الرجل أكثر من مواهب الأنثىٰ، والمرأة لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة فلذلك لم يُرسل الله رسولاً من النساء، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩] يعني من أهل المدن، فالنبي لا يُبعث من البادية وإنما يُبعث من الحاضرة، ومن أمهات القرىٰ لأن الناس يرجعون إليها ويرتادونها.

وقوله: (وشرط من أُكرم بالنبوة) لأن النبوة إكرام من الله ـ جل وعلا ـ واختيار من الله، كما يأتي أنها ليست تُكتسب وإنما هي اختيار واصطفاء من الله ـ جل وعلا ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج: ٧٥] فالرسالة مِنَّة من الله ولا تُكتسب أو تحصل بالكسب وإنما تحصل بالاختيار من الله؛ لأن الله أعلم بمن يصلح لها، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. =

١٣٣ـ ولا تُنَالُ رُتْبَةُ النُّبُوَّةِ
بالكَسْبِ والتَّهْذِيبِ والفُتُوَّةِ[1]

= الصفة الثالثة من صفات النبي: القوة: أن يكون قوياً في عزيمته وإرادته وبدنه حتىٰ يتمكن من القيام بأعباء الرسالة، أما الضعيف فلا يصلح لتحمل الرسالة ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] فالرسالة تحتاج إلىٰ قوة عزيمة وإرادة حتىٰ يقوىٰ علىٰ تحملها وأدائها ومواجهة الاعتراضات والمشاق من الخلق والشدائد، فالذي ليس عنده قوة لا يستطيع أن يُقابل الشدائد ويقابل الصعوبات، لا يقابلها إلا من أعطاه الله القوة علىٰ تحمل الرسالة وتحمل الأذىٰ، فهذا من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن الله أعطاهم القوة لتحمل هذه الرسالة.

(١) كما يقوله بعض الفلاسفة، يقولون: إن الإنسان يمكن أن يصير نبياً بصفاته إذا هَذَّب نفسَه وروَّضها علىٰ العبادة، وتغذىٰ بالحلال، فإنها تُشرق نفسُه، وحينئذٍ يتصور الأشياء علىٰ ما هي عليه لشفافية نفسه وصلاحيتها. هذا كلام الملاحدة وهو كلام باطل، بل النبوة ـ كما سبق ـ اختيار من الله واصطفاء من الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكذلك لا تنال النبوة (بالفتوة) وهي منزلة عند الصوفية إذا بلغها فإنه يكون حاد الذهن، زكي النفس، مهيئاً لاستقبال الخواطر الطيبة، ويمكن أن يرىٰ الملائكة ينزلون عليه لصفاء نفسه. وهذا هذيان وكلام باطل. مهما بلغ الإنسان من الصلاح ومن الاستقامة ومن العبادة فإنه لا يكون بمجرد ذلك يستحق النبوة، إنما النبوة اختيار من الله ـ جل وعلا ـ وهو أعلم بمن يصلح لها.

١٣٤ـ لَكِنَّها فضلٌ مِن المولَىٰ الأجَلّْ
لِمَنْ يشا مِنْ خَلْقِهِ إلىٰ الأَجَلْ(١)
١٣٥ـ وَلَمْ تَزَلْ فيما مَضَىٰ الأَنْبَاءُ
مِن فَضْلِهِ تَأْتِي لِمَنْ يَشَاءُ(٢)

---

(١) لكن النبوة فضل من الله هو الذي يختار لها ويتفضل بها علىٰ مَن يَمُنّ بها عليه من عباده المصطفين (إلىٰ الأجل) يعني مِن خَلْقِ آدمَ عليه السلام إلىٰ خَتم النبوة بمحمد ﷺ، فالنبوة ماضية منذ خلق الله آدم، فآدم أول نبي فهو نبي مُكلَّم، ومن جاء بعده من الأنبياء إلىٰ أن خُتموا بنبينا محمد ﷺ هذا هو أجل النبوة، وأجل الرسالة انتهىٰ ببعثة الرسول ﷺ.

(٢) الأنباءُ جمع مفرده نبي، وما زالت النبوات تتعاقب من عهد آدم عليه السلام إلىٰ بعثة محمد ﷺ كما قال ـ جل وعلا ـ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤] يعني متتابعين، كلما مات نبي خلفه نبي إلىٰ أن خُتموا بمحمد ﷺ، فلما خُتموا بمحمد ﷺ صارت شريعته كافية للناس إلىٰ أن تقوم الساعة لا تحتاج إلىٰ شريعة ثانية، لأنها كافية، فلا حاجة إلىٰ بعثة نبي. وإنما العلماء من أتباع محمد ﷺ، يخلفون النبي ﷺ في تبليغ هذه الرسالة ونشرها في الناس. كما قال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»(*).

والرسل لا يعلم عددهم إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] فلا يعلم عددهم إلا الله ـ جل وعلا ـ لكن منهم من ذكره الله في القرآن فنؤمن به باسمه بعينه، ومنهم من لم يذكره الله فنؤمن بهم جملة،=

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٤٥-٤٦ (٢١٧١٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

١٣٦ـ حَتَّىٰ أتىٰ بالخَاتِمِ الذي خَتَمْ
بـه وإعـلانـاً علىٰ كُلِّ الأُمَـمْ(١)

= نؤمن بالرسل جميعاً جملة فيمن لم يسمهم الله ـ جل وعلا ـ منهم وتفصيلاً فيمن ذكرهم الله ـ جل وعلا ـ نؤمن بجميع الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم ولا حصر لعددهم ولا يعلمه إلا الله. وأما الحديث الذي ورد في أن عددهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رسولاً(*). هذا حديث ضعيف لا تقوم به حجة.

(١) حتىٰ جاء الرسول ﷺ الخاتم، وهو محمد عليه الصلاة والسلام خُتمت به الرسالات وخُتمت به النبوة، فهو خاتم النبيين، كما قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال عليه الصلاة والسلام: «إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»(**) فخُتمت الرسالة بمحمد ﷺ. فالذي يدعي النبوة بعد الرسول كافر مرتد عن دين الإسلام؛ لأنه مُنكر لما عُلم من الدين بالضرورة، مُكذب لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ومن جاء بعدهم من الكذابين، والذين فضحهم الله سبحانه وتعالىٰ وأكذبهم وأهلكهم فلم يبق لهم أثر؛ لأنهم كذبة. فكل من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ أو يُصدّق =

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/٦٥٢ (٤١٦٦)، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» ١/٢٧٨ (١٣١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٧٨-٧٩ (٢٢٣٩٥)، والترمذي (٢٢١٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

. . . .

= مَن يدعيها أو يقول: إنه يمكن أن يُبعث نبي، هذا كافر مرتد عن دين الإسلام. ولهذا حكم المسلمون بكفر القاديانية الذين صدقوا الكذاب غلام القادياني الذي ادعىٰ النبوة في الباكستان، ففرقة القاديانية كافرة خارجة عن الإسلام، حكم العلماء بكفرها وردتها، وعزلوها عن المسلمين، واعتبروها فرقة كافرة مرتدة عن دين الإسلام.

لأن الله (ختم بمحمد) الرسالات، وجعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ علامة علىٰ أنه خاتم النبيين ﷺ اطلع عليها من أراد الاطلاع وهو حي. وفي القرآن ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي السنة: «أنا خاتم النبيين»(*) حتىٰ ولو لم ير الإنسان هذا الخاتم الذي بين كتفيه ﷺ فإنه يعتقد ويؤمن بأنه خاتم النبيين، كما جاء في القرآن، وكما جاء في السنة، وكما أجمع عليه المسلمون قديماً وحديثاً، فلا مجال لادعاء النبوة بعد بعثته ﷺ.

❊ ❊ ❊

(*) قطعة من حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ السابق.

فصل

في خصائص الرسول ﷺ(١)

(١) نبينا ﷺ له خصائص تميز بها على سائر الأنبياء والمرسلين:

أولها: أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، أما مَنْ قبلَه فإن الأنبياء يتعاقبون فيهم هذا بعد هذا.

الثانية: أنه عليه الصلاة والسلام بُعث إلىٰ الناس كافة، إلىٰ الجن والإنس ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فالذي يقول: محمد نبي ولكنه نبي إلىٰ العرب خاصة. كما تقول فرقة من النصارىٰ، هذا كافر. لأنه لا يؤمن بعموم رسالته ﷺ ولو قال: إنه نبي فهو كافر؛ لأنه مُكَذِّب لله ومُكذب لرسوله ﷺ ومُكذب لإجماع المسلمين. لكونه ﷺ أُرسل إلىٰ الناس كافة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] كاتَبَ ملوك الأرض، وكاتب الأمراء والأقيال، كاتبهم يدعوهم إلىٰ الإسلام. كاتب ملوك النصارىٰ، وكاتب ملوك المجوس، والفرس، وكاتب أهل الأرض. كتب إلىٰ كسرىٰ، وكتب إلىٰ قيصر، وكتب إلىٰ ملوك الأرض والأمراء وجميع القادة يدعوهم إلىٰ اتباعه ﷺ، ويبلغهم رسالة ربه عز وجل. ثم أُمر بجهاد مَنْ عاند وكفر، هذا دليل علىٰ عموم رسالته عليه الصلاة والسلام.

الثالثة من خواصه ﷺ: المقام المحمود، وهو الشفاعة العظمىٰ يوم القيامة، فلا يقوم بهذه الشفاعة إلا هو ﷺ. حين يتأخر عنها أولو العزم، =

١٣٧ـ وَخَصَّـــهُ بـــذِاكَ كـــالمَقَـــامِ(١)
وَبَعْثِـــهِ لِسَـــائِـــرِ الأَنَـــامِ(٢)

١٣٨ـ ومُعْجِـزِ القـرآنِ(٣) كـــالمعـــراجِ
حَقّـاً بِـلا مَيْـنٍ وَلا اعْـوِجَـاجِ(٤)

= ويتقدم لها ﷺ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(١) هذا معنىٰ قوله: (وخصه بذلك) يعني بختم النبوة، (كالمَقام) يعني كما خصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمىٰ.

(٢) وخصه ببعثته إلىٰ سائر الناس بشيراً ونذيراً، فمن لم يؤمن بهذا الرسول وخصائصه فهو كافر، ولو كان يدعي أنه علىٰ شريعة نبي سابق كاليهود والنصارىٰ، فإن الشرائع السابقة نُسخت بشريعة محمد ﷺ، وأُمر جميع الناس باتباعه، اليهود والنصارىٰ وغيرهم، فمن لم يؤمن به فهو كافر خالد مُخلد في النار. وبهذا يبطل قول المروجين الآن والكذبة والجهال الذين يقولون: إن اليهود والنصارىٰ مؤمنون. وهؤلاء إن كانوا علىٰ علم بما يقولون فهم كفار، أما إن كانوا جهالاً ولا يدرون أو يقلدون غيرهم ممن قال ذلك فهم ضلال.

(٣) الرابعة من خصائصه ﷺ أن الله أعطاه القرآن الذي لم ينزل كتاب يماثله، فهو الكتاب المهيمن العظيم الكافي الشافي للناس إلىٰ أن تقوم الساعة، لا يعدله كتاب.

(٤) الخامسة أن الله خصه بالمعراج، وهو الصعود إلىٰ السماء بواسطة المعراج، والمعراج: هو آلة العروج يعني الصعود، فالنبي ﷺ أُسري به من مكة إلىٰ بيت المقدس في فلسطين، ثم عُرج به من هناك إلىٰ السماء =

. . . .

= في ليلة واحدة، وجاوز السبع الطباق، وبلغ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وسمع كلام الرب سبحانه وتعالىٰ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، وعاد إلىٰ مكة في ليلة واحدة. ولم يُعرج بنبي غيره.

القرآن هو المعجز حقاً، معجز من جميع الوجوه لا يقدر أحد أن يحاكيه أو يأتي بمثله، والله تحدىٰ الجن والإنس علىٰ أن يأتوا بمثله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ إلىٰ يوم القيامة هذا خبر عن المستقبل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] مع عداوتهم للرسول وبغضهم للرسول وتكذيبهم بالقرآن ومع هذا ما استطاعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، لم يأتوا بمثل سورة العصر أو الكوثر أو سورة الإخلاص، عجزوا عن ذلك. والتحدي مفتوح إلىٰ أن تقوم الساعة، ولا أحد أتىٰ بسورة، فدل علىٰ أن القرآن من عند الله سبحانه؛ لأن الله قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أن تأتوا بسورة من مثله ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ هذا للمستقبل.

فهذا دليل علىٰ أن القرآن من عند الله، وهو كرامة لهذا الرسول ومعجزة له عليه الصلاة والسلام. معجز في ألفاظه، معجز في معانيه، معجز في سياقه وأسلوبه، معجز في لذته وطراوته وحلاوته، معجز في=

١٣٩ـ فَكَـــمْ حَبَــاهُ رَبُّــهُ وَفَضَّلَــهْ
وَخَصَّــهُ سُبحــانَــهُ وَخَــوَّلَــهْ[1]

= أخباره الماضية والمستقبلة، معجز في أحكامه وتشريعاته النافعة العادلة، فهو معجز من جميع الوجوه، وهو المعجزة الكبرىٰ لنبينا محمد ﷺ، والمعجزة الباقية إلىٰ أن تقوم الساعة الدالة علىٰ رسالته ﷺ وصدقه عليه الصلاة والسلام.

(١) خصائص الرسول ﷺ كثيرة ليست مقصورة علىٰ هذه المذكورات في القرآن والسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي قبلي. . .» ثم بينها بقوله:

الأولىٰ: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر».

الثانية: «وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» فمن أدركته الصلاة في أي مكان فليصل، إن كان عنده ماء يتوضأ، وإذا لم يكن عنده ماء يتيمم بالتراب بينما الأمم السابقة لا تصح عبادتهم إلا في كنائسهم، أما المسلمون فإن الله جعل لهم الأرض كلها مسجداً يعني صالحة للصلاة فيها، وجعل أجزاءها كلها طهوراً يرتفع بها الحدث، فيتوضأ بالماء إن وجده وقدر علىٰ استعماله أو يتيمم بالتراب إن لم يجد ماءً أو وجده ولكن يعجز عن استعماله.

الثالثة: «وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» كانت الغنائم محرمة علىٰ الأمم السابقة، إذا حصلوا عليها بالجهاد جمعوها فتنزل نار من السماء وتحرقها. أما هذا الرسول ﷺ فأُحلت له الغنائم، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

=

. . . .

= الرابعة: «وأُعطيت الشفاعة» وقد تكلمنا عن الشفاعة عند قوله:

١٢٠ـ فـإنهـا ثـابتـة للمصطفـىٰ　　كغيره من كل أرباب الوفا

الخامسة: «وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس عامة»(*) كان النبي من الأنبياء السابقين يُبعث إلىٰ قومه خاصة، أما نبينا ﷺ فقد بُعث إلىٰ الناس كافة، ولا تُنسخ شريعته ولا رسالته إلىٰ أن تقوم الساعة.

والخصائص كثيرة، من العلماء من عَدَّ منها ما يستطيع عده مثل الإمام السيوطي والقاضي عياض في «الشفا»، وبعضهم أوصلها إلىٰ مئتين.

❊　❊　❊

(*) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

فصل
في معجزاته[1]

---

(١) المعجزات: جمع معجزة، والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة يُجريه الله عز وجل علىٰ يد نبي من أنبيائه، والخارق للعادة من حيث العموم يُجريه الله علىٰ يد النبي معجزة له، ويُجريه الله علىٰ يد الولي من أوليائه كرامة له. فالخارق للعادة إن كان معه ادعاء للنبوة فإنه معجزة، وإن كان ليس معه ادعاء للنبوة فإنه يقال له: كرامة من كرامات الأولياء. وفي نفس الوقت هو معجزة للنبي؛ لأن هذا الولي ما حصل عليه إلا باتباعه للرسول ﷺ، فهو كرامة للولي ومعجزة للنبي.

فالمعجزات هي خوارق العادات، وأعظمها القرآن الكريم، وانشقاق القمر فلقتين قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام القليل والماء القليل حتىٰ يصدر الجماعات من الناس عنه.

ومعجزات الأنبياء هي ما يقيمه الله علىٰ أيديهم من خوارق العادات دالاً علىٰ صدقهم، مثل العصا والحية لموسىٰ عليه الصلاة والسلام، ومثل إحياء الموتىٰ، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسىٰ عليه السلام، ومثل ما أوتي نبينا ﷺ من المعجزات الكثيرة.

ولكن ليست دلائل النبوة مقصورة علىٰ المعجزات، بل منها المعجزات كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات، وتُسمىٰ بالآيات، وكونها تُسمىٰ بالآيات أحسن من تسميتها بالمعجزات. يقول: لأن لفظ المعجزة لم يأت في القرآن ولا في السنة إنما جاء ذكر الآيات. يعني العلامات الدالة علىٰ الأنبياء، وهي كثيرة.

=

١٤٠ـ ومعجــزاتُ خَــاتَِــمِ الأَنْبَــاءِ
كَثيــرةٌ تَجِــلُّ عَــنْ إحصــائِــي[(١)]

١٤١ـ مِنْهــا كــلامُ اللهِ مُعْجِــزُ الــوَرَىٰ[(٢)]

. . . .

= منها أن النبي لا يخرج عن سيرة مَنْ قَبلَه من الأنبياء، ومنها صدقه وعدم تجريب الكذب عليه، ومنها صفاته الخَلقية. كان عبد الله بن سلام رضي الله عنه من أحبار اليهود، فلما قدم النبي ﷺ إلىٰ المدينة مهاجراً ذهب إليه ليتعرف عليه، فلما نظر إلىٰ وجهه عليه الصلاة والسلام قال: عرفت أنه ليس بالكذاب، بمجرد ما نظر إلىٰ وجه الرسول ﷺ عرف أنه ليس وجه كذاب فآمن به واتبعه رضي الله عنه. وابن رواحة رضي الله عنه يقول في شعره:

وفي وجهه شاهد من الخبر

فدلائل النبوة كثيرة ليست محصورة علىٰ المعجزة. وإنما المعجزات بعض الأدلة على صدقهم.

(١) ومعجزات نبينا (تجل عن إحصائي) يعني لا تُعد، لأنها كثيرة، لا تُحصىٰ لكثرتها.

(٢) أعظم المعجزات المحمدية كلام الله ـ جل وعلا ـ الذي أعجز الورىٰ، يعني الخلق الجن والإنس، ما استطاعوا أن يحاكوه أو يأتوا بسورة من مثله، بل أعجز الجن والإنس ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] في المستقبل، وفي وقت نزوله وفيما بعد إلىٰ أن تقوم الساعة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ شيء نفاه الله لا يمكن أن يحصل أبداً. =

١٤١ـ . . . .

كذا انشقاقُ البَدْرِ مِنْ غيرِ امترا[(١)]

= فكل من تمعن في هذا القرآن عن إنصاف ودرسه حق الدراسة فإنه يُسْلِم إن كان كافراً، الآن المسلمون كما ترون ضعفهم، لا جهاد ولا قوة وكم الذين يسلمون الآن؟ بالمئات والآلاف من غير جهاد، بل بمجرد ما ينظر في القرآن ويتمعن آياته وهو يريد الحق فإنه يسلم. وعلىٰ العكس تجد النصارىٰ يبذلون الجهد والمال فيما يسمونه بالتبشير والدعوة إلىٰ النصرانية ولا يؤمن إلا أفراد قليلون طمعاً في المال، ولا يلبثون أن يتحولوا عن النصرانية. أما هذا الدين فما دخل فيه أحد عن صدق إلا وتمسك به، يعني إذا دخله عن اقتناع وعن رغبة فإنه لا يمكن أن يرتد، لكن إذا دخله عن طمع من غير تأمل فقد يرتد، أما من دخله عن اقتناع ومعرفة به فإنه لا يرتد؛ لأنه الحق الذي إذا باشر القلوب فإنها تثبت عليه.

قال ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أوتي ما علىٰ مثله آمن البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»[(*)].

(١) من المعجزات الكبرىٰ انشقاق القمر، لما تمرد كفار قريش علىٰ دعوة الرسول ﷺ وقالوا له: إن كنت صادقاً فشق لنا هذا القمر. فدعا الله سبحانه وتعالىٰ فانشق القمر فصارت شِقَّين، شِقّ علىٰ جبل والشقّ الثاني علىٰ جبل آخر، وهم ينظرون إلىٰ ذلك لكنهم لم يُسلموا لأنهم لا يريدون الحق، وإلا فإن الذي يريد الحق يُسلم بمجرد ما يسمع القرآن، أما =

(*) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٤٢ـ وأَفْضَلُ العالَمِ مِن غيرِ امْتِرا
نَبيُّنَا المبعوثُ في أُمِّ القُرَىٰ(١)

= هؤلاء فهم متعنتون يريدون تعجيز الرسول ﷺ. فإذا جاءهم بما يطلبون كفروا وأبوا؛ لأنهم لا يريدون الحق، والذي لا يريد الحق لا حيلة فيه مهما عملت، إنما يهتدي من يريد الحق وخفي عليه، هذا هو الذي يهتدي، أما الذي لا يريد الحق فهذا لا يمكن أن تقنعه أبداً. ولذلك لم يؤمنوا لما انشق القمر ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ١-٤].

(١) أفضل العالم وأفضل الرسل من غير شك هو نبينا ﷺ، قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»(*) فهو أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأنبياء يتفاضلون فيما بينهم، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فالأنبياء يتفاضلون، بعضهم أفضل من بعض، ولكن كلهم أنبياء الله عز وجل، لا يجوز أن يُتنقص أحد منهم علىٰ وجه المفاخرة، فيقول: نبينا أفضل من نبيكم. من باب المفاخرة، لا يقال هذا ولا يُتنقص نبي من الأنبياء ولو كان مفضولاً، ولهذا قال ﷺ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»(**).

أما ذكر أن رسولنا ﷺ أفضل من باب التحدث بنعمة الله فلا بأس بذلك، ذكر الرسول أنه أفضل الخلق فهذا من التحدث بنعمة الله، ولهذا =

(*) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(**) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٤٣ـ وبَعَــدهُ فــالأفضــلُ أهــلُ العَــزْمِ
فــالـرسـلُ ثـم الأنبيــاءُ بـالجَـزْمِ(١)

= قال ﷺ: «ولا فخر» أي: لم يذكر هذا من باب الافتخار، وإنما ذكره من باب التحدث بنعمة الله عز وجل.

وقوله: (المبعوث في أم القرىٰ) وهي مكة، وهذه هي سنة الله ـ جل وعلا ـ أنه يبعث الرسل في القرىٰ، أي: المدن، ولا يبعثهم من البادية بل يبعثهم من المدن ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩] ونبينا بُعث في مكة وهي أم القرىٰ: ومعنىٰ أم القرىٰ، أي: أعظم القرىٰ وأشرفها وأعظمها وهي البلد الذي ترجع إليه بقية البلدان قال تعالىٰ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورىٰ: ٧] لأن النبي إذا بُعث في المدينة انتشر خبره في الآفاق، أما لو بعث في بادية أو في مكان صغير فإنه لا يُدرىٰ عنه، فكونه يكون في أكبر المدن هذا يسبب انتشار خبره؛ لأن الناس يأتون إلىٰ المدن ويروون الأخبار ويتناقلونها.

(١) الرسل يتفاضلون أفضلهم محمد ﷺ علىٰ الإطلاق، ثم من بعده أولو العزم الخمسة، وهم المذكورون في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ [الشورىٰ: ١٣] هؤلاء هم أولوا العزم، وهم أفضل الرسل، قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ثم من بعد أولي العزم في الفضيلة بقية الرسل ثم الأنبياء.

* * *

فصل

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام

١٤٤ـ وأنَّ كُـلَّ واحـدٍ مِنْهُـمْ سَلِـمْ
مِنْ كُلِّ ما نَقْصٍ ومِنْ كُفْرٍ عُصِمْ(١)

١٤٥ـ كَـذاكَ مِـن إفْـكٍ ومِـنْ خِيـانَـةْ
لِـوصْفِهِـمْ بـالصِّـدْقِ والأمـانَـةْ(٢)

١٤٦ـ وجـائـزٌ فـي حَـقِّ كُـلِّ الـرُّسـلِ
النَّـوْمُ والنِّكَـاحُ مِثـلُ الأكْـلِ(٣)

---

(١) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سالمون من كل نقص خُلقي ونقص خَلْقي، كملهم الله ـ جل وعلا ـ وهيأهم لحمل رسالته إلىٰ خلقه. وكذلك هم معصومون من الكفر، ومعصومون من كبائر الذنوب، وإن وقع من أحد منهم خطأ فإنه معصوم من الاستمرار عليه بل إن الله ـ جل وعلا ـ ينبهه عليه فيتوب. ما ذُكر خطأ من نبي إلا ذُكرت معه التوبة، فهم معصومون عليهم الصلاة والسلام في البداية وفي النهاية.

(٢) كذلك هم معصومون في أخلاقهم من الإفك والكذب، ومعصومون من الخيانة بالعهود والخيانة بالمواثيق وخيانة الأمانات؛ لأنهم عليهم الصلاة والسلام أطهار بررة معصومون من كل وصف ذميم، ومن كل خلق ذميم، فهم أكمل الخلق علىٰ الإطلاق.

(٣) لما ذكر ما يتصف به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الصفات التي تميزهم عن غيرهم، ذكر ما يجوز في حقهم، ولا يكون فيه عيب عليهم،=

. . . .

= وذلك مثل الأحوال البشرية التي تجري علىٰ بني آدم مثل المرض، والموت، والجوع، فهذا يجري علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل هم أشد الناس ابتلاءً، وقد يجري عليهم القتل كما قُتل جماعة منهم، وكذلك مما يحتاجون إليه وليس بعيب في حقهم الأكل والشرب فإنهم بحاجة إليه، اتخاذ الزوجات والأولاد، فهم كغيرهم في هذا، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ﴾ [الأنبياء: ٨] بل كلهم يأكلون الطعام ويحتاجون إليه، والله يجري عليهم الموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فهم يجري عليهم ما يجري علىٰ البشر من الأشياء التي ليس فيها نقص في حقهم، وإنما فيها كمال حياتهم، وكذلك ينامون، كما ينام غيرهم؛ لأن النوم من الحاجة والصحة، فهم ينامون، ولهذا لما جاء جماعة إلىٰ أزواج النبي وسألوا عن عبادة النبي ﷺ ليقتدوا به فيها، فلما ذكرن لهم عبادة النبي ﷺ كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من رسول الله؛ لأنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أنا أقوم ولا أنام، وقال الآخر: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء، وقال الرابع: أنا لا آكل اللحم. يظنون أن هذا عبادة لله عز وجل، =

. . . .

= فلما بلغ رسول الله ﷺ قولهم أنكر عليهم، قال عليه الصلاة والسلام: «أما إني أتقاكم لله عز وجل وأعلمكم بالله، وإني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، ومن رغب عن سنتي فليس مني»(*).

❊ ❊ ❊

(*) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فصل

في ذكر الصحابة رضي الله عنهم[(١)]

(١) لما فرغ من ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عموماً وذكر نبينا محمد ﷺ خصوصاً، انتقل إلىٰ أفضل الخلق بعد الأنبياء، وهم صحابة رسول الله ﷺ وقرنهم خير القرون، كما قال ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(*)] فهم خير القرون، وأفضل الأمة علىٰ الإطلاق، ولا أحد يساويهم في فضلهم، لأن الله اختصهم بصحبة رسوله ﷺ، وجهادهم معه، ومجالسته، ورؤيته ﷺ، مما لم يحصل لمن يأتي بعدهم، وأيضاً هم الذين حملوا الرسالة من النبي ﷺ، وحملوا هذا العلم وبلغوه لمن بعدهم، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول ﷺ في تبليغ العلم والشرع، وفضائلهم كثيرة، لا يلحقهم فيها أحد، ولا يسبقهم أحد، رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد أثنىٰ الله عليهم في القرآن، قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] هذه صفاتهم، وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ =

(*) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

١٤٧ـ وليسَ في الأُمَّةِ بالتَّحْقِيقِ
في الفضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيقِ(١)

= أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩] فهؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، هم أفضل الأمة ولا أحد يلحقهم في فضلهم، ولا يجوز الكلام فيهم بما ينقص قدرهم أو ينتقدهم، قال ﷺ: «لا تَسُبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه»(*)، اختارهم الله لصحبة نبيه والجهاد مع رسوله، فهم أغزر الناس علماً، وأقلهم تكلفاً، فهم خيرة هذه الأمة علىٰ الإطلاق، وقرنهم خير قرونها، وهم يتفاضلون فيما بينهم، فلا شك أن المهاجرين أفضل من الأنصار؛ لأن الله قدم المهاجرين علىٰ الأنصار، وأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، وكذلك الذين أسلموا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح، وكلاً وعد الله الحسنىٰ، كلهم صحابة، وإن كانوا يتفاضلون فيما بينهم، فكلهم صحابة رسول الله ﷺ، لا يجوز الكلام فيهم، ولا يجوز الحط من قدرهم، ولا يجوز تنقصهم، ولا يجوز اتهامهم بالتهم الباطلة التي تفتريها في حقهم الطوائف الضالة كالخوارج والشيعة ومن نحا نحوهم، فيجب علىٰ المسلم أن يعتقد هذه العقيدة في صحابة رسول الله ﷺ.

(١) أفضلهم الخلفاء الراشدون، وأفضل الخلفاء الراشدين أبو بكر، وهو =

(*) أخرجه مسلم (٢٥٤٠) (٢٢١)، وأحمد في «المسند» ١٧/ ١٣٧-١٣٨ (١١٠٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، إلا أنه وقع عند مسلم: عن أبي هريرة، وهو وهم، نبّه عليه المزي في «تحفة الأشراف» ٣/ ٣٤٣-٣٤٤، والحافظ ابن حجر في «الفتح» ٧/ ٣٥-٣٦ (٣٦٧٣) فراجعه لزاماً.

١٤٨ـ وبَعْـدَهُ الفـاروقُ مِـن غيـرِ افْتِـرا[(١)]

. . . .

= خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبد الله، والصديق لقبه النبي ﷺ بالصديق، وكنيته أبو بكر، واسمه عبد الله بن عثمان، وهو أول من آمن بالرسول ﷺ من الرجال الأحرار، ولازمه وجاهد معه، ولم يفارقه منذ أن أسلم إلىٰ أن توفي رسول الله ﷺ، وكان رفيقه في أسفاره، لا يفارقه، وكان يعطي رسول الله ﷺ من ماله ما يستعين به علىٰ مهام الدعوة والرسالة، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، فهو أفضل الأمة علىٰ الإطلاق، رضي الله عنه وأرضاه، وكان صاحبه في الغار ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فهو صاحب الرسول في الغار، ورفيقه في سفر الهجرة، وخليفته بعد وفاته، وهو الذي نصر الله به الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ لما ارتد مَن ارتد مِن العرب، واضطرب الأمر، فقام رضي الله عنه، وثبت ثبوت الجبال، وقاتل المرتدين حتىٰ أخضعهم لحكم الإسلام، وثَبَّتَ الله به الدين، ثم إنه عند وفاته اختار أفضل الأمة مِن بعده وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وفضائله كثيرة.

(١) (وبعده الفاروق من غير افترا) وبعد الصديق عمر الفاروق، سمي بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وأعز الإسلام بإسلامه. لما أسلم قوي المسلمون، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[(*)]. فأعز الله به الإسلام، وولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم قام بها خير قيام، وجاهد في سبيل الله، =

(*) أخرجه البخاري (٣٦٨٤)، وابن حبان ١٥/ ٣٠٤ (٦٨٨٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

١٤٨- ....

وبَعْـدَهُ عُثْمَـانُ فـاتْـرُكِ المِـرَا[(١)]

= وفتح الفتوح في المشارق والمغارب حتىٰ انتشر الإسلام في عهده، وقوي الإسلام في عهده، رضي الله عنه، فهو في الدرجة الثانية في الفضل بعد أبي بكر الصديق.

(١) والثالث الخليفة عثمان بن عفان بن أبي العاص من بني عبد شمس بن عبد مناف الأموي رضي الله عنه، أسلم قديماً، فهو من السابقين الأولين إلىٰ الإسلام، وهاجر الهجرتين، الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة، والهجرة الثانية إلى المدينة، وجاهد مع رسول الله ﷺ، وتزوج بنتي الرسول ﷺ، تزوج رقية ثم لما ماتت زَوَّجَه النبيُّ ﷺ بأم كلثوم، ولذلك سمي ذا النورين؛ لأنه تزوج بنتي الرسول ﷺ، ولي الخلافة بعد عمر، وذلك لأن عمر رضي الله عنه لما طُعن وحضرته الوفاةُ أوصىٰ إلىٰ الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فاتفق هؤلاء علىٰ تقديم عثمان رضي الله عنه، وبايعوه وبايعه المسلمون، وانعقدت خلافته رضي الله عنه وأرضاه، وهو الذي جهز جيش العسرة، وهو الذي كان ينفق ماله في سبيل الله، وفي حاجة المسلمين، وهو الذي أمر بكتابة المصحف؛ لأن القرآن كان ينزل علىٰ النبي ﷺ، وكان ﷺ يأمر بكتابته فيُكتب علىٰ أشياء مختلفة علىٰ أوراق، وعلىٰ عظام، وعلىٰ جلود، وعلىٰ ما تيسر، وما توفي النبي ﷺ إلا وقد كُتب القرآن كله، إلا أنه كان متفرقاً في هذه الأشياء، ولما كانت وقعة اليمامة، وقُتل كثير من قراء الصحابة رضي الله عنهم، واستشهدوا في اليمامة، خشي الصحابة علىٰ القرآن، فقاموا وجمعوه في عهد أبي بكر، جمعوا القرآن من هذه المكتوبات المتفرقات في مصحف واحد، =

. . . .

= فكانت مع الصحابة مصاحف مختلفة، كلّ له مصحف قد تختلف قراءته عن قراءة الآخر، ولما كان في خلافة عثمان رأىٰ حذيفة بن اليَمان رضي الله عنه، اختلاف الناس في القراءة فخشي علىٰ القرآن، وخشي علىٰ الأمة من الاختلاف، فجاء إلىٰ عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد، وقال له: أدرك الناس لئلا يختلفوا اختلاف اليهود والنصارىٰ في كتابهم(*). فعثمان رضي الله عنه جمع جماعة من أشهر القراء من صحابة رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يجمعوا المصاحف علىٰ مصحف واحد هو مصحف عثمان الباقي إلىٰ الآن بأيدي الناس، ولما كتبوه استنسخ منه نسخاً، وأرسلها إلىٰ الأقطار في الخلافة الإسلامية، وأمر بإحراق ما عدا هذا المصحف لأجل أن يجمع الناس علىٰ مصحف واحد، ولا يتفرقوا، فاجتمعوا علىٰ مصحف عثمان، ولذلك يُسمىٰ المصحف العثماني أو المصحف الإمام، وهو هذا المصحف الموجود اليوم ولله الحمد، فهذا من فضائل عثمان رضي الله عنه، وهو الذي أمر بالأذان الأوّل في الجمعة، لأجل أن يتنبه الناس لصلاة الجمعة فيذهبوا لصلاة الجمعة؛ لأنهم لو تُرِكوا لانشغلوا في بيعهم وشرائهم ومزارعهم، فأمر بالأذان الأول حتىٰ يتهيأ الناس لصلاة الجمعة، فكان هذا الأذان من سنة الخلفاء الراشدين فقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»(**).

(*) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ٢/ ١٠٩ الحديث الثامن والعشرون.

١٤٩ـ وبَعـدُ فـالفَضْـلُ حَقِيقـاً فـاسْمَـعِ
نِظَـامِـي هٰـذا للبَطِيْـنِ الأَنْـزَعِ[(١)]
١٥٠ـ مُجَـدِّلُ الأبطـالِ مـاضـي العَـزْمِ[(٢)]
. . . .

---

(١) وبعد عثمان رضي الله عنه صارت الخلافة إلىٰ الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها، الشجاع البطل المجاهد الحافظ لكتاب الله، الراوي للعلم الغزير، فبايعه المسلمون، وانعقدت خلافته رضي الله عنه، فصار رابع الخلفاء الراشدين الذين قال فيهم رسول الله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» وفضائله كثيرة، أولها أنه ابن عم الرسول ﷺ، وثانيها أنه كان زوج فاطمة بنت الرسول ﷺ، وأبا الحسن والحسين رضي الله عنهما، وثالثها أنه الخليفة، ورابعها أنه الذي أعَزَّ الله به الإسلامَ، وقمع به الخوارجَ والفرقَ الضالة، فله فضائل كثيرة، وقد قال فيه النبي ﷺ يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه»(*) فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو ذلك الرجل المشهور بشجاعته وصرامته رضي الله عنه.

وقوله: (للبطين الأنزع) هذا من صفاته رضي الله عنه، الأنزع: يعني أنه منحسر شعر رأسه عن النزعتين من جانبي الجبهة، (البطين) أنه عظيم البطن رضي الله عنه.

(٢) (مجدل الأبطال) أي: مجندل الأبطال، ولكن الناظم قال: مجدل من أجل النظم، أي: الذي يصرع الأبطال حين يبارزهم لشجاعته رضي الله عنه.

و(ماضي العزم) كان قوي العزيمة.

(*) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

١٥٠ـ . . . .

مفَــرِّجُ الأَوْجَــالِ وافِــي الحَــزْمِ[١]

١٥١ـ وافِي النَّدَىٰ مُبدي الهُدَىٰ مُرْدِي العِدا[٢]

مُجْلِي الصَّدَىٰ يَا وَيْلَ مَنْ فيهِ اعْتَدَىٰ[٣]

---

(١) (مفرج الأوجال) الأوجال: جمع وجل، أي: أنه عند الخوف كان مقداماً. يفرج الله به للمسلمين في المعارك، وملاقاة العدو.

(٢) (وافي الندىٰ) يعني كثير العطاء، لأنه كان جواداً في الإنفاق في سبيل الله. (مبدي الهدىٰ) بما أعطاه الله من العلم، كان من علماء الصحابة الأجلاء. (مردي العِدا) مثل مجدل الأبطال أنه كان يصرع الكفار بسيفه.

(٣) (مجلي الصدىٰ) الصدىٰ: يعني العطش أنه كان يروي العطش، يعني يروي عطش الجهل بعلمه رضي الله عنه.

(يا ويل من فيه اعتدىٰ) بأن سَبَّه أو تنقصه كما تفعله النواصب، الذين يبغضون علياً رضي الله عنه، ويسبونه، وكذلك الخوارج.

وكذلك من الاعتداء في حق عليّ، الغلو فيه وتفضيله علىٰ الصحابة كما تقوله الشيعة أنه أفضل من أبي بكر وعمر، وأنه هو الأحق بالخلافة، وأنه هو وصيُّ رسول الله، وأن الخلافة له، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظلموه، واغتصبوا الخلافة، هذا قول الشيعة، وهذا من العدوان في حقّ عليّ رضي الله عنه، فعلي من الخلفاء الراشدين، وهو الخليفة الرابع في الترتيب، وفي الفضل رضي الله عنه، نحن لا نجحد فضله وخصاله الطيبة، ولكن لا نغلو فيه كما تغلو الشيعة، ولا نجفو في حقه كما جفت الخوارج والنواصب الذين ينتقصونه، بل إن الخوارج كفروه.

١٥٢ـ فَحُبُّـهُ كَحُبِّهِـمْ حتمـاً وَجَـبْ[١]
ومَنْ تَعَدَّىٰ أَوْ قَلَىٰ فَقَدْ كَذَبْ[٢]
١٥٣ـ وَبَعْـدُ فَـالأَفْضَـلُ بـاقِـي العَشَـرَةْ[٣]
فَـأَهْـلُ بَـدْرٍ ثُـمَّ أَهْـلُ الشَّجَـرَةْ[٤]

---

(١) حب علي رضي الله عنه كحب إخوانه من الخلفاء الراشدين واجب علىٰ الأمة، ومحبتهم دين، وبغضهم نفاق وكفر.

(٢) ومن تعدىٰ بأن غلا في عليّ وفضله علىٰ أبي بكر وعمر كالشيعة أو ادعىٰ أن الخلافة له بعد رسول الله ﷺ فقد كذب وخالف إجماع الأمة، ومن تنقصه وحط من قدره، فقد كذب أيضاً كالخوارج والنواصب، فالواجب الاعتدال ومعرفة الحق بأدلته، وعدم الذهاب مع الأهواء والنزعات الشيطانية، والتقليد الأعمىٰ للفرق الضالة، بل يكون الإنسان علىٰ هدىٰ وعلىٰ دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير إفراط ومن غير تفريط في حق الخلفاء الراشدين.

(٣) ثم بعد الخلفاء الراشدين في الفضيلة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، الخلفاء الأربعة، والخامس طلحة بن عبيد الله، والسادس الزبير بن العوام، والسابع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، والثامن سعد بن أبي وقاص، والتاسع أبو عبيدة عامر بن الجراح، والعاشر عبد الرحمٰن بن عوف.

(٤) ثم بعد العشرة، أهل بدر، وهم الذين حضروا وقعة بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، وقعت عند ماء يُقال له بدر بين المسلمين والكفار، فأعز الله بها المسلمين، وسماها يوم الفرقان، لأن الله فرق فيها بين الحق والباطل، وهي أول غزوة في الإسلام، قتل اللهُ فيها صناديدَ قريش الذين كفروا برسول الله ﷺ، وآذوا المسلمين، وضايقوهم في =

. . . .

= مكة، قتلهم الله في هذه الوقعة، واستشهد فيها من الصحابة أربعة عشر، وقُتل فيها من كبار المشركين سبعون رجلاً، وأُسر منهم سبعون رجلاً، وغنم الصحابة ما معهم من السلاح، ومن الإبل والخيل، واشتهر ذكرها في الجزيرة وفي الأقطار البعيدة، عند ذلك خاف المشركون خوفاً شديداً، وكل من سمع بهذه الواقعة وقع في قلبه الخوف من المسلمين، وأعز الله بها الإسلام وأهله، وأذل بها الشرك وأهله، فمن حضرها فله فضل علىٰ غيره، ممن لم يحضرها، وقد قال ﷺ: «اطلع الله علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(*).

(ثم أهل الشجرة) ثم بعد أهل بدر أهل الشجرة، وهم أهل بيعة الرضوان، قال الله جل وعلا: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وكانت في السنة السابعة من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ، بأصحابه وكانوا ألفاً وأربع مئة يريدون العمرة، ما أرادوا قتالاً، فلما وصلوا إلىٰ الحديبية وهي ماء قريب من مكة، يُقال لها الآن الشميسي علىٰ طريق القادم من جدة، قريبة من التنعيم، لما وصل إلىٰ هذا المكان خرج إليه المشركون ليمنعوه من دخول مكة، ويصدوه عن العمرة، فحصل ما حصل من المفاوضات بينه وبينهم، وانتهىٰ الأمر بالصلح المسمىٰ صلح الحديبية الذي كان نصراً للإسلام والمسلمين، علىٰ أن يرجع رسول الله ﷺ وأصحابه تلك السنة، وأن يعتمروا من العام القادم، =

(*) أخرجه أبو داود (٤٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٥٤ـ وَقِيلَ أَهْلُ أُحُدٍ المُقَدَّمَةْ
والأَوَّلُ أَوْلَىٰ للنُّصُوصِ المُحْكَمَةْ(١)

= وجرىٰ بينه وبينهم الصلح علىٰ ترك القتال، وعلىٰ ترك المضايقة للمسلمين الذين يريدون الهجرة، والذين يريدون الإسلام، فحصل الصلح علىٰ هذا، فكانت فتحاً من الله عز وجل، أزال به الضيق عن المسلمين الذين يريدون الإسلام، والذين يريدون الهجرة، ووضع القتال بين الكفار وبين الرسول ﷺ، وبعدها فتح الله للمسلمين خيبر، أرض اليهود وما فيها من النخيل، والمزارع والخيرات الكثيرة، وسماها الله فتحاً، وأنزل فيها سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] إلىٰ آخر السورة، وقد شق صلح الحديبية علىٰ المسلمين؛ لأنهم يريدون العمرة، ولا يريدون الذلة بزعمهم، ظنوا أن هذا ذلة للمسلمين، ولكن الرسول ﷺ صمم علىٰ هذا؛ لأن الله أمره بهذا، فكان فيه الخير الكثير للمسلمين ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] فالذين حضروا هذه البيعة وبايعوا رسول الله ﷺ وجبت لهم الجنة ورضي الله عنهم، وسبب هذه البيعة أن الرسول ﷺ لما صده المشركون، أرسل عثمان رضي الله عنه إلىٰ أهل مكة يخبرهم بأن الرسول ﷺ ما قدم للقتال وإنما قدم للعمرة، فأُشيع أن عثمان قُتل في مكة، فعند ذلك عزم النبي ﷺ علىٰ القتال، وبايعه أصحابه علىٰ الموت، تحت هذه الشجرة، ثم بعد ذلك تم الصلح الذي صار عِزّاً للإسلام والمسلمين، وإن كان في ظاهره أنه دنيئة علىٰ المسلمين، ولكن صار في الحقيقة عِزّاً للإسلام والمسلمين.

(١) (وقيل أهل أحد المقدمة) وقيل: إن الذين شهدوا وقعة أحد أفضل من الذين شهدوا بيعة الرضوان، وقعة أحد حصلت في السنة الثالثة من =

١٥٥ـ وعَـائِشَـةٌ فِـي العِلْـمِ مَـع خَـدِيْجَـةْ فِي السَّبْقِ فَافْهَمْ نُكْتَةَ النَّتِيجَةْ(١)

= الهجرة، بعد غزوة بدر، الغزوة المشهورة، سميت وقعة أحد؛ لأنها وقعت عند جبل أحد، شمالي شرقي المدينة، وحصل فيها ما حصل وأنزل الله فيها آيات كثيرة من سورة (آل عمران) ما يزيد عن ستين آية، فبعض العلماء يرىٰ أن من حضرها أفضل ممن حضر بيعة الرضوان، والصحيح الأول أن أهل بيعة الرضوان أفضل، لأن الله نوّه بشأنها، قال: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

(١) ومن أفضل الصحابة أيضاً أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن؛ لأنهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي ﷺ، اختارهن الله له في الدنيا والآخرة، فهن زوجاته في الدنيا، وزوجاته في الجنة، وفضلهن معروف، وهن يتفاضلن فيما بينهن، والخلاف وقع أيهما أفضل خديجة الزوجة الأولىٰ لرسول الله ﷺ وأمّ أولاده التي تزوج بها رسول الله ﷺ بمكة، ولما بُعِث آزرته وأيدته، وآمنت به، فهي أول من آمن من النساء، وآزرت الرسول ﷺ، وكانت تُسري عنه، وتقوي من عزمه، وعائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق التي كان رسول الله ﷺ يحبها حباً شديداً، ولما مرض ﷺ استأذن نساءه أن يُمرَّض في بيتها، فمُرِّض في بيتها، ومات عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرها(*)، فهذا يدل علىٰ فضلها، وأيضاً هي عالمة النساء، روت من أحاديث الرسول ﷺ الشيء الكثير، =

(*) انظر البخاري (١٣٨٩) حديث عائشة رضي الله عنها.

. . . .

= وعلمت من الأحكام والفقه الشيء الكثير، فهي فقيهة النساء، وكان الصحابة يرجعون إليها، في رواية الحديث والفتوىٰ، واختلف العلماء أيهما أفضل عائشة أو خديجة، والصحيح أن لكل منهما فضائل ليست عند الأخرىٰ، فخديجة لها فضيلة السبق إلىٰ الإسلام، ومؤازرة الرسول ﷺ، وأنها أم أكثر أولاده، وعائشة رضي الله عنها لها فضيلة العلم والفقه، والرواية عن الرسول ﷺ، وأنها حظيت بمحبته ﷺ لها، وأنه توفي في بيتها وفي حجرها بين سحرها ونحرها رضي الله عنها وأرضاها.

❊ ❊ ❊

فصل

في فضل الصحابة جملة

١٥٦ـ وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كالصَّحَابَة
فِي الفَضْلِ والمَعْرُوفِ والإصَابَة[(١)]

(١) ما زال الكلام في صحابة رسول الله ﷺ، وفضل الصحابة علىٰ غيرهم ممن يأتي بعدهم من الأمة فضل لا يلحقهم فيه أحد، ولا يسبقهم أحد، ولا يلحق بهم أحد بما خصهم الله عز وجل به علىٰ غيرهم، من مزايا لا توجد في غيرهم، أعظمها صحبتهم لرسول الله ﷺ، ورؤيتهم له، وتلقيهم العلم عنه ﷺ، وجهادهم معه، ونصرتهم له، وثانياً ما خصهم الله به من العلم فإنهم أعلم قرون الأمة، فإن الله سبحانه وتعالىٰ هيأهم لحمل العلم عن رسول الله ﷺ، ورزقهم الله صفاء الذهن، وزكاة النفوس، وطهارة القلوب، وأعطاهم قوة الفهم، والحفظ، فهم أعلم قرون الأمة، وما أعطاهم الله من الفضل والكرم والبذل في سبيل الله عز وجل، فقد بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله عزَّ وجل، ونشروا هذا الدين في المشارق والمغارب، فلهم من الفضائل ما لا يلحق بهم غيرهم ممن جاء بعدهم، فهم أفضل قرون الأمة علىٰ الإطلاق، كما قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(*)] قال الراوي: لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. فهم أفضل القرون، ويجب علىٰ المسلمين معرفة قدرهم ومكانتهم، ويجب عليهم محبتهم، =

(*) سلف تخريجه ص٢٢٩.

. . . .

= والاقتداء بهم، والترضي عنهم؛ لأن الله أخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه، هذا هو الواجب، وهذا من مسائل أو من أصول العقيدة، معرفة قدر الصحابة وفضل الصحابة ومحبتهم والاقتداء بهم، هذا من أصول العقيدة، لا يبغضهم إلا منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩] فلا يغتاظ من الصحابة ويبغضهم إلا من فيه كفر، إما كفر أكبر أو كفر أصغر، بحسب ما يقع في قلبه من بغض الصحابة، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(*) فالمد وهو ربع الصاع أو نصف المد إذا تصدق به الصحابي خير من الصدقة بمثل جبل أحد من غيرهم، وذلك لفضلهم وسابقتهم، فهل يشك بعد هذا من في قلبه إيمان في فضل الصحابة، ومكانتهم في الإسلام، وهل يبغضهم إلا من في قلبه نفاق وكفر، وزيغ وإلحاد.

وقوله: (والإصابة) أي الإصابة للحق، فهم أقرب إلىٰ إصابة الحق في الاجتهاد من غيرهم، لما منحهم الله من المؤهلات التي بها يعرفون الحق فهم أعلم من غيرهم بإصابة الحق في المسائل المختلف فيها، وقول الصحابي حجة، إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، فهو حجة عند الأصوليين.

(*) سلف تخريجه ص٢٣٠.

١٥٧ـ فـإنَّهـم قَـدْ شـاهـدوا المُخْتَـارَا
وعـايـنُـوا الأسْـرارَ والأنْـوارَا(١)

١٥٨ـ وَجَـاهَـدُوا فـي اللهِ حَتَّـىٰ بـانَـا
دينُ الهُدَىٰ وقَدْ سَمَا الأديانَا(٢)

---

(١) من أدلة فضل الصحابة علىٰ غيرهم أنهم شاهدوا المختار ﷺ، شاهدوه وعاشوا معه، وليس من لازم ذلك أن يراه الصحابي ببصره، فلو كان أعمىٰ ما دام أنه حضر النبي ﷺ وآمن به، واستمع له، فلو كان أعمىٰ كعبد الله بن أم مكتوم وغيره ممن ليس لهم بصر فهم صحابة، فقوله: (شاهدوا) يعني حضروا النبي ﷺ، هذه واحدة. الثانية: أنهم حضروا التنزيل وهو الوحي علىٰ الرسول ﷺ، فكان الوحي ينزل في عصرهم علىٰ رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يُلقي ما نزل عليه من الوحي علىٰ أصحابه، فيتلقونه عنه، ويروونه عنه، ويتحملونه عنه، ويبلغونه لغيرهم، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ، فهم حملة الشريعة عن الرسول ﷺ، ومن جاء بعدهم فإنه يتلقىٰ عنهم.

(٢) الميزة الثالثة من ميزات الصحابة جهادهم مع رسول الله ﷺ، فإنهم جاهدوا مع الرسول ﷺ وصبروا، جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم ودافعوا مع الرسول ﷺ، وصبروا معه علىٰ ما يلقون من المشقة والقتل والجراح، فلا شك أن الذي جاهد مع الرسول ﷺ أفضل ممن جاهد بعده، وإن كان الجهاد في حد ذاته باباً عظيماً في الإسلام، وللمجاهدين فضل عظيم ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦]، ولكن الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ هم أفضل المجاهدين علىٰ الإطلاق.

١٥٩ـ وَقَدْ أَتَىٰ في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
مِنْ فَضْلِهِمْ ما يَشْفِي لِلْغَلِيلِ[(١)]

١٦٠ـ وَفِي الأَحادِيثِ وَفِي الآثارِ[(٢)]

. . . .

---

(١) الميزة الرابعة: (أتىٰ في محكم التنزيل) وهو القرآن من فضلهم (ما يشفي للغليل) وهو العطش، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] هذه الآية في المهاجرين، وهذه في الأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] كل هذه آيات من كتاب الله في فضل الصحابة، والثناء عليهم، ورضوان الله عنهم.

(٢) وفي الأحاديث أيضاً جاء ذكر فضلهم والثناء عليهم، مثل قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[(*)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن =

(*) سلف تخريجه ص٢٣٠.

-١٦٠ . . . .

وفِـي كَـلامِ القَـومِ والأَشْعَـارِ[(١)]

١٦١- مَـا قَـدْ رَبَـا مِـن أَنْ يُحيـطَ نَظْمِـي

عَنْ بَعْضِهِ فاقْنَعْ وَخُذْ عن عِلْمِ[(٢)]

= أبغضهم فببغضي أبغضهم»(*) الذي يحب الصحابة يحب الرسول ﷺ، أو الذي يحب الرسول ﷺ يحب الصحابة، والذي يبغض الرسول يبغض الصحابة، هذه علامة فارقة فإذا رأيت رجلاً يبغض الصحابة فاعلم أنه يبغض الرسول ﷺ، ومن أبغض الرسول كفر، وإذا رأيت من يحب الصحابة فاعلم أنه يحب الرسول ﷺ، ومن أحب الرسول فهو مؤمن.

وقوله: (وفي الحديث وفي الآثار) كذلك الآثار الواردة عن السلف الصالح في الثناء علىٰ الصحابة ومدحهم والاعتراف بفضلهم كثيرة موجودة في كتب السنة والعقائد.

(١) (وفي كلام القوم) أي في كلام المؤمنين من الثناء علىٰ الصحابة، فالمؤمنون يمدحون الصحابة في النثر وفي النظم، ففي مدحهم قال الشعراء القصائد العديدة يمدحونهم بها.

(٢) مثل شعر حسان بن ثابت، وشعر عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وغير ذلك من أشعار الشعراء في مدح الصحابة - رضي الله عنهم - والثناء عليهم.

يقول: إن ما ورد من مدحهم في الآيات وفي الأحاديث وثناء الناس عليهم وفي الأشعار ما لا أستطيع ذكره في هذه المنظومة، فقد زاد عن =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٤/١٦٩ (٢٠٥٤٩) من حديث عبد الله بن مُغَفَّل المزني رضي الله عنه.

١٦٢ـ واحْذَرْ مِن الخَوْضِ الذي قَدْ يُزرِي[(١)]

. . . .

= (أن يحيط نظمي) به. وفي وقعة الحديبية لما جاء عروة بن مسعود مندوباً عن الكفار قبل أن يسلم، جاء مندوباً عن الكفار ليفاوض النبي ﷺ، فلما رأى الصحابة مع الرسول ﷺ، ورأىٰ تعظيمهم له، ورأىٰ احترامهم له تعجب ورجع إلىٰ قومه وقال: يا قوم، والله لقد وفدت علىٰ الملوك، فما رأيت رجلاً يعظمه قومه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمداً، إن تكلم أنصتوا، وإن توضأ تبادروا إلىٰ وضوئه[(*)]. وذكر أشياء أعجبته من صنيع الصحابة مع رسول الله ﷺ.

(١) (واحذر) من القول الذي (يزري) يعني يتنقص حق الصحابة؛ لأن هناك مَن يتكلمون في الصحابة وينتقصونهم ويتلمسون لهم المعائب، وهذا موجود في الفرق الضالة من الخوارج والشيعة وغيرهم ممن ينتقصون صحابة رسول الله ﷺ، ويجهلونهم، ويزدرونهم هذا شيء موجود، ومكتوب أيضاً في كتب الضلال، فاحذر أيها المسلم، احذر يا طالب العلم من أن تغتر بهذه الأقوال السمجة الخاسئة التي تنتقص أصحاب الرسول ﷺ، أو تنتقص أحداً منهم.

احذر من أن تؤثر عليك هذه المقالات، أو هذه المؤلفات الضالة، احذرها لئلا يقع في قلبك شيء علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فتهلك، وما أكثر مَن يخوض اليوم في شأن الصحابة، ويتلمسون لهم العيوب، ويأخذون من هذه الكتب الضالة وينشرونه في الصحف وغيرها، أو في الكتب، ويزعمون أن هذا من التحقيق التاريخي ومن البحث، ومن حرية =

(*) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ٢٤٥، و«السيرة النبوية» للذهبي ٢/ ٣٣.

. . . .

= القول، وهذا خطر عظيم على مَن قاله، ومن استمع إليه وقرأه؛ لأن الله يبتلي المؤمنين بأعدائهم، يبتلي الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمنافقين، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١] يبتلي الله الرسلَ ويبتلي المؤمنين ومنهم الصحابة، يبتليهم بأن يجعل لهم أعداء يتنقصونهم ويعيبونهم حكمةً من الله سبحانه وتعالىٰ ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وهذا فيه رفع لقدر الصحابة فإن الذين يتكلمون فيهم يرفع الله الصحابة بسبب ذلك، لأنهم تأتيهم حسنات، وهم أموات، فإن حسنات هؤلاء إن كان لهم حسنات تذهب إلىٰ الصحابة رضي الله عنهم، أو إن لم يكن لهم حسنات فإن الله يرفع الصحابة، ويرفع شأنهم وينزه ذاتهم عن هذه الأقوال، ويُظهر سبحانه فضلَهم، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ لاحظ ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] فيجدون لهم زبائن، يتأثرون بقولهم، ولما ذكر الله المنافقين وشرَّهم، قال: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] في المسلمين من يستمع لأقوال هؤلاء ويتأثر بها، فعلىٰ المسلم أن يحذر من هذه المقالات، وهذه الكتابات، وهذه المؤلفات الضالة؛ لأنها من زخرف القول كما قال الله تعالىٰ، وهي من وحي الشيطان ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] ليغروا الناس بذلك. فلا يقع في قلوبنا شك في صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام مهما قالوا، ومهما حاولوا، هذه عقيدة، وهذا دين، وليس هوىً، إنما هو عقيدة ودين ندين لله به، أن نحترم صحابة الرسول، وأن نعترف =

١٦٢ـ . . . .
بفَضْلِهِـمْ مما جَرَىٰ لـو تَـدْرِي[١]

١٦٣ـ فـإنَّـه عَـنِ اجتهـادٍ قَـدْ صَـدَرْ
فـاسْلَـمْ أَذَلَّ اللهُ مَـنْ لَهُـمْ هَجَـرْ[٢]

= بفضلهم، وأن نثني عليهم، ونترضىٰ عنهم، وأن نقتدي بهم، نعق الناعق أو لم ينعق، ما علينا، وكما يقولون: لا يضر السحابَ نبحُ الكلاب.

(١) يحصل من المنافقين وأعداء الدين من التنقص لأصحاب الرسول ﷺ شيء كثير، ولكن عليك أن تعرض عنه وأن لا تلتفت إليه.

(٢) جرىٰ بين الصحابة رضي الله عنهم ما جرىٰ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، جرىٰ بينهم ما جرىٰ من الفتن والحروب، وهم فعلوا هذا عن اجتهاد، كل منهم يريد أن ينصر الحق، ما فعلوه عن هوىٰ، أو عن بغض لبعضهم، وإنما فعلوه عن اجتهاد، كل منهم يريد نصرة الحق. الذين قاتلوا مع علي من الصحابة أرادوا نصرة الحق. أما الذين قاتلوا مع علي من المدسوسين فلا عبرة بهم، ولكن الذين قاتلوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة أرادوا نصرة الحق، والذين قاتلوا مع معاوية رضي الله عنه أيضاً أرادوا نصرة الحق والقصاص ممن قتل عثمان لأنهم اندسوا في جيش علي رضي الله عنه فهم مجتهدون. كلا الفريقين مجتهد، والمجتهد إما مصيب فيكون له أجران، وإما أن يكون مخطئاً فيكون له أجر واحد والخطأ مغفور، وعليك أن لا تدخل في هذا الشأن، ولا تبحث فيه، فإن دخلت فيه فاعتذر عن الصحابة ولا تخطئ، إياك أن تخطِّئَ أحداً من الصحابة، بل التمس لهم العذر، ولا تخطِّئ أحداً منهم، أو تنتقص أحداً منهم، احذر هذا، أو لا تدخل فيه فإن دخلت فيه وابتليت فعليك أن =

١٦٤ـ وبَعْدَهُمْ فالتابعونَ أَحرَىٰ
بالفضلِ ثُمَّ تابِعُوهُمْ طُرّا[١]

= تعذر الصحابة، وأن تترحم عليهم، وأن تعذرهم فيما جرىٰ بينهم؛ لأنه عن اجتهاد ليس عن هوىٰ، ولا عن عداوة فيما بينهم حاشا وكلا.

(فاسلم) من أن تنتقص أحداً منهم، أو أن تخطِّئ أحداً منهم، فلا تدخل في هذا المجال أبداً، بل ترض عنهم كلهم، واعتبر ما جرىٰ بينهم من باب الاجتهاد الذي يريدون به الحق، فمنهم من أصاب فله أجران، ومنهم من أخطأ فله أجر واحد وهو معذور، ولهم من السوابق والفضائل والكرامات والمكانة عند الله ما يكفر الله به عنهم ما قد حصل من بعضهم من خطأ أو تقصير، فلهم من الفضائل ما يغمر ما حصل من بعضهم؛ لأنهم كما سبق لهم فضائل عظيمة.

(١) وبعد قرن الصحابة في الفضل القرن الذي يليه، وهو قرن التابعين، والتابعون: جمع تابعي، وهو مَن لقي الصحابي وتلقىٰ عنه العلم، ولم يدرك رسول الله ﷺ، وإنما أدرك أصحابه، كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة وغيرهم من سادة التابعين، ومحمد بن سيرين، وغيرهم من أئمة التابعين. وبعد التابعين أتباع التابعين، وهم الذين تلقوا العلم عن التابعين، وهم القرن الثالث من القرون التي أثنىٰ عليها رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[*]، (قرني) هؤلاء هم الصحابة، (ثم الذين يلونهم) هؤلاء هم التابعون، (ثم الذين يلونهم) هؤلاء هم أتباع التابعين، فأتباع التابعين لهم فضل؛ لأنهم تلقوا عن التابعين، وكل ما تقدم الوقت وقرب من النبي ﷺ، كان أفضل، وأصفىٰ في العلم والعمل، وكل ما تأخر الزمان كثر الاختلاط.

(*) سلف تخريجه ص٢٢٩.

فصل
في كرامات الأولياء(١)

(١) كرامات: جمع كرامة، وهي الأمر الخارق للعادة وليس من صنع البشر، وإنما هو من صنع الله عز وجل، والخارق للعادة إن جرىٰ علىٰ يد نبي فهو معجزة، مثل الناقة لصالح، ومثل العصا والحية لموسىٰ، ومثل إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص وتكليم الأموات وهذا لعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، ومثل المعجزة الكبرىٰ الخالدة وهي القرآن الكريم الذي أعطاه الله لمحمد ﷺ، الذي أعجز الجن والإنس ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] هذه هي المعجزة الكبرىٰ، المعجزة الخالدة الباقية لمحمد ﷺ، هذا القرآن.

وإن جرىٰ أمر خارق للعادة علىٰ يد رجل صالح، صالح في قوله وعمله، وهو من أولياء الله المتقين فإنه يكون كرامة من الله سبحانه له، فهو كرامة للولي ومعجزة للنبي؛ لأن هذا الولي ما حصل علىٰ هذه الكرامة إلا بسبب اتباعه للرسول ﷺ.

وإن حصل الأمر الخارق علىٰ يد فاجر أو كذاب فإنه يكون من الأحوال الشيطانية، وليس كرامة، وليس معجزة وإنما هو حال شيطانية، فإنه يمكن لأولياء الشيطان أن يطيروا في الهواء، وأن يمشوا علىٰ الماء بسبب الشياطين، لأن الشياطين تحملهم، وليس ذلك بجهودهم هم، ولكنهم يخضعون للشياطين، والشياطين تخدمهم لأنهم يكفرون بالله عز وجل، ويخضعون للشيطان، فالشيطان يخدمهم، يطير بهم في الهواء ويمشي بهم علىٰ الماء إلىٰ آخره فيظن الجاهل أن هذا كرامة وأنه من أولياء الله.

=

. . . .

= وقد يكون من التدجيل ويكون من السحر. والسحرة عندهم حيل يعملونها للناس، يُخيل للناس أنها حقيقة، وإنما هي في الحقيقة تدجيل وتزييف وحيل خفية وليست كرامة، فهذه ليست معجزة ولا كرامة، وإنما هي إما أحوال شيطانية، كما يجري علىٰ أيدي الضلال والصوفية وغيرهم مما يموهون به علىٰ الناس، فيقول الناس: هذه كرامات، وهؤلاء أولياء. وفي الواقع ليست كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية.

فإذا رأيت شيئاً يخرج عن العادة مع رجل فانظر إلىٰ حاله، فإن كان تقياً صالحاً عبداً لله فهذه كرامة، وإن كان فاجراً فاسقاً فهذه حال شيطانية أو تدجيل وتزييف. ومنه ما يأتي مع الدجال في آخر الزمان. هو من هذا الباب، ومن الأحوال الشيطانية، ومن السحر التخييلي الذي يروج به علىٰ الناس، ولذلك إذا رأىٰ نبي الله المسيح ابن مريم ذاب، وعجز عن المشي؛ لأنه يبطل ما معه من الكيد والمكر فلا يستطيع حينئذٍ أن يعمل شيئاً.

وكذلك حيل الشياطين إذا جاء ذكر الله بطلت، وإذا جاء ذكر الشياطين وذكر الطلاسم والشرك وجدت هذه الأشياء، وهذا من الفارق بين الأحوال الشيطانية والكرامات، أن الكرامات تزيد وتثبت مع ذكر الله، وأما الأحوال الشيطانية والمخاريق الباطلة فإنها تذهب مع ذكر الله عز وجل.

ومن كرامات الأولياء ما قصه الله عن مريم في نشأتها، وأنها اعتزلت عن الناس، تعبد الله عز وجل فكان يأتيها رزقها وهو في مكانها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] ومثل ما وقع لأصحاب الكهف من نومهم الطويل، وبقائهم علىٰ قيد الحياة مدة طويلة، ثلاث مئة =

١٦٥ـ وكُلُّ خَارِقٍ أَتَىٰ عن صَالِحِ
مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا ونَاصِحِ[١]
١٦٦ـ فإنَّها مِن الكَرامَاتِ الَّتِي
بِهَا نَقولُ فَاقْفُ للأدِلَّةِ[٢]

= سنة وتسع سنين، أو أزيد من ذلك والله أعلم، وبقوا علىٰ حالهم وعلىٰ حياتهم، هذا من كرامات الأولياء، ومثل ما حصل علىٰ يد الخضر الذي جاءه موسىٰ عليه السلام مما قصه الله في آخر سورة (الكهف) هذا من الكرامات، ومن العلماء من يقول: إن الخضر نبي فيكون هذا من المعجزات، والله أعلم.

(١) هذا ضابط الكرامة وهو ما يجري علىٰ يد مؤمن تقي، فما يجري علىٰ يديه من الأمور الخارقة يكون كرامة، وليس من لازم الولي أن تجري علىٰ يده الكرامة، لكن قد تقع له كرامة وقد لا تقع، والكرامة إنما تقع إما لحاجة، وإما لحجة، إما لحاجة بالمسلمين، وإما لحجة في الدين، وكثير من الأولياء ليس لهم كرامات، ولا يلزم من عدم الكرامة عدم الولاية أبداً، وإنما هذا شيء يجريه الله سبحانه وتعالىٰ لحكمة بحسب الحاجة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاب مستقل في هذا الموضوع سماه «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» وهو كتاب مطبوع ومفيد جداً في هذا الموضوع، ومزيل للبس، فهو كتاب حافل في هذه المسألة، وله أيضاً رسالة اسمها «قاعدة في الكرامات والمعجزات» ضمن «مجموع الفتاوىٰ».

(٢) إذا جرىٰ خرق العادة علىٰ يد مؤمن تقي متبع للكتاب والسنة فإنها كرامة، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ =

. . . .

= ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ثم بيَّنهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] هؤلاء هم أولياء الله عز وجل، وهذه علامة الكرامة، وإثبات كرامات الأولياء هو مذهب أهل السنة والجماعة بهذا الضابط، ونفي الكرامات الصحيحة مذهب المعتزلة كعادتهم أنهم يصدقون عقولهم فقط، وما لم يتوافق مع عقولهم ينكرونه، هذه قاعدة المعتزلة، ومن ذلك الكرامات، فالمعتزلة أنكروا الكرامات، وقالوا: لو أثبتناها لاشتبه الولي بالنبي. نقول لهم: لا يشتبه النبي بالولي، لا يشتبه هذا بهذا لأن النبوة لها أدلة كثيرة غير المعجزات لا توجد عند الولي، وهناك طائفة من الغلاة والقبوريين والصوفية اتخذوا الكرامات دليلاً علىٰ أن هذا الشخص ينفع ويضر فيعبدونه من دون الله، ويذبحون له، وينذرون له، يتقربون إليه ويطوفون بقبره، ويقولون: هذا ولي وله كرامات، وكرامة الولي لا تقتضي أن يُعبد من دون الله، وإنما تقتضي محبته، والاقتداء به في التقوىٰ والصلاح. أما أن يُعبد من دون الله، فهذا مذهب الكفرة والمشركين، فالحاصل أن مسألة الكرامات الناس فيها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين غلوا في إثباتها، كالصوفية والقبورية، حتىٰ أثبتوها لمن هم ليسوا من أولياء الله، وإنما هم من الفسقة والفجار، وعبدوا من جرت علىٰ يده من دون الله عز وجل.

القسم الثاني: منهم من غلا في نفيها وهم المعتزلة حيث نفوا الكرامات نهائياً، وخالفوا الكتاب والسنة.

القسم الثالث: وهم الوسط، وهم أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بثبوت الكرامات، ولكن لم يغتروا بها، ولم يعتقدوا في أصحابها أنهم ينفعون أو يضرون من دون الله عز وجل.

١٦٧ـ وَمَـنْ نَفـاهَـا مِـن ذَوِي الضّـلالِ
فَقَـدْ أتَـىٰ فِـي ذاكَ بـالمُحـالِ[١]

١٦٨ـ لأنَّهـــا شَهِيـــرَةٌ ولـــم تَـــزَلْ
فِي كُلِّ عَصْرٍ يا شَقَا أهلِ الزَّلَلْ[٢]

---

(١) (ومن نفاها من ذوي الضلال) أي من نفى الكرامات فهو ضال وهم المعتزلة.

(أتىٰ بالمحال) لأنه نفىٰ شيئاً ثابتاً في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وحاول أن يعارض ما في كتاب الله وسنة رسوله، وهذا محال.

(٢) يُرد عليهم بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنها ثابتة في كتاب الله عز وجل.

والأمر الثاني: أنها ثابتة في سنة الرسول ﷺ، وقد جرىٰ لبعض أصحابه كرامات في عهد الرسول ﷺ.

والثالث: أن هذا الذي ينفي يخالف الواقع، فالواقع أن الكرامات موجودة فإنكارها من إنكار الواقع، ومن إنكار المحسوس، وهذا باطل.

❊ ❊ ❊

فصل

في المفاضلة بين البشر والملائكة[١]

١٦٩ـ وعندَنا تفضيلُ أعيانِ البَشَرْ
علىٰ ملاكِ رَبِّنا كما اشتَهَرْ[٢]

١٧٠ـ قالَ ومَنْ قالَ سِوَىٰ هٰذا افترَىٰ
وقد تَعدَّىٰ في المقالِ واجْتَرا[٣]

---

(١) هذه المسألة، وهي المفاضلة بين صالح البشر والملائكة، مسألة فضولية ليس تحتها طائل، وما كان العلماء يذكرونها في كتب العقائد فيما أعلم، ولكن الناظم غفر الله له، ذكرها، وإلا فهي مسألة غير ذات أهمية، والناس فيها علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الملائكة أفضل من صالح البشر.

القول الثاني: أن صالح البشر أفضل من الملائكة. وكل قول له أدلته، وقد ذكر الشارح أدلة كل فريق.

القول الثالث: التوقف، وعدم الدخول في هذا، وهذا هو الحق، وقد ذكر شارح الطحاوية هذه المسألة ورجح القول الأخير، وهو التوقف، وممن توقف فيها أبو حنيفة رحمه الله وغيره من أهل العلم، فلا داعي للدخول في هذه المسألة؛ لأنها لا طائل تحتها، والله أعلم.

(٢) هذا علىٰ القول، بأن صالح البشر يفضلون علىٰ الملائكة، يُقال الأعيان من البشر، مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والرسل أفضل من الملائكة.

(٣) من أنكر تفضيل أعيان البشر علىٰ الملائكة فقد افترىٰ، هكذا يقول الناظم، والمسألة الواقع أن تركها أحسن، الملائكة لهم فضائل، وصالح البشر لهم فضائل، أما التفضيل بينهم فإنه يحتاج إلىٰ دليل، وأيضاً ما الفائدة من وراء هذا، وما هي الثمرة؟

الباب السادس
في ذكر الإمامة ومتعلقاتها[١]

---

(١) الإمامة: المراد بها قيادة المسلمين وتولي شؤونهم، فالإمام هو الأمير الذي تنعقد له الإمامة، ويُطلق الإمام ويراد به القدوة أيضاً، كما في قوله تعالىٰ في إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: قدوة للناس.

وهذا الباب باب مهم يذكره العلماء في كتب العقائد؛ لأنه باب مهم لما حصل فيه من الفرق الضالة من مخالفات، كالخوارج وبعض المعتزلة الذين لهم آراء شاذة، ومثل الشيعة الذين يعتقدون أن الإمامة من نوع خاص عندهم، فحصل في هذا الباب مخالفات لمذهب أهل السنة والجماعة، ولذلك صاروا يذكرونه في كتب العقائد، يبينون حكم نصب الإمام، وشروط الإمام، واختصاصات الإمام، ويذكرون ما يجب علىٰ الرعية مع الإمام، هذه متعلقات الإمامة.

ولما كان الناس بطبيعتهم لا يعيشون إلا مجتمعين، لأن الاجتماع من طبيعة البشر، فلا يصلح أن يعيشوا فرادىٰ وإنما يعيشون مجتمعين.
ولما كان من طبيعة البشر التعديات بعضهم علىٰ بعض والظلم، صار لا بد من إمام يقوم بالأمر، ويُجري أحكام الإمامة علىٰ الناس؛ لما في ذلك من استتباب الأمن ومن المصالح العظيمة، ومن القيام بالجهاد وقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ورد الظالم عن ظلمه، وإنصاف المظلوم، إلىٰ غير ذلك من المصالح العظيمة التي تتعلق بالإمامة. فلذلك صار هذا البحث من مرتكزات العقيدة عند أهل السنة والجماعة؛ لأن الناس لا بد لهم من إمام، لئلا يكون الأمر فوضىٰ، قال الشاعر:

=

١٧١ـ وَلاَ غِنَـــىٰ لأُمَّـــةِ الإِســـلام
فـي كُـلِّ عَصْـرٍ كـانَ عَـنْ إِمَـامِ[١]
١٧٢ـ يَـذُبُّ عنهـا كُـلَّ ذِي جُحُـودِ[٢]
. . . .

= لا يصلح الناس فوضىٰ لا سراةَ لَهم   ولا سراةَ إذا جُهّالُهُم سادوا

لا بد من إمام يرجعون إليه وهو يقوم بمصالحهم. ولهذا يقول ابن المبارك رحمه الله:

لولا الأئمة لم تأمن لنا سُبلٌ   وكـان أضعفنـا نهبـاً لأقـوانـا

لم تأمن لنا سبل يعني يختل الأمن، وكان أضعفنا نهباً لأقوانا: فالقوي يأكل الضعيف. فالله يدرأ بالإمام هذه المحاذير عن المجتمع المسلم. ولهذا اهتم الصحابة رضي الله عنهم بتنصيب الإمام بعد وفاة النبي ﷺ، قبل أن يدفنوا النبي ﷺ اجتمعوا وتشاوروا فيمن يولونه الأمر بعد رسول الله ﷺ، واجتمع رأيهم علىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم إنهم اتجهوا لتجهيز الرسول ﷺ والصلاة عليه ودفنه لما عقدوا الإمامة لواحد منهم، هذا يدل علىٰ أهمية نصب الإمام، وأنه لا يصلح أن يمضي وقت وليس هناك إمام للمسلمين.

(١) (لا غنىٰ في كل عصر) من عصور المسلمين عن إمام يقيمونه بينهم، فإن لم يكن لهم إمام فإن الأمر يكون فوضىٰ، ويحصل الفساد في الأرض.

(٢) بدأ يذكر مصالح نصب الإمام: ومنها أنه يذب عن المسلمين كل كافر جاحد لرب العالمين، وكل متلاعب بالعقيدة، فالإمام يحمي الله به عقيدة المسلمين.

١٧٢ـ . . . .

ويَعتنِـي بـالغَـزْوِ والحُـدودِ[(١)]

١٧٣ـ وَفِعْـلِ معـروفٍ وَتَـرْكِ نُكْـرِ[(٢)]

ونَصْـرِ مَظْلُـومٍ وَقَمْـعِ كُفْـرِ[(٣)]

١٧٤ـ وَأَخْـذِ مـالِ الفَـيْءِ والخَـراجِ[(٤)]

. . . .

---

(١) الغزو: هو الجهاد في سبيل الله، فهو من صلاحيات الإمام، هو الذي يأمر به، ويختار الجند، ويختار القائد، أو يقود الجيش بنفسه، كما كان النبي ﷺ يفعل.

وكذلك الإمام يقيم الحدود، والحدود: جمع حد، وهو عقوبة مقدرة شرعاً علىٰ معصية لتردع من الوقوع في مثلها، مثل حد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد المسكر، وغير ذلك، لا يقيمها إلا الإمام. ولا يقيمها غير الإمام إلا بأمره وإذنه كي لا تكون المسألة فوضىٰ.

(٢) كذلك من صلاحيات الإمام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا سيأتي له باب خاص سيذكره الناظم بعد هذا بقليل، فالإمام هو الذي يتولىٰ هذا، أو يقيم من ينوب عنه، فهو من صلاحيات الإمام أو نائب الإمام.

(٣) كذلك من صلاحيات الإمام قمع الظالم عن ظلمه ونصرة المظلوم، فلو لم يكن هناك إمام لأكل القوي الضعيف.

(٤) كذلك من صلاحيات الإمام أنه يتولىٰ المال العام للرعية، بأن يجمعه وينفقه في مصارفه، والفيء: مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع، سمي مال =

١٧٤- . . . .

وَنَحْـوِهِ والصَّـرْفِ فـي مِنهـاجِ(١)

= بيت المال فيئاً لأن الله خلق المال في الأصل للمؤمنين، وإنما يكون بيد الكفار تبعاً، وإنما هو في الأصل للمؤمنين، فإذا قاتل المسلمون الكفار وغنموا أموالهم فاءت إلىٰ المسلمين، يعني رجعت إليهم، رجعت إلىٰ الأصل، والفيء المراد به موارد بيت المال من النجزية التي تؤخذ من أهل الذمة، والخراج الذي يؤخذ علىٰ متاجرة الكفار في بلاد المسلمين، وما تركه الكفار من أموالهم فزعاً من المسلمين وخوفاً من المسلمين بدون قتال، كل هذه من موارد الفيء، ومن موارد بيت المال.

ومن موارد بيت مال المسلمين الخراج وما يؤخذ علىٰ أموال الكفار إذا تاجروا في بلادنا، وكذلك من الخراج التأجير الذي يكون علىٰ الأراضي والمزارع التي تتبع بيت المال.

(١) فالإمام يتولىٰ هذه الموارد، يجمعها ثم يصرفها في مصالح المسلمين، يصرفها في الجهاد وتجهيز الغزاة في سبيل الله، يصرفها لمن يقومون بأعمال المسلمين، ويتفرغون لأعمال المسلمين، كالقضاء والإفتاء والإمامة والتدريس، لأنهم يتفرغون لمصالح المسلمين، ويتركون التكسب، ويتركون البيع والشراء، يُجرىٰ لهم من بيت المال، وكذلك رواتب المؤذنين وأئمة المساجد كلها تجري من بيت المال؛ لأن هذا من مصالح المسلمين، ولأن الناس لا يقومون بها إذا لم يعطوا شيئاً يغنيهم فيما ينفقونه علىٰ أنفسهم وعلىٰ أولادهم، فيؤمَّن لهم من بيت المال ما يكفيهم. وكذلك الموظفون الذين يقومون في مصالح الدولة رواتبهم تكون من بيت المال؛ لأن هذا من الصالح العام.

١٧٥ـ وَنَصْبِـــهِ بِـــالنَّـــصِّ والإِجْمَـــاعِ
وَقَهْـــرِهِ فَحُـــلْ عَـــنِ الخِـــداعِ[(١)]

---

(١) انتهىٰ من بيان صلاحيات الإمام، وانتقل إلىٰ ما تنعقد به الإمامة وهي: تنعقد بأحد ثلاثة أشياء:

الأمر الأول: اختيار أهل الحل والعقد من المسلمين كالعلماء وأمراء الأجناد ومن لهم رأي، يختارون من يقوم بالإمامة، ويبايعونه، وينوبون في ذلك عن بقية المسلمين.

فما يُتبع الآن من الانتخابات هذا من التضليل، لأنها ليست بانتخابات صحيحة بل هي شراء وبيع، وما يحصل بسببها من القتل وما يحصل من الفتن، كل هذا يخالف منهج الإسلام. منهج الإسلام أنه إذا بايع أهل الحل والعقد فإنهم يكفون عن بقية الرعية، وتلزم الطاعة جميع المسلمين، ويكونون داخلين في بيعة أهل الحل والعقد.

الأمر الثاني مما تنعقد به الإمامة: عهد الإمام إلىٰ أحد من بعده، فإذا عهد الإمام إلىٰ أحد يتولىٰ من بعده فإنه يلزم المسلمين طاعته، كما عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلىٰ عمر بن الخطاب ولم يعترض أحد؛ لأنهم يعلمون أن هذا شيء واجب عليهم. فتحصل الإمامة بولاية العهد، وهو هنا سماها (النص) يعني ينص الإمام علىٰ مَن يتولىٰ الأمر من بعده، فيلزم الرعية الطاعة؛ لأن الإمام نائب عنهم وينظر في مصالحهم، فإذا اختار لهم مَن يقوم من بعده لزم طاعته؛ لأنه لم يعترض الصحابة علىٰ اختيار أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بل سمعوا وأطاعوا.

الأمر الثالث مما تنعقد به الإمامة: إذا تغلب الإمام بسيفه وخضع الناس له، فإنه تلزم طاعته لما في مخالفته من المفاسد. =

١٧٦ـ وَشَـرْطُـهُ الإسـلامُ والحُـرِّيَّـةْ[١]

عَـدالَـةٌ سَمْـعٌ مـع الـدِّرِيَّـةْ[٢]

= فهذه طرق انعقاد الإمامة: أولاً الاختيار، ثانياً العهد، ثالثاً التغلب بالسيف علىٰ الناس حتىٰ يخضعوا له.

(ونصبه بالنص والإجماع) بالنص: الذي هو العهد كما عهد أبو بكر إلىٰ عمر رضي الله عنه، (الإجماع) يعني الاختيار، إذا أجمع أهل الحل والعقد علىٰ اختيار واحد منهم وجبت طاعته علىٰ الجميع، كما أن أهل الحل والعقد اختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فأطاعه الناس كلهم.

(وقهره فحل عن الخداع) إذا قهر الناس بسيفه وهو مسلم فإنهم يخضعون له لأجل جمع الكلمة، كما حصل من عبد الملك بن مروان وخضوع الناس له، وصار في ذلك الخير الكثير.

(١) انتهىٰ من طرق انعقاد الإمامة، وانتقل إلىٰ بيان الصفات التي يجب أن تتوافر في الإمام عند الاختيار.

(وشرطه الإسلام) فلا تصح ولاية كافر علىٰ المسلمين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] ولأن الكافر لا يُنفذ أحكام الإسلام، فلا يُبايع لكافر.

(والحرية) الشرط الثاني: الحرية أن يكون الإمام حُرّاً، أما المملوك فلا يصلح للإمامة لأنه محبوس علىٰ مصالح سيده ولا يتفرغ للقيام بالإمامة.

(٢) الثالث: العدالة، فلا يولي الفاسق هذا عند الاختيار، أما إذا نُصب وانتهىٰ وحصل منه فسق بعد هذا فهذا يأتي حكمه، لكن عند الاختيار لا يختارون فاسقاً وإنما يختارون العدل وهو المستقيم علىٰ طاعة الله عز وجل، الذي لم يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب. =

١٧٧ـ وأَنْ يكـونَ مِـن قـريشٍ عـالِمـا[1]
مُكَلَّفــاً ذا خِبْــرَةٍ وحَــاكِمــا[2]

= (سمع) الرابع: يشترط في ولي الأمر أن يكون سميعاً، هذا عند الاختيار لا يختارون أصم لأنه لا يسمع مشاكل الناس.

الخامس: أن يعني يكون عنده دراية بأحكام الشرع من أجل أن ينفذها.

(١) السادس: أن يكون من قريش، إذا كان فيه صلاحية وفيه مزية أنه من قريش فإنه يُقدم علىٰ غيره، لقوله ﷺ: «قَدِّمُوا قريشاً ولا تَقَدَّموها»[*] وقال ﷺ: «الأئمة من قريش»[**]، هذا عند الاختيار، أما القرشي الذي ليس فيه صلاحية فلا يصلح، والقرشي يُطلق علىٰ كل من كان من نسل فهر بن مالك بن كنانة، فمن كان فهرياً فهو قرشي، ومن كان فوق فهر فليس من قريش.

(٢) السابع: أن يكون مكلفاً فإن كان صغيراً لم يبلغ سن التكليف لم يصلح اختياره؛ لأنه هو بحاجة إلىٰ من يتولىٰ عليه فلا يكون ولياً علىٰ المسلمين.

الثامن: أن يكون (ذا خبرة) أي ذا معرفة بأمور السياسة وأمور الرعية.

التاسع: أن يكون حاكماً يعني يصلح للحكم بين الناس عنده علم بأحكام الشريعة. هذه صفات من يُختار للإمامة، هذا عند الاختيار إذا توفرت، لكن يختار في كل زمان: الأمثل فالأمثل، وليس بلازم أن تتوفر =

(*) أخرجه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» ٣/ ١٥٦ بعد الحديث (١٤٩٠)، وقد أخرجه أيضاً في «السنن» ٣/ ١٢١ من حديث أبي حثمة رضي الله عنه.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٣/ ٢١ (١٩٧٧٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

١٧٨ـ وَكُـنْ مطيعـاً أمـرَهُ فيمـا أَمَـرْ
مـا لَـمْ يَكُـنْ بِمُنْكَـرٍ فَيُحْتَـذَرْ(١)

= فيه كل هذه الصفات لكن يُختار مَن لديه صفات أكثر من غيره منها ولو لم يستكملها.

(١) لمَّا انتهىٰ من أحكام الإمام وما يلزم في حقه، ومن يصح اختياره بتوفر الصفات فيه، انتقل إلىٰ ما يجب علىٰ الرعية نحو الإمام. ذكر الله ـ جل وعلا ـ في آيتين ما يجب علىٰ الإمام وما يجب علىٰ الرعية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] هذه في الأئمة، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩] هذه في الرعية. وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة جيدة اسمها «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» وهي مشهورة وصدرها بهاتين الآيتين.

فقوله: (وكن مطيعاً أمره فيما أمر) أي يلزم علىٰ الرعية طاعة الإمام فيما أمر، لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩] ولما وعظ النبي ﷺ الصحابة موعظة عظيمة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً»(*) فأمرهم =

(*) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ٢/ ١٠٩. الحديث الثامن والعشرون.

. . . .

= بالسمع والطاعة لولي الأمر ولو لم يكن له نسب رفيع، بأن كان عبداً إذا انعقدت بيعته وولايته فإنها تلزم طاعته لقول النبي ﷺ: «أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة» وقال عليه الصلاة والسلام: «من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصىٰ الأمير فقد عصاني»(*) إلا إذا أمر بمعصية فإنه لا يُطاع في تلك المعصية لكن لا تنخلع بيعته، بل لا يُطاع في تلك المعصية وتبقىٰ طاعته فيما عداها. قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(**) فلو قال لك: لا تُصل في المسجد فلا تطعه، لأن هذه معصية، فإذا أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقال ﷺ: «إنما الطاعة بالمعروف»(***).

❊ ❊ ❊

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/ ٤٠٥ (٧٤٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٣٤/ ٢٥١ (٢٠٦٥٣) من حديث عمران بن الحصين والحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنهما.

(***) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠) (٤٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصل

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]

---

(١) عرفنا أن حقَّ الراعي المسلم علىٰ الرعية السمع والطاعة إلا في المعصية، حتىٰ ولو ظلم ولو جار ولو فسق ما لم يصل إلىٰ حدّ الكفر، فلا يجوز الخروج عليه، فإذا خرج من الإسلام وارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام فإنه لا تصح إمامته، أما ما دام أنه باقٍ علىٰ الإسلام ولو كان مرتكباً لمعاصٍ تقتضي الفسق، كأن يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك ودون الكفر فإنه تجب طاعته، لما في طاعته من المصالح، ولما في الخروج عليه من المضار التي هي أضعاف أضعاف الصبر عليه مع معصيته، وما خرجت رعية علىٰ وليِّ أمرها إلا كان عاقبة ذلك الشر، وهذا مُجرب في التاريخ.

وهذا خلافاً للخوارج الذين يرون الخروج علىٰ الإمام إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الكفر، يرون الخروج عليه ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ليس أمراً بالمعروف، ولا نهياً عن المنكر، بل هذا هو المنكر ذاته؛ لأن نقض البيعة والثورة علىٰ ولي الأمر يلزم عليها من المفاسد، وسفك الدماء، واختلال الأمن، وتسلط الأعداء أشد من ما يفعله الإمام من المنكر الذي هو دون الشرك.

فلا شك أن ارتكاب أخفّ المفسدتين لدفع أعلاهما واجب، وهذا باب معروف في الإسلام، فلا شك أن فعله معصية ومفسدة، لكن الخروج عليه أشد من تلك المعصية. وفسقه عليه إثمه، أما إذا خرجوا عليه صار النقص علىٰ المسلمين، أما معاصيه هو فنقصها عليه هو. =

. . . .

= وهذا باب عظيم ينبغي معرفته؛ لأن مذهب الخوارج هو الخروج علىٰ الأئمة. فقد خرجوا علىٰ عثمان وقتلوه. وخرجوا علىٰ علي بن أبي طالب وقتلوه، وهم في كل ذلك يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وماذا حصل بخروجهم علىٰ عثمان من سفك الدماء ومن الفتن ومن الشرور ماذا حصل علىٰ الأمة من الويلات؟ كله بسبب هذه التصرفات الهوجاء.

والآن هناك نابتة علىٰ مذهب الخوارج من شباب المسلمين مع الأسف يتبنون هذا المذهب، ويرون أن الإمام إذا حصل منه مخالفة فليس له بيعة وليس له إمامة ولم يعلموا أنه لما ذكر النبي ﷺ الفتن في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال حذيفة: ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قال: وإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: «تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يأتيك الموت وأنت علىٰ ذلك»(*) فإذا كانت المخالفة من ولي الأمر لا تقتضي الكفر فلا يجوز الخروج عليه ونقض البيعة؛ لأن هذا مذهب الخوارج أهل الضلال ومن شاركهم من المعتزلة، ويظنون أن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يدرون أن هذا هو المنكر، بل هذا أشد المنكر؛ لأن الخروج علىٰ ولي الأمر وتشتيت المسلمين والإخلال بالأمن هذا هو المنكر العظيم. =

(*) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) (٥١)، وابن ماجه (٣٩٧٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

. . . .

= وليس بلازم أن يكون الخروج علىٰ ولاة الأمور أن يكون بالسيف بل الكلام الذي يتكلمون به في ولاة الأمور ويسبونهم فيه، هذا خروج عليهم؛ لأن هذا يسبب بالنهاية الثورة ويسبب شق عصا الطاعة. والشر أوله كلام. فلا تجوز هذه الأمور؛ لأنها تسبب شروراً علىٰ المسلمين، فيجب الفقه في هذا الأمر والتفقه في هذا الباب؛ لأنه باب عظيم. فالمسلمون الآن في حاجة إلىٰ دراسة أحكام مسألة الإمامة وأحكام الإمامة، وما يلزم من طاعة ولاة الأمر، وما يترتب علىٰ مخالفتهم والخروج عليهم من الشرور ليعلموا أنها لا تجوز هذه الأمور ولا يقرها الإسلام ولا يقرها دين ولا عقل.

لا يجوز الخروج علىٰ الإمام، ولو ظلم، ولو جار، ولهذا قال ﷺ: «اسمع وأطع ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك»(*) ولما سُئل عن الولاة الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»(**). ولما ذكر ما يحصل من الأئمة من الأشياء التي ينكرونها عليهم سألوه ماذا يعملون معهم؟ قال: «اسمعوا وأطيعوا ما لم ترو كفراً بواحاً عندكم من الله عليه برهان»(***) فما دام الأمر دون الكفر فلا بد من السمع والطاعة.

والتكفير اليوم سهل علىٰ ألسنة كثير من الجهال، وهذا فيه خطر علىٰ الفرد والجماعة. =

(*) أخرجه بنحوه مسلم (١٨٤٧) (٥٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(**) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(***) انظر حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في البخاري (٧٠٥٥) و(٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) (٤١) قبل الحديث (١٨٤١).

١٧٩ـ واعْلَـمْ بـأنَّ الأمـرَ والنَّهْـي معـا
فَرْضَا كِفايةٍ علىٰ مَن قَدْ وَعَىٰ[(١)]

= فالأمر مهم جداً خصوصاً في هذا الزمان الذي حصل فيه ما حصل من ظهور مذهب الخوارج، وحصل فيه ما حصل من الكلام السيىء في حق ولاة أمور المسلمين وذكر معايبهم في المجالس وعلىٰ المنابر. مما يؤول في النهاية إلىٰ القتال؛ لأن الشر أوله كلام ثم يتطور إلىٰ أن يكون سلاحاً.

فيجب علىٰ طلبة العلم وعلىٰ أهل الخير أن يبينوا هذا الأمر، وأن ينشروه في الناس وأن يُحذروا من مبادرات هؤلاء الجهلة أو الذين لهم أغراض يريدون أن يشقوا عصا الطاعة، وأن يفرقوا كلمة المسلمين، إما لأنهم جهال، وإما لأن لهم غرضاً سيئاً فيجب الحذر منهم.

(١) ذكر فيما سبق أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صلاحيات الإمام أو من ينيبه الإمام، أعني الإنكار باليد، أما الإنكار باللسان والإنكار بالقلب فهذا حسب استطاعة العبد. لكن الإنكار باليد وإزالة المنكر باليد هذا إنما هو من صلاحيات الإمام أو مَن يكله الإمام إليهم من رجال الحسبة.

والمعروف المراد به كل طاعة لله عز وجل، فكل ما أمر الله به فإنه معروف، سُمي معروفاً لأن الفطر السليمة تعرفه ولا تنكره، والمنكر هو كل ما نهي الله عنه سُمي منكراً لأن الفطر السليمة تستنكره. هذا هو المعروف والمنكر. وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك.

(واعلم بأن الأمر والنهي معاً) لا يكفي أمر بالمعروف فقط، أو نهي عن المنكر فقط. لا بد من اجتماع الاثنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله ذكرهما مقترنين في القرآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ=

. . . .

= تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فهما مقترنان، لا يكفي الأمر بالمعروف فقط، ولا يكفي النهي عن المنكر فقط، بل لا بد منهما، ولهذا قال الناظم: (معا) أي: مقترنان.

قوله: (فرضا كفاية علىٰ من قد وعىٰ) حكمهما أنهما فرض كفاية، إذا قام بهما مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن تركه الكل أثموا، والله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فإذا قام به مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد فإن الجميع يأثمون ويستحقون العقاب من الله سبحانه وتعالىٰ، فلا بد من وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله: (علىٰ من قد وعىٰ) أي علىٰ من عنده معرفة بالمعروف ومعرفة بالمنكر، فلا بد أن يكون من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر صاحب علم وبصيرة يعرف ما هي الأشياء التي يؤمر بها والأشياء التي يُنهىٰ عنها بدليل من الكتاب والسنة. أما إذا كان جاهلاً لا علم عنده فإنه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد يأمر بمنكر وينهىٰ عن معروف، وقد يُحلل حراماً ويُحرم حلالاً بسبب جهله، فلا بد أن يكون عنده فقه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(علىٰ من قد وعىٰ) يعني عرف ما هو المعروف وما هو المنكر، وكان عنده علم بذلك.

١٨٠ـ وإنْ يكُنْ ذَا واحِداً تعَيَّنَا
عَلَيهِ لٰكِنْ شَرْطُه أَنْ يَأْمَنَا(١)

١٨١ـ فاصْبِرْ وَزِلْ باليدِ واللسانِ
لِمُنْكَرٍ واحْذَرْ مِن النُّقصانِ(٢)

---

(١) إذا لم يكن هناك من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن عنده أهلية فإنه يكون فرض عين عليه، فإذا قيل لك: متىٰ يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين؟ فتقول: إذا لم يقم به من يكفي، وكان عند الإنسان أهلية علمية بذلك، فإنه يكون فرض عين عليه.

وقوله: (لكن شرطه أن يأمنا) أي يأمن أن لا يترتب عليه ضرر إما بقتل أو بضرب أو بغير ذلك، فإذا كان يترتب عليه ضرر فإنه لا يلزمه ذلك إلا من باب الصبر والاحتساب. إذا أراد أن يقوم به ولو جرىٰ عليه ما يجري محتسباً، أما أنه يجب عليه فلا.

(٢) اصبر علىٰ ما ينالك في سبيل الأمر بالمعروف والنهىٰ عن المنكر؛ لأن الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر لا بد أن يلاقي من الناس أذىٰ فعليه أن يصبر ويحتسب الأجر؛ لأن الناس لن يمدحوه ولا يرونه علىٰ الصواب. يريد الناس منه أن يسير علىٰ ما يهوون وإلا فإنهم سيلومونه ويتكلمون فيه، فيجب أن يصبر علىٰ ما يلقىٰ، قال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ١-٣] فقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي علىٰ ما ينالهم من جراء ذلك لأن الذي يأمر وينهىٰ لا بد أن يصيبه شيء مما يكره، فعليه =

. . . .

= أن يصبر، قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] الذي ليس عنده صبر لا يستطيع أن يستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(وزل باليد واللسان) مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينها النبي ﷺ بقوله: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(*) فيجب إنكار المنكر علىٰ كل أحد، ولا يُعذر أحد فيه لكنه بحسب استطاعته. إن كان له سلطة فإنه يزيل المنكر بيده، وإذا لم يكن له سلطة وعنده القدرة علىٰ البيان للناس والموعظة والدعوة فإنه ينكر بلسانه، بأن يعظهم ويذكرهم ويخوفهم بالله ويبين لهم أن هذا أمر لا يجوز، وإذا لم يكن عنده سلطة ولا عنده علم ومعرفة، أو كان عنده علم ومعرفة لكن يترتب عليه ضرر لو أنكر أو تكلم فإنه لا يجب عليه بل يُنكره بقلبه.

وقوله: (واحذر من النقصان) احذر أن تنتقل من مرتبة إلىٰ المرتبة التي بعدها وأنت عندك قدرة علىٰ المرتبة التي انتقلت منها، إذا كان عندك قدرة باليد لا يكفي اللسان. إن كان عندك قدرة باللسان وليس عندك قدرة باليد يجب عليك باللسان، إذا لم يكن عندك هذا ولا هذا تنكره بقلبك، وهذا لا يعجز عنه أحد. وإذا أنكرته بقلبك اعتزلت أهله وابتعدت عنهم، أما أن تبقىٰ مع العصاة ومع الأشرار وتقول: أنا أنكر بقلبي فهذا لا يجوز لك لأنه لو كان عندك إنكار بقلبك ما بقيت معهم.

(*) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١٨٢ـ وَمَنْ نَهَىٰ عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ
فَقَدْ أَتَىٰ مِمَّا بِهِ يُقْضَىٰ العَجَبْ[١]

١٨٣ـ فَلَوْ بَدَا بِنَفْسِهِ فَذادَهَا
عَنْ غَيِّهَا لكَانَ قَدْ أَفادَهَا[٢]

---

(١) هذا مما يجب علىٰ الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر:

أولاً: عرفنا أنه يجب عليه أن يكون عالماً بما يأمر به وما ينهىٰ عنه.

ثانياً: أن يكون فاعلاً لما يأمر به، متجنباً لما ينهىٰ عنه. قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣] وجاء في الحديث أن الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ولا يعمل أنه من أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة، يُلقىٰ في النار حتىٰ تندلق أقتابه، يعني تخرج أمعاؤه، ويجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا فلان ألم تكن تنهانا عن المنكر وتأمرنا بالمعروف؟ فيقول: بلىٰ ولكنني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه(*).

فلا يليق بمسلم أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر وهو يخالف ذلك، بل أول ما يبدأ بنفسه.

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلَهُ عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأ بنفسِكَ فانْهَها عن غَيِّها فإذا انتهت عنه فأنتَ حكيمُ

(٢) نعم يبدأ بنفسه أولاً ويذودها عن الشر والمنكر ويكون قد أفاد نفسه وأنقذها من عذاب الله. =

(*) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

. . . .

= وليس من شرط الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر أن لا يقع منه مخالفة، وأن يكون كاملاً ولا مخالفة عنده. إذا كان عنده مخالفة فإنه يتوب إلىٰ الله، ولكن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول: أنا عندي كذا وكذا فيجمع بين جريمتين: أولاً: الوقوع في المعصية، وثانياً: تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعليه أن يتوب مما عنده من النقص، ويقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإلا لو لم يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلا إنسان كامل لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه لا يوجد أحد كامل، لا يوجد عنده نقص.

❋ ❋ ❋



الخاتمة

وفيها فوائد ونسأل الله حسن الخاتمة(١)

١٨٤ـ مَـدارِكُ العلـومِ فِـي العِيَـانِ
مَحْصُـورَةٌ فِـي الحَـدِّ والبُـرهـانِ

١٨٥ـ وقـالَ قـومٌ عنـدَ أصحـابِ النَّظَـرْ
حِـسٌّ وإخبـارٌ صحيـحٌ والنَّظَـرْ

١٨٦ـ فـالحـدُّ وَهْـوُ أصـلُ كُـلِّ عِلْـم
وَصْـفٌ مُحِيـطٌ كَـاشِـفٌ فـافْتَهِـمِ

---

(١) الخاتمة: يعني خاتمة الكتاب وخاتمة النظم، وأما (نسأل الله حسن الخاتمة) فيراد بها خاتمة العمر؛ لأن الشيء بالشيء يُذكر كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] لما أمر بأخذ الزاد في سفر الحج، أمر بأخذ الزاد لسفر الآخرة وهو التقوىٰ، ولما ذكر اللباس في سورة الأعراف قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ذكر اللباس الحسي، ثم ذكر اللباس المعنوي وهو التقوىٰ، والشيء بالشيء يُذكر، كذلك الناظم لما ذكر خاتمة النظم، تذكر خاتمة العمر، ودعا الله سبحانه بحسن الخاتمة؛ لأن الأعمال بالخواتيم، فمن حسنت خاتمته ومات علىٰ الإسلام سعد في الدنيا والآخرة، ومن ساءت خاتمته ـ والعياذ بالله ـ ومات علىٰ الكفر خسر الدنيا والآخرة، فالأعمال بالخواتيم، وأما قوله: (وفيها فوائد) هذا محل نظر؛ لأنه ذكر فيها قواعد المنطق وعلم الكلام. ذكر شيئاً لا مصلحة لنا فيها، ولا حاجة بنا إليها ولله الحمد.

١٨٧ـ وَشَرْطُه طَرْدٌ وعَكْسٌ وَهوُ إنْ
أَنبَا عنِ الذواتِ فالتَّامّ اسْتَبِنْ

١٨٨ـ وإنْ يَكُنْ بالجنسِ ثُمَّ الخَاصَّةْ
فَذاكَ رسمٌ فافْهَمِ المُحَاصَّةْ

١٨٩ـ وكُلُّ معلومٍ بِحِسٍّ وحِجَا
فَنُكْرُهُ جَهْلٌ قَبِيحٌ في الهِجَا

١٩٠ـ فإنْ يَقُمْ بنفسِهِ فَجَوْهَرُ
أَوْ لا فذاك عَرَضٌ مُفْتَقِرُ

١٩١ـ والجسمُ ما أُلِّفَ مِن جُزْءَيْنِ
فصاعداً فاتْرُكْ حديثَ المَيْنِ

١٩٢ـ ومستحيلُ الذاتِ غيرُ مُمْكِنِ
وضِدُّه ما جازَ فاسْمَعْ زَكَنِي

١٩٣ـ والضِّدُّ والخلافُ والنقيضُ
والمثلُ والغيرانِ مستفيضُ

١٩٤ـ وكلُّ هذا علمُه مُحَقَّقُ
فَلَمْ نُطِلْ بهِ ولَمْ نُنَمِّقُ[1]

---

(١) كل هذا في علم المنطق، وعلم الكلام ولا حاجة بنا إليه، ولكنه لما كان رحمه الله، قد وقع في علم الكلام وعلم المنطق لم يتخلص منه فجاء بهذه الأبيات في آخر النظم.

١٩٥ـ والحمدُ للهِ علىٰ التوفيقِ
لِمَنْهَجِ الحَقِّ علىٰ التَّحقِيقِ(١)

---

(١) أي الحمد لله علىٰ ما مَنَّ به من معرفة العقيدة الصحيحة التي تضمنتها هذه المنظومة القيمة المفيدة وهي علىٰ منهج السلف، وإن كان قد وقع فيها بعض الأشياء مثل هذه الأبيات، ولكن هي في جملتها هي علىٰ منهج السلف، وقد قرأناها والحمد لله، ونسأل الله أن نكون قد استفدنا منها، والحمد يكون علىٰ النعم، وأجل النعم نعمة الإسلام، ونعمة العلم النافع، فالله جل وعلا يُحمد علىٰ نعمه الظاهرة والباطنة، وأجلها نعمة الإسلام، ونعمة العلم النافع.

وقوله: (لمنهج الحق) وهو مذهب أهل السنة والجماعة المأخوذ من الكتاب والسنة في باب الاعتقاد، فمن وفقه الله لمعرفة ذلك والعمل به فقد تمت عليه النعمة، ووجب عليه الشكر، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فهذا هو أجل النعم، وليس النعمة في المال، أو في المآكل والمشارب فقط، نعم هذه نعمة من الله، ولكن أجل النعم هو الإسلام وعقيدة التوحيد التي بها النجاة في الدار الآخرة، هذه هي أجل النعم، فمن وفقه الله لمعرفتها، والعمل بها والتمسك بها، فقد حصل له أكمل النعم، فيجب عليه أعظم الشكر؛ لأن النعم إذا شُكرت استقرت، وزادت ونمت، وإذا كُفِرت زالت وفرت، فالحمد هو قيد النعم، وهو ينميها ويزيدها، ثم أيضاً ليس المقصود بالعلم سواءً في العقيدة أو في الأحكام الشرعية، ليس المقصود به المباهاة أو التفاخر، وإنما المقصود به العمل الصالح والاستقامة، ولا يغتر الإنسان بعلمه فإن ما يجهله أكثر مما يعرفه،=

١٩٦ـ مُسَلِّماً لِمُقْتَضىٰ الحَدِيثِ
والنَّصِّ فِي القَدِيمِ والحَدِيثِ(١)

= ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وعلىٰ طالب العلم أن لا يقف عن حد بل يستمر في طلب العلم إلىٰ أن يموت؛ لأنه بحاجة إلىٰ ذلك، ولا يقول: أنا اكتفيت، أو أنا بلغت إلىٰ حد يكفيني، فإن هذا غرور وجهل، ولهذا يقول العلماء: من قال: أنا عالم فهو جاهل، لأن العالم الحقيقي يرىٰ أنه مقصر، وأن عنده قصور في علمه، وأنه يحتاج إلىٰ زيادة، والله جل وعلا قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

(١) (مسلماً) يقول: أنا أسلم لمقتضىٰ النص وهو القرآن والحديث، وهذه هي مصادر العقيدة الصحيحة أن تسلم لما جاء في القرآن، وما جاء في السنة من الأدلة علىٰ العقيدة دون أن أتدخل في تأويلها، أو تحريفها، أو أن أعارضها بقول فلان أو علان، علامة الإيمان التسليم لما جاء عن الله وما جاء عن رسوله ﷺ في جميع أمور الدين، ولا سيما في أصل الدين وهو العقيدة، أما الذي يعترض علىٰ النصوص، أو يؤولها علىٰ حسب مراده هو، أو يحرفها عن مواضعها، فهذا لم ينتفع بكلام الله ولا بكلام رسوله، وإنما اعتمد علىٰ فهمه أو علىٰ من يقلده، ويريد أن يخضع النصوص لما يعتقده هو، أو ما استقر بفكره هو، أو ما قاله فلان أو علان، أما أهل الحق، وأهل الاستقامة فهم علىٰ العكس، يردون أقوالَهم وأقوالَ غيرهم إلىٰ النصوص، فما وافقها أخذوا به، وما خالفها ردوه، وما لم يتبين لهم توقفوا فيه، ولا يتدخلون فيها بأفهامهم متأولين أو محرفين، وإنما ما استبان لهم عملوا به، وهو الحمد لله كثير وبَيِّن، =

١٩٧ـ لا أَعْتَنِي بغيرِ قولِ السَّلَفِ
مُوافِقاً أئِمَّتِي وسَلَفِي(١)

= وما أشكل عليهم توقفوا فيه إلىٰ أن يتبين ولا يخوضون في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ بغير علم، وبغير هدىٰ.

وقوله: (لمقتضىٰ الحديث والنص في القديم والحديث) كان الأصل أن يقول: لمقتضىٰ النص والحديث، ولكن النظم اضطره إلىٰ أن يقدم الحديث علىٰ النص وهو القرآن، من أجل ضرورة الشعر وإلا فلا شك أن النص وهو القرآن مقدم علىٰ الحديث.

(١) لا يعتمد علىٰ غير قول السلف. والمراد بالسلف الصحابة والتابعون، ومَن تبعهم بإحسان من القرون المفضلة، والأئمة المهديين يمشي علىٰ ما مشوا عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فإذا كنت تريد هذا الوعد من الله ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فاتبع السلف، والنبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(*)، فإذا أردت النجاة وأردت السعادة وأردت السلامة من الضلال فعليك بمنهج السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن اقتدىٰ بهم من الأئمة المهدين كالأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من الأئمة كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم من أئمة السلف هؤلاء هم القدوة؛ لأنهم سائرون علىٰ الحق، وعلىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، =

(*) سلف تخريجه ص٢٢٩.

١٩٨ـ ولستُ في قَوْلي بِذا مُقَلِّدا
إلا النَّبِيَّ المُصْطَفَىٰ مُبْدِي الهُدَىٰ(١)

= فعليك باللحاق بهم، والتمسك بآثارهم والسير علىٰ منهجهم، وإياك والمناهج المحدثة، والمناهج الضالة التي حدثت بعد القرون المفضلة، مثل عقيدة الإرجاء، وعقيدة القدرية، وعقيدة الخوارج، وعقيدة المعتزلة، وعقيدة الشيعة وغير ذلك من الفرق الضالة، عليك بتجنب هذه المناهج، ومن سار علىٰ نهجها في وقتنا الحاضر، فعليك بتجنبها والابتعاد عنها، والسير علىٰ ما كان عليه هؤلاء الأئمة من سلف الأمة وأئمتها، ولا تلتفت إلىٰ غيره إلا بالرد والإبطال والرفض والابتعاد عنه، مهما زينوه، ومهما زخرفوه بالحجج المزورة فإنه باطل، لا قيمة له.

وقوله: (موافقاً أئمتي) أي أئمة الهدىٰ، ومن سلف، السلف هم السابقون الذين سلفوا علىٰ الحق، هؤلاء هم السلف، من صدر هذه الأمة، سموا بالسلف لسبقهم في الزمان وسبقهم في العلم، والاعتقاد الصحيح.

(١) يقول: أنا علىٰ منهج السلف، ولكن في أمر العقيدة أنا آخذ بمقتضىٰ الكتاب والسنة؛ لأنهم هم رحمهم الله يأخذون بمقتضىٰ الكتاب والسنة، فالعقيدة ليست محلاً للتقليد، وإنما هي اتباع واقتداء بخلاف الفقه ومسائل الفقه والأحكام العملية، فقد يكون فيها تقليد كما يأتي، أما العقيدة فلا يدخل فيها التقليد، لأنها توقيفية وليست محلاً للاجتهاد، وإنما هي توقيفية علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، وليس هناك أحد يجب الاقتداء به إلا رسول الله ﷺ، وهؤلاء السلف كلهم مقتدون برسول الله ﷺ فهو قدوتهم وقدوتنا، قال الله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. =

١٩٩ـ صَلَّىٰ عليه اللهُ ما قَطْرٌ نَزَلْ
وَمَا تَعَانَىٰ ذِكْرُه مِنَ الأزَلْ(١)

= ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال: إن أحداً يجب تقليده أو الأخذ بقوله» يجب وجوباً غير رسول الله ﷺ «فقد ارتد عن الإسلام، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل» لأنه ليس هناك أحد يجب اتباعه إلا رسول الله ﷺ، ولهذا كل الأئمة يوصون باتباع الرسول ﷺ، وإذا خالف اجتهادهم، أو خالف قولهم قولَ الرسول ﷺ فإن قولهم يُترك ويؤخذ بقول الرسول ﷺ، ويوصوننا بهذا، فلا يجب تقليد أحد إلا الرسول ﷺ؛ لأنه معصوم، ولا ينطق عن الهوىٰ، أما من سواه فإنه محل للخطأ وليس بمعصوم، فما وافق قول الرسول من أقوال العلماء أخذنا به، وما خالف تركناه، كما قال الإمام الشافعي: «أجمع المسلمون علىٰ أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد» لم يكن له أن يدع سنة الرسول لقول أحد من الناس، مهما بلغ من العلم، والمنزلة، لأنه لا يُقتدىٰ إلا بالرسول ﷺ، هو قدوة الجميع.

(١) (صلىٰ عليه الله) أي علىٰ الرسول ﷺ، والصلاة من الله ثناؤه علىٰ عبده في الملأ الأعلىٰ، والصلاة منا الدعاء، ندعو له أن يصلي الله عليه، والصلاة من الملائكة الاستغفار، هذا هو أصح الأقوال في تفسير الصلاة علىٰ المخلوق، والصلاة علىٰ النبي ﷺ واجبة، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فهي واجبة، وهذا من حقوقه ﷺ علىٰ أمته، أن يصلوا ويسلموا عليه.

(ما قطر نزل) يعني صلىٰ الله علىٰ محمد بعدد القطر الذي ينزل، ومن يحصي عدد القطر إلا الله سبحانه وتعالىٰ. =

. . . .

= (وما تعاني) يعني ما تقدم ذكر الرسول ﷺ (في الأزل) قبل أن يُبعث عليه ﷺ، قبل أن يولد، فإن ذكره موجود، وخبر بعثته موجود قبل وجوده عليه الصلاة والسلام، فإن الله أخذ الميثاق علىٰ النبيين بأنه إذا بُعث محمد ﷺ وأحدٌ منهم حيّ أن يتبعه، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] هذا هو محمد ﷺ، ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] فأخذ الله الميثاق علىٰ النبيين بأنهم إذا بُعث محمد ﷺ، وأحد منهم حي أن يتبعه.

وأيضاً ذكره الله في التوراة عند بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هذا محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لا بد من الإيمان به، ومن لم يؤمن به فهو كافر، من اليهود أو من النصارىٰ أو من غيرهم، من لم يؤمن بالرسول ﷺ فهو كافر، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ التعزير: التوقير، فلا بد من نصرته عليه الصلاة والسلام، نصرة دينه، ونصرة ما جاء به ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لا بد من الاتباع، ولا بد من الإيمان والنصرة والاتباع لهذا الرسول ﷺ، هذا أخذه الله علىٰ بني إسرائيل وهو في كتابهم في التوراة يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة التي نزلت علىٰ موسىٰ، وفي الإنجيل الذي نزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، =

. . . .

= فذكر هذا النبي سابق لبعثته في الكتب السابقة في التوراة والإنجيل، وأهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنه لما بُعث ورأوا أنه من العرب حسدوه؛ لأنهم يريدون أن تكون الرسالة في بني إسرائيل، ولما كان من ذرية إسماعيل حسدوه، وتكبروا وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، محمد ﷺ مذكور في التوراة والإنجيل، ولهذا بشر به عيسىٰ عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] أحمد ومحمد اسمان له، والنبي ﷺ له أسماء كثيرة، راجعوا كتاب «جلاء الأفهام» لابن القيم تجدون أسماء الرسول ﷺ مذكورة في هذا الكتاب وفي غيره.

الشاهد من هذا أن عيسىٰ عليه السلام بَشَّرَ أنه يأتي من بعده، ولم يأتِ بعد عيسىٰ إلا محمد ﷺ، وقد جاء علىٰ النعت والوصف المذكور في التوراة والإنجيل، هذا هو محمد ﷺ، فذكره سابق لولادته وبعثته عليه الصلاة والسلام، أما الذين يقولون: إنه مخلوق من قبل آدم فهذا من الخرافة والكذب؛ لأن الخرافيين الذين يغلون في الرسول ﷺ من القبوريين والصوفية وغيرهم، يقولون: إن محمداً مخلوق قبل آدم، وأيضاً يقولون: هو مخلوق من نور، وليس بشراً، هذا من الغلو والإفراط، نسأل الله العافية، فهو لم يخلق إلا في وقته عليه الصلاة والسلام، وخُلق من أبوين من أب وأم كبني آدم، أما إنه مخلوق قبل آدم فكيف يكون من بني آدم وهو مخلوق قبل آدم، بل يقولون: إن السماوات والأرض والدنيا ما خلقت إلا من أجل محمد، هذا من الغلو والعياذ بالله والإفراط والضلال، وهذا يعتقده الصوفية، ويعتقده القبوريون، ويعتقده كثير ممن=

٢٠٠ـ ومـا انجلـىٰ بِهَـدْيِـهِ الـدَّيْجُـورُ
وَراقَـتِ الأوقـاتُ والـدُّهـورُ[١]
٢٠١ـ وآلِـهِ وصَحْبِـهِ أهـلِ الـوَفَـا[٢]
. . . . .

= ينتسبون إلىٰ الإسلام، وهو باطل وضلال، أما إنه مذكور في الكتب السابقة، ومتقدم ذكره علىٰ بعثته عليه الصلاة والسلام، هذا حق ففرق بين الأمرين.

(١) وصلىٰ عليه الله (ما انجلىٰ بهديه الديجور) الديجور: وهو الظلام؛ لأنه ﷺ جلىٰ الله به الظلمات، ظلمات الشرك والكفر والضلال، وأنار الكون برسالته عليه الصلاة والسلام، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] فهو سراج أضاء الله به ظلمات الشرك والكفر والضلال، وأعاد به الهدىٰ والحق بعدما انطمست آثاره وعمت الجاهلية بظلامها. بعث الله جل وعلا محمداً ﷺ نوراً ساطعاً في هذا الكون فاستنار به أهل الحق.

(٢) وكذلك صلىٰ الله علىٰ آله، وهم قرابته وأتباعه علىٰ دينه، كلهم يسمون آل محمد، فيصلي عليهم بعد الصلاة عليه ﷺ.

(وصحبه) وخص من آله صحبَه، هذا من التخصيص بعد العموم، فمن أخص آل محمد صحابته، والصحابة: جمع صحابي، وهو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات علىٰ ذلك، يعني ومات علىٰ الإيمان به، هذا هو الصحابي. يخرج بذلك مَن آمن بالنبي ﷺ ولم يلقه، هذا لا يسمىٰ صحابياً، ويخرج بذلك مَن لقيه ولم يُؤمن به؛ لأن مجرد اللقاء لا يكسب الصحبة، ولذلك لقيه من المشركين والكفار مَن لقيه، ولكنهم لما لم =

٢٠١ـ ....

معـادنِ التقـوَىٰ وينبـوعِ الصَّفَـا[1]

= يؤمنوا به لم يكونوا صحابة، وخرج بذلك مَن لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات علىٰ الردة، فهذا تبطل صحبته وتبطل جميع أعماله، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) لا شك أن هذه أوصاف الصحابة رضي الله عنهم، أنهم أهل الوفاء فهم أوفىٰ الناس، وأصدق الناس، وأعلم الناس؛ لأنهم أخذوا العلم عن الرسول ﷺ، فهم أغزر الناس علماً كما وصفهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بكونهم أغزر الناس علماً وأقلهم تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام.

(معادن التقوىٰ)؛ لأنهم أتقىٰ الناس وأفضل القرون رضي الله عنهم، كما قال ﷺ: «خيركم قرني»(*) فهم خير القرون وأتقاهم لله عزوجل، وأصفاهم عقيدة، وأصفاهم سريرة، وأنصحهم، يكفيك أنهم نشروا دين الرسول ﷺ في المشارق والمغارب، وبذلوا دماءهم وأموالهم، وتفرقوا في البلاد؛ لأجل الجهاد في سبيل الله، هجروا الأوطان وسافروا في البلدان، وأصابهم القتل والجراح، تفرقوا في الأرض، وماتوا ودفنوا في شتىٰ الأقطار، كل هذا في سبيل الله عز وجل، فهم الذين نصروا الدين وثبتوه، وهم الذين وَرَّثوه لمن بعدهم، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ، من أين جاءنا القرآن؟ من أين جاءتنا السنة والأحاديث؟ كلها عن طريق الصحابة، نحن ما حضرنا الرسول ﷺ، ولا سمعنا منه، ولكن =

(*) سلف تخريجه ص٢٢٩.

٢٠٢ـ وتـــابــعِ وتـــابـــعٍ للتـــابـــعِ[(١)]
خيرُ الورَىٰ حَقّاً بِنَصِّ الشارعِ[(٢)]

= صحابته هم الذين بلغونا عنه عليه الصلاة والسلام هذا القرآن، وهذه السنة المطهرة، وهذا العلم، هذا كله إنما جاءنا بواسطة الصحابة رضي الله عنهم.

(١) والقرن الثاني قرن التابعين الذين هم تلاميذ الصحابة، الذين أخذوا عن الصحابة، وأثنىٰ عليهم ﷺ قال: «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين، وأتباع التابعين الذين أخذوا عن التابعين، الذين هم أهل القرن الثالث الذين أثنىٰ عليهم رسول الله بقوله: «ثم الذين يلونهم» ثلاثة مرات، ثلاثة قرون، والقرن الرابع اختلفت فيه الرواية.

(٢) (خير الورىٰ) أهل هذه القرون الثلاثة هم خير الخلق (بنص الشارع) وهو الرسول ﷺ بقوله: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(*)] هؤلاء هم خير القرون وهم القدوة لمن جاء بعدهم، وهم السلف الصالح.

❋ ❋ ❋

(*) سلف تخريجه ص٢٢٩.

ذكر أئمة المذاهب الأربعة

٢٠٣ـ ورحمــةُ اللهِ مَــعَ الــرِّضْــوانِ
والبِــرِّ والتكــريــمِ والإحســانِ

٢٠٤ـ تُهــدَىٰ مــع التبجيــلِ والإنعــام
منــي لِمَثْــوَىٰ عِصْمَــةِ الإســلامِ

٢٠٥ـ أئمــةُ الــديــنِ هُــداة الأُمَّــةْ
أهــلُ التُّقَــىٰ مِــن سَــائِرِ الأئِمَّــةْ(١)

٢٠٦ـ لا سِيَّمَــا أحمــدَ والنعمــانِ
ومــالــكٍ محمــدِ الصنــوانِ(٢)

---

(١) ولما فرغ من ذكر القرون المفضلة، انتقل إلىٰ ذكر الأئمة الذين جاؤوا مِن بعدهم كالأئمة الأربعة وإخوانهم ممن عاصروهم، أو جاؤوا من بعدهم من أئمة الهدىٰ.

(٢) قوله: (لا سيما) يقصد جميع الأئمة الذين جاؤوا بعد أتباع التابعين من الأئمة الذين ورثوا العلم عمن سبقهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وفيهم الأئمة الأربعة أولهم أبو حنيفة، وهو أقدم الأئمة وعاصر التابعين، وروىٰ عن بعض الصحابة علىٰ قول. فهو من أقدم الأئمة، وهو من أتباع التابعين، هذا هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله صاحب المذهب المعروف المشهور بالفقه، والمشهور بالورع والتقىٰ والزهد والصلاح والاستقامة، ثم من بعده الإمام مالك إمام دار الهجرة، عالم الحديث والفقه، ثم الإمام الشافعي محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، =

٢٠٧ـ مَـنْ لازمٌ لكـلِّ أربـابِ العَمَـلْ

تقليدُ حَبْرٍ منهم فاسْمَعْ تَخَلْ(١)

= ثم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، هؤلاء هم الأئمة الأربعة الذين بقيت مذاهبهم في الناس مدروسة ومحررة ومتوارثة، وأما غيرهم فاندرست مذاهبهم، ولم يبق لهم مذهب محرر، ولكن بقيت أقوالهم في بطون كتب الفقه والمراجع، وكتب التفسير وشروح الحديث والموسوعات الفقهية.

وقوله: (محمد الصنوان) يعني محمد بن إدريس الشافعي، صنوان: يعني أنه من قرابة الرسول ﷺ، لأنه من أهل البيت، ونُسب إلىٰ الشافعي؛ لأن جده اسمه شافع.

(١) يقول: إن تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة، والسير علىٰ مذاهبهم أمر سائغ، ولذلك انتشرت المذاهب الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي؛ لأنهم بقيت مذاهبهم ودُرست وحُررت، وتوارثها الناس، ودرسوها، فتقليدهم في هذه الأمور تقليد سائغ، لا يُنكر علىٰ الحنفي أن يقول: أنا حنفي، ولا علىٰ الشافعي ولا علىٰ المالكي أن يقول: أنا مالكي، ولا علىٰ الحنبلي، لا يُنكر هذا، ولكن يُنكر التعصب، وإلا مجرد الانتساب للمذهب لا يُنكر، ولكن يُنكر التعصب كأن يقول: أنا لا آخذ إلا ما يقوله الإمام أبو حنيفة أو الحنبلي الذي يقول: لا آخذ إلا ما قاله الإمام أحمد، والشافعي الذي يقول: لا آخذ إلا ما قاله الشافعي. أما العقيدة فهي ليست محل تقليد، ولكن في مسائل الفقه العملية فمجرد الانتساب إلىٰ مذهب من المذاهب الأربعة فيها لا بأس به، ولكن لا يتعصب، بل إذا تبين الدليل فإنه يجب الأخذ به، ولو خالف مذهب إمامه الذي ينتسب إليه، وإذا كان الدليل مع الحنبلي يجب علىٰ بقية المذاهب أن تأخذ به، وإذا كان الدليل مع الحنفي يجب علىٰ الحنابلة والشافعية والمالكية أن يأخذوا به. =

٢٠٨ـ ومَـنْ نَحـا لِسُبُلِهِـمْ مِـن الـورَىٰ
ما دارَتِ الأفلاكُ أو نجمٌ سَرَىٰ[١]

٢٠٩ـ هَـدِيَّـةٌ مِنِّـي لأربـابِ السَّلَـفْ
مُجانِباً للخوضِ مِن أهلِ الخلفْ[٢]

= فالمدار علىٰ الدليل إذا تبين، أما الذي يتعصب ويقول: أنا آخذ بقول الإمام ولو خالف الدليل؛ لأنه أعلم مني، نقول: هذا لا يجوز، لأنه تعصب، هذا في حق الذي ليس عنده مدارك الاجتهاد المطلق، أما الذي عنده مسوغات الاجتهاد المطلق فلا يجوز له أن يقلد أحداً بل يأخذ باجتهاده، أما الذي ليس عنده مدارك ومؤهلات الاجتهاد المطلق فهذا يُقلد ولكن من غير تعصب، بل متىٰ تبين له الدليل يتبعه مع من كان من الأربعة أو غيرهم، هذا هو الإنصاف والعدل والحق، أما التعصب فإنه مذموم.

(١) أي والصلاة والسلام علىٰ (من نحا) لسبل هؤلاء الأئمة. (من الورىٰ) من الناس. (ما دارت الأفلاك) الأفلاك: جمع فلك، وهو الشيء المستدير مثل فلكة المغزل، والله جل وعلا جعل النجوم في أفلاك مستديرة تسير فيها، كل نجم في فلكه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] فجميع النجوم في أفلاك، تسير في أفلاكها. الشمس في فلك، والقمر في فلك، والنجوم كل نجم في فلك يسير في هذا الفلك، ولا يختلف، ولا يختل إلىٰ أن ينتهي الأجل الذي قدره الله لهذه الدنيا، فحينئذ تنتثر النجوم، وتسقط الأفلاك؛ لأن هذه الدار انتهت، وسينتقل العالم إلىٰ دار أخرىٰ وهي دار الآخرة.

(٢) (هدية) أي هذه الصلاة هدية من الناظم لأهل السلف، أتباع السلف تقديراً لهم علىٰ ما هم فيه من الاتباع والاقتداء والهدىٰ، فأهدي لهم هذه=

٢١٠ـ خُـذْهـا هُـدِيـتَ واقْتَـفِ نِظَـامـي
تَفُــزْ بمــا أَمَّلْــتَ والســلامِ(١)

= الصلاة، وهي الدعاء لهم. (مجانباً) لما خاض فيه الخلف، والخلف: من ليسوا على منهج السلف، ولو كانوا متقدمين في الزمان، فما داموا ليسوا على مذهب السلف فإنهم خلوف كما قال ﷺ: «تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»(*) فهؤلاء خلوف لا يجوز تقليدهم، ولا يجوز الاقتداء بهم ما داموا مخالفين لمنهج السلف الذي جاء به الرسول ﷺ، فيجب أن تجتنب أقوالهم ومذاهبهم.

ويدخل في هذا سائر الفرق الضالة، الثنتين والسبعين فرقة، ولا يبقى إلا فرقة واحدة، وهي الثالثة والسبعين التي هي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فهذه هي الفرقة الناجية، وما عداها فهو ضال، وضلاله يختلف إما أن يصل إلى الكفر وإما أن يكون غير ذلك.

(١) خذ هذه المنظومة بمعانيها ومدلولاتها، (خذها) بمعنى احفظها واعمل بها وسر على نهجها من أجل أن تصل إلى السلامة. (تفز) بأمرين (بما أملت) من الخير، وتفز بـ(السلام) يعني السلامة من الضلال والسلامة من النار؛ لأن هذا منهج السلف الذين قال فيهم النبي: «ما أنا عليه وأصحابي»(**) فهم الذين يسلمون من النار، الفرقة الناجية والسالمة، هم من كان على منهج السلف.

* * *

(*) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٥٠) (٨٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(**) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما،

خاتمة الشرح

بهذا نكون قد انتهينا من التعليق علىٰ هذا الكتاب، وفق الله الجميع لطاعته، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

وفي الختام نحمد الله ونشكره أن وفقنا للقيام بهذا العمل المبارك ونسأله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

السبت الموافق ١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ



العقيدة السفارينية الموسومة
بـ «الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»

خطبة المتن

البيت	الصفحة
١ـ الحمـــدُ للهِ القـــديـــم البـــاقِـــي مُسبِّـــبِ الأسبـــابِ والأرزاقِ	١٦
٢ـ حَـــيٌّ عليـــمٌ قـــادرٌ مـــوجـــودُ قـــامَـــتْ بـــه الأشيـــاءُ والـــوجـــودُ	١٩
٣ـ دلَّـــتْ علـــىٰ وجـــودِه الحـــوادثُ سبحـــانَـــه فهـــو الحكيـــمُ الـــوارثُ	٢٢
٤ـ ثُـــمَّ الصـــلاةُ والســـلامُ سَـــرمَـــداً علىٰ النبيِّ المُصطَفَىٰ كَنزِ الهُدىٰ	٢٤
٥ـ وآلِـــهِ وصحبِـــهِ الأبـــرارِ معـــادنِ التَّقـــوَىٰ مـــع الأســـرارِ	٢٩
٦ـ وبعـــدُ فـــاعْلَـــمْ أنَّ كُـــلَّ العِلْـــمِ كالفَرْعِ للتوحيدِ فاسمَعْ نَظْمِي	٣١
٧ـ لأنَّـــه العِلـــمُ الـــذي لا يَنْبَغِـــي لعـــاقـــلٍ لفَهمِـــه لـــم يَبتَـــغِ	٣٦
٨ـ فيعلَـــمُ الـــواجـــبَ والمُحـــالا كجـــائـــزٍ فـــي حَقِّـــهِ تعـــالَـــىٰ	٣٦

٩ـ وصارَ مِن عادةِ أهلِ العِلْمِ
أن يَعتنُوا في سَبْرِ ذا بالنَّظْمِ ٣٧

١٠ـ لأنَّه يَسهلُ للحفظِ كَمَا
يَروقُ للسَّمْعِ ويَشفي مِن ظَمَا ٣٨

١١ـ فمِنْ هنا نَظمْتُ لي عَقيدَةْ
أُرجوزَةً وجيزةً مُفيدَةْ ٣٩

١٢ـ نَظمْتُها في سِلْكِها مُقدِّمَةْ
وسِتُّ أبوابٍ كَذاكَ خاتِمَةْ ٤٠

١٣ـ وَسَمْتُها بالدُّرَّةِ المُضِيَّةْ
في عَقْدِ أهلِ الفِرقَةِ المَرْضِيَّةْ ٤١

١٤ـ علَىٰ اعتقادِ ذِي السَّدادِ الحَنبلِي
إمامِ أهلِ الحقِّ ذِي القَدْرِ العَلِي ٤٤

١٥ـ حَبْرِ المَلا فَردِ العلا الرَّبانِي
ربِّ الحِجا ماحي الدُّجَىٰ الشيبانِي ٤٦

١٦ـ فإنه إمامُ أهلِ الأثَرِ
فمَنْ نَحا مَنحاهُ فهو الأَثَرِي ٤٧

١٧ـ سقَىٰ ضَريحاً حَلَّه صَوْبُ الرِّضَا
والعفوُ والغفرانُ ما نَجمٌ أضَا ٤٨

١٨ـ وحلَّهُ وسائرَ الأئمَّةْ
منازلَ الرضوانِ أعلىٰ الجنَّةْ ٤٨

مقدمة

في ترجيح مذهب السلف علىٰ غيره من سائر المذاهب

١٩ـ اعْلَمْ هُـدِيـتَ أَنَّـه جـاءَ الخَبَـرْ
عـن النبـيِّ المُقتفَـىٰ خيـرِ البَشَـرْ ٥٤

٢٠ـ بـأَنَّ ذِي الأُمَّـةِ سـوفَ تَفتَـرِقْ
بضعـاً وسبعيـنَ اعتقـاداً والمُحِـقّْ ٥٥

٢١ـ ما كان في نهجِ النبيِّ المُصطفَىٰ
وصحبِـه مـن غيـرِ زَيـغٍ وجَفَـا ٥٦

٢٢ـ وليسَ هٰـذا النـصُّ جَـزْمـاً يُعتَبَـرْ
فـي فِـرْقَـةٍ إلا علـىٰ أهـلِ الأثَـرْ ٥٧

قول أهل السنة في النصوص

٢٣ـ فـأثبتـوا النُّصـوصَ بـالتَّنـزِيـهِ
مـن غيـرِ تعطيـلٍ ولا تَشبِيـهِ ٥٨

٢٤ـ فكـلُّ مـا جـاءَ مِـنَ الآيـاتِ
أَوْ صَـحَّ فـي الأخبـارِ عـن ثِقَـاتِ ٦٠

٢٥ـ مِـنَ الأحـاديـثِ نُمِـرُّه كمـا
قد جاءَ فاسْمَعْ مِن نِظامي واعلَمَا ٦١

٢٦ـ ولا نَـرُدُّ ذاكَ بـالعُقـولِ
لِقَـوْلِ مُفْتَـرٍ بـه جَهُـولِ ٦٢

٢٧ـ فعَقْـدُنـا الإثبـاتُ يـا خَليلِـي
مـن غيـرِ تَعطيـلٍ ولا تَمثيـلِ ٦٣

حال المؤولين في الصفات

٢٨ـ فكُـلُّ مَـنْ أوَّلَ فـي الصفـاتِ
كـذاتِـه مِـن غيـرِ مـا إثبـاتِ ٦٤

٢٩ـ فقـد تعـدَّىٰ واسْتَطـالَ واجْتَـرا
وخاضَ في بَحْرِ الهلاكِ وافْتَرىٰ ٦٦

٣٠ـ ألـم تَـرَ اختـلافَ أصحـابِ النَّظَـرِ
فيـهِ وحُسْـنَ مـا نَحـاهُ ذُو الأَثَـرِ ٦٧

٣١ـ فـإنَّهـم قـد اقتـدَوْا بـالمُصطفَـىٰ
وصَحبِـه فـاقْنَـعْ بهٰـذا وكفَـىٰ ٦٩

الباب الأول

في معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته

٣٢ـ أَوَّلُ واجـبٍ علـىٰ العبيـدِ
مَعـرِفَـةُ الإلٰـهِ بـالتَّسـديـدِ ٧٢

٣٣ـ بـأنـه واحـدٌ لا نظيـرَ
لَـه ولا شِبْـهَ ولا وزيـرَ ٧٤

٣٤ـ صفـاتُـه كـذاتِـه قَـديمَـةْ
أسمـاؤُه ثـابِتـةٌ عَظيمَـةْ ٧٥

٣٥ـ لكنَّهـا فـي الحـقِّ تَـوْقِيفيَّـةْ
لنـا بـذا أدلَّـة وَفِيَّـةْ ٧٦

فصل

في بحث صفاته تعالىٰ

٣٦ـ لَـهُ الحيـاةُ والكـلامُ والبَصَـرْ
سمـعٌ إرادةٌ وعِلْـمٌ واقتَـدَرْ ٧٨

٣٧ـ بقـدرةٍ تعلَّقَـتْ بمُمكِـنِ
كـذا إرادةٌ فَـعِ واسْتَبِـنِ ٨٢

٣٨ـ والعِلـمُ والكَـلامُ قـد تعلَّقَـا
بكـلِّ شـيءٍ يـا خليلـي مُطلقـا ٨٢

٣٩ـ وسَمعُـه سبحـانَـه كـالبَصَـرِ
بكـلِّ مسمـوعٍ وكُـلِّ مُبْصَـرِ ٨٣

فصل

في مبحث القرآن العظيم

٤٠ـ وأنَّ مـا جـاءَ مـع جبـريـلِ
مِـن مُحْكَـمِ القـرآنِ والتَّنـزيـلِ ٨٤

٤١ـ كـلامُـهُ سُبحـانَـه قَـديـمُ
أعيـا الـورَىٰ بـالنـصِّ يـا عليـمُ ٨٦

٤٢ـ وليسَ في طَوْقِ الورَىٰ مِن أصلِهِ
أنْ يَستطيعـوا سُـورَةً مِـن مِثْلِـهِ ٨٩

فصل

في ذكر الصفات التي يثبتها لله تعالىٰ أئمة السلف وعلماء الأثر

٤٣ـ وليسَ ربُّنا بِجَوْهرٍ ولا
عَرَضٍ ولا جِسْمٍ تعالَىٰ ذو العُلا ٩٠

٤٤ـ سُبحانَه قد استوَىٰ كما وَرَدْ
مِن غيرِ كيفٍ قد تعالَىٰ أنْ يُحَدّْ ٩١

٤٥ـ فلا يُحيطُ عِلْمُنا بذاتِهِ
كذاكَ لا يَنفَكُّ عن صفاتِهِ ٩٦

٤٦ـ فكُلُّ ما قد جاءَ في الدليلِ
فثابِتٌ مِن غيرِ ما تَمثيلِ ٩٧

٤٧ـ مِن رَحْمَةٍ ونَحوِها كوجهِهِ
ويدِهِ وكلِّ ما مِن نَهْجِهِ ٩٨

٤٨ـ وعَينِهِ وصِفَةِ النُّزولِ
وخَلْقِهِ فاحذَرْ مِن النُّزولِ ١٠٠

٤٩ـ فسائرِ الصِّفاتِ والأفعالِ
قديمةٍ للهِ ذي الجلالِ ١٠٢

٥٠ـ لكنْ بلا كيفٍ ولا تمثيلِ
رَغْماً لأهلِ الزَّيْغِ والتَّعطيلِ ١٠٣

٥١ـ فَمُرَّهـا كمـا أتَـتْ فـي الـذِّكْـرِ
مِـن غيـرِ تـأويـلٍ وغيـرِ فِكْـرِ ١٠٤
٥٢ـ ويَستحيـلُ الجَهـلُ والعَجـزُ كَمَـا
قد استحالَ الموتُ حَقّاً والعَمَىٰ ١٠٤
٥٣ـ فكُـلُّ نَقْـصٍ قـد تَعـالَـىٰ اللهُ
عنـه فيـا بُشـرَىٰ لمـن وَالاهُ ١٠٥

فصل

في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلّد

٥٤ـ وكُـلُّ مـا يُطلَـبُ فيـه الجَـزْمُ
فَمَنْـعُ تقليـدٍ بـذاكَ حَتْـمُ ١٠٦
٥٥ـ لأنَّـهُ لا يُكْتَفَـىٰ بـالظَّـنِّ
لذي الحِجَا في قولِ أهلِ الفَنِّ ١٠٨
٥٦ـ وَقِيـلَ يَكفِـي الجَـزْمُ إجماعـاً بِمَـا
يُطلَـبُ فيـه عنـدَ بعـضِ العُلَمَـا ١٠٨
٥٧ـ فـالجـازمـونَ مِـن عَـوامِّ البَشَـرِ
فَمُسلمـونَ عنـدَ أهـلِ الأثَـرِ ١٠٨

الباب الثاني

في الأفعال المخلوقة

٥٨ـ وسـائـرُ الأشيـاءِ غيـرِ الـذاتِ
وغيـرِ مـا الأسمـاءِ والصفـاتِ ١٠٩

٥٩ـ مَخلُـوقَـةٌ لِـربِّنَـا مِـنَ العَـدَمِ
وضَـلَّ مَـنْ أثْنَـىٰ عليهـا بـالقِـدَمِ ١٠٩

٦٠ـ وربُّنَـــا يَخلُـــقُ بـــاختيـــارِ
مِـن غيـرِ حـاجـةٍ ولا اضطـرارِ ١١٠

٦١ـ لكنَّـه لَـمْ يَخلُـقِ الخَلْـقَ سُـدَىٰ
كما أتىٰ في النصِّ فاتَّبِعِ الهُدَىٰ ١١١

٦٢ـ أفعـــالُنـــا مَخلـــوقِـــةٌ للهِ
لكنَّهـا كسـبٌ لنـا يـا لاهِـي ١١٣

٦٣ـ وكـــلُّ مـــا يفعلُـــهُ العبـــادُ
مِـن طـاعـةٍ أو ضـدِّهـا مُـرادُ ١١٨

٦٤ـ لـربِّنـا مِـن غيـرِ مـا اضطـرارِ
منـه لنـا فـافْهَـمْ ولا تُمـارِ ١١٩

٦٥ـ وجـازَ للمـولَـىٰ يُعـذِّبُ الـورَىٰ
من غيرِ ما ذنبٍ ولا جُرمٍ جرَىٰ ١٢٠

٦٦ـ فكـلُّ مـا مِنـهُ تَعـالَـىٰ يَجمُـلُ
لأنَّـــه عـــن فعلِـــهِ لا يُســـألُ ١٢٣

٦٧ـ فـإنْ يُثِـبْ فـإنَّـه مِـن فَضلِـهِ
وإنْ يُعـذِّبْ فبِمَحْـضِ عَـدْلِـهِ ١٢٤

٦٨ـ فلَـمْ يَجِـبْ عليـه فِعْـلُ الأصْلَـحِ
ولا الصَّـلاحِ وَيْـحُ مَـن لَـمْ يُفْلِـحِ ١٢٥

٦٩ـ فكُـلّ مَـن شـاءَ هُـداه يَهتـدي
وإنْ يُـرِدْ ضَـلالَ عبـدٍ يَعتَـدِ ١٢٥

فصل

في الكلام علىٰ الرزق

٧٠ـ والـرزقُ مـا يَنفـعُ مِـن حـلالِ
أو ضِـدِّهِ فَحُـلْ عـن المُحـالِ ١٢٧

٧١ـ لأنَّـه رازقُ كُـلِّ الخَلْـقِ
وليـسَ مخلـوقٌ بغيـرِ رِزْقِ ١٢٩

٧٢ـ ومَـنْ يَمُـتْ بِقَتلِـهِ مِـن البَشَـرْ
أو غيـرِه فبـالقضـاءِ والقَـدَرْ ١٣٠

٧٣ـ ولـم يَفُـتْ مِـن رِزْقِـهِ ولا الأجـلْ
شيءٌ فَدَعْ أهلَ الضلالِ والخَطَلْ ١٣٠

الباب الثالث

في الأحكام والإيمان ومتعلقات ذلك

٧٤ـ وواجـبٌ علـىٰ العبـادِ طُـرّاً
أنْ يَعبـدوهُ طـاعـةً وبِـرّاً ١٣٣

٧٥ـ ويَفعلُـوا الفعـلَ الـذي بـه أَمَـرْ
حتمـاً ويتـركـوا الـذي عنـه زَجَـرْ ١٣٤

فصل

في الكلام علىٰ القضاء والقدر غير ما تقدم

٧٦ـ وكُــلُّ مــا قَــدَّرَ أو قَضــاهُ
فــواقــعٌ حتمــاً كمــا قَضــاهُ ١٣٦

٧٧ـ وليسَ واجباً على العبدِ الرِّضا
بكــلِّ مَقْضِــيٍّ ولكــنْ بــالقضَــا ١٣٧

٧٨ـ لأنَّــه مِــنْ فِعْلِــهِ تعــالَــىٰ
وذاك مِــنْ فِعْــلِ الــذي تقــالَــىٰ ١٣٧

فصل

في الكلام علىٰ الذنوب ومتعلقاتها

٧٩ـ ويَفْسُــقُ المــذنــبُ بــالكَبيــرَةْ
كَــذا إذا أَصَــرَّ بــالصَّغيــرَةْ ١٤١

٨٠ـ لا يَخــرجُ المــرءُ مــن الإيمــانِ
بمــوبقــاتِ الــذَّنْــبِ والعِصيــانِ ١٤٢

٨١ـ وواجــبٌ عليــه أنْ يتــوبَــا
مِــن كُــلِّ مــا جَــرَّ عليــه حُــوْبَــا ١٤٢

٨٢ـ ويَقبــلُ المــولَــىٰ بمَحْــضِ الفَضْــلِ
مِــن غيــرِ عبــدٍ كــافــرٍ مُنفَصِــلِ ١٤٤

٨٣ـ مــا لَــمْ يَتُــبْ مِــن كُفْــرِهِ بضِــدِّهِ
فيــرتَجِــعْ عــن شِــرْكِــهِ وَصَــدِّهِ ١٤٤

٨٤ـ ومَنْ يَمُتْ ولَمْ يَتُبْ مِن الخَطا
فـأمـرُه مُفَـوَّضٌ لـذي العَطـا ١٤٥
٨٥ـ فـإنْ يَشَـأْ يعـفُ وإنْ شـاءَ انتقَمْ
وإنْ يَشَـأْ أَعْطَـىٰ وأَجْـزَلَ النِّعَـمْ ١٤٥

فصل

في أهل العناد والزندقة والإلحاد

٨٦ـ وقيِـلَ فـي الـدّروزِ والـزّنـادِقَـةْ
وسـائـرِ الطـوائـفِ المُنـافِقَـةْ ١٤٧
٨٧ـ وكُـلِّ داعٍ لابتـداعٍ يُقْتَـلُ
كمَـنْ تكـرَّر نَكْثُـه لا يُقْبَـلُ ١٤٩
٨٨ـ لأنَّـه لـم يُبْـدِ مِـن إيمـانِـهِ
إلا الـذي أذاعَ مِـن لِسَـانِـهِ ١٥٠
٨٩ـ كمُلحـدٍ وسـاحـرٍ وسـاحـرَةْ
وهـم علـى نِيَّـاتِهـم فـي الآخِـرَةْ ١٥٠
٩٠ـ قلـتُ وإنْ دَلَّـتْ دلائـلُ الهُـدَىٰ
كمـا جـرَىٰ للعيلبـونـي اهتـدَىٰ ١٥١
٩١ـ فـإنَّـه أذاعَ مِـن أسـرارِهِـمْ
ما كان فيه الهتكُ عن أستارِهِمْ ١٥١
٩٢ـ وكـانَ للـديـنِ القـويـمِ نـاصـرا
فصـارَ منـا بـاطنـاً وظـاهـرا ١٥١

٩٣ـ فكُـلُّ زِنـديـقٍ وكُـلُّ مـارِقِ
وجـاحـدٍ ومُلحـدٍ منـافِـقِ ١٥٢

٩٤ـ إذا استبـانَ نُصْحُـه للـدِّيـنِ
فـإنَّـه يُقْبَـلُ عَـنْ يقيـنِ ١٥٢

فصل

في الكلام علىٰ الإيمان واختلاف الناس فيه وتحقيق مذهب السلف في ذلك

٩٥ـ إيمـانُنـا قـولٌ وقَصـدٌ وعَمَـلْ
تَـزيـدُه التَّقـوَىٰ ويَنقـصُ بـالـزَّلَـلْ ١٥٧

٩٦ـ ونحـن فـي إيمـانِنـا نَستثنِـي
مِـنْ غيـرِ شَـكٍّ فـاسْتَمِـعْ واسْتَبِـنِ ١٥٧

٩٧ـ نُتـابـعُ الأخيـارَ مِـنْ أهـلِ الأثَـرِ
ونَقتفِـي الآثـارَ لا أهـلَ الأشَـرِ ١٥٨

٩٨ـ ولا تَقُـلْ إيمـانُنـا مَخلُـوقُ
ولا قَـديـمٌ هكـذا مَطلُـوقُ ١٥٨

٩٩ـ فـإنَّـه يَشمـلُ للصَّـلاةِ
ونحـوِهـا مِـن سـائـرِ الطـاعـاتِ ١٥٩

١٠٠ـ فَفِعلُنـا نَحْـوُ الـركـوعِ مُحْـدَثُ
وَكُـلُّ قـرآنٍ قـديـمٍ فـابْحَثُـوا ١٥٩

١٠١ـ وَوَكَّـــلَ اللهُ مِـــن الكِـــرام
اثنيـــنِ حَـــافِظَيْـــنِ لـــلأنـــامِ ١٥٩

١٠٢ـ فيَكْتُبـــانِ كُـــلَّ أفعـــالِ الـــورَىٰ
كما أتىٰ في النَّصِّ مِن غيرِ امْتِرَا ١٦٠

الباب الرابع

في ذكر البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور

١٠٣ـ وَكُـلُّ مـا صَـحَّ مِـنَ الأخبـارِ
أو جـاءَ فـي التَّنْـزِيـلِ والآثـارِ ١٦٢

١٠٤ـ مِـــنْ فِتْنَـــةِ البَـــرْزَخِ والقُبـــورِ
ومَـا أَتَـىٰ فـي ذَا مِـنَ الأُمـورِ ١٦٢

١٠٥ـ وأَنَّ أرواحَ الـــورَىٰ لَـــمْ تُعْـــدَمِ
مَـع كَـوْنِهـا مَخلـوقـةً فـاسْتَفْهِـمِ ١٦٥

١٠٦ـ فَكُـلُّ مـا عـن سَيِّـدِ الخَلْـقِ وَرَدْ
مِـنْ أمـرِ هـذا البـابِ حَـقٌّ لا يُـرَدّْ ١٦٦

فصل

في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة علىٰ اقترابها ومجيئها

١٠٧ـ وَمَـا أَتَـىٰ فـي النَّـصِّ مِـنْ أَشْـراطِ
فَكُلُّـــهُ حـــقٌّ بـــلا شَطـــاطِ ١٧٠

١٠٨ـ منهـا الإمـامُ الخَـاتِـمُ الفَصِيـحُ
مُحَمَّـدٌ المَهْـدِي والمَسِيـحُ ١٧٠

١٠٩ـ وأَنَّـهُ يَقْتُـلُ للـدَّجَّـالِ
ببـابِ لُـدٍّ خَـلِّ عَـنْ جِـدالِ ١٧٢

١١٠ـ وأمـرَ يَـأْجـوجَ ومَـأْجـوجَ أَثْبِـتِ
وأَنَّـهُ حَـقٌّ كَهَـدْمِ الكَعْبَـةِ ١٧٣

١١١ـ وأنَّ منهـا آيَـةُ الـدُّخَـانِ
وأنَّـه يُـذْهَـبُ بـالقُـرآنِ ١٧٦

١١٢ـ طلـوعُ شمـسِ الأُفُـقِ مِـن دَبُـورِ
كَـذاتِ أجيـادٍ علـىٰ المَشْهُـورِ ١٧٦

١١٣ـ وآخـرُ الآيـاتِ حَشْـرُ النـارِ
كمـا أَتَـىٰ فـي مُحْكَـمِ الأخبـارِ ١٧٨

١١٤ـ فكلُّهـا صَحَّـتْ بهـا الأخبـارُ
وسَطَّـرَتْ آثـارَهـا الأخيـارُ ١٧٨

فصل

في أمر المعاد

١١٥ـ وَاجْـزِمْ بـأَمْـرِ البَعْـثِ والنُّشُـورِ
والحَشْرِ جَزْماً بَعْدَ نَفْخِ الصُّوْرِ ١٨٢

١١٦ـ كَـذا وقـوفُ الخَلْـقِ للحِسَـابِ
والصُّحُـفُ والمِيـزانُ للثـوابِ ١٨٥

١١٧ـ كَذا الصِّراطُ ثُمَّ حوضُ المُصْطَفَىٰ
فَيَـا هَنَـا لِمَـنْ نَـالَ بـه الشِّفَـا ١٨٩

١١٨ـ عَنْـهُ يُـذَادُ المُفْتَـرِي كمـا وَرَدْ
مَـنْ نَحَـا سُبْـلَ السَّـلامَـةِ لَـمْ يُـرَدّْ ١٩١

١١٩ـ فَكُـنْ مُطِيعـاً واقْفُ أهـلَ الطّاعَـةِ
فـي الحـوضِ والكـوثـرِ والشَّفَـاعَـةِ ١٩١

١٢٠ـ فـإنَّهـا ثـابِتَـةٌ للمُصْطَفَـىٰ
كغيـرِهِ مِـنْ كـلِّ أَرْبَـابِ الـوَفَـا ١٩٢

١٢١ـ مِـن عـالِـمٍ كـالـرُّسْـلِ والأبـرارِ
سـوى التـي خُصَّـتْ بـذي الأنـوارِ ١٩٨

فصل

في الكلام علىٰ الجنة والنار

١٢٢ـ وَكُـلُّ إنسـانٍ وَكُـلُّ جِنَّـةْ
فـي دارِ نَـارٍ أو نَعِيـمِ جَنَّـةْ ٢٠٠

١٢٣ـ هُمَا مَصِيرُ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ الوَرَىٰ
فـالنَّـارُ دارُ مَـنْ تَعَـدَّىٰ وافْتَـرَىٰ ٢٠١

١٢٤ـ وَمَـنْ عَصَـىٰ بِـذَنْبِـهِ لَـم يَخلُـدِ
وإنْ دَخَلَهـا يـا بَـوَارَ المُعْتَـدِي ٢٠٢

١٢٥ـ وَجَنَّـةُ النَّعيـم لـلأبـرارِ
مَصُـونَـةٌ عـن سـائـرِ الكُفّـارِ ٢٠٢

١٢٦ـ واجْـزِمْ بـأنَّ النَّـارَ كـالجَنَّـةِ فـي
وجـودِهـا وأنَّهـا لَـمْ تَتْلَـفِ ٢٠٣

١٢٧ـ فنسـألُ اللهَ النَّعيـمَ والنَّظَـرْ
لِـرَبِّنـا مِـن غيـرِ مـا شَيْـنٍ غَبَـرْ ٢٠٣

١٢٨ـ فـإنَّـهُ يُنْظَـرُ بـالأبصـارِ
كمـا أتـىٰ فـي النَّـصِّ والأخبـارِ ٢٠٦

١٢٩ـ لأنَّـه سبحـانَـهُ لـم يُحجَـبِ
إلا عـن الكـافـرِ والمُكَـذِّبِ ٢٠٦

الباب الخامس

في ذكر النبوة ومتعلقاتها

١٣٠ـ ومِـنْ عَظِيـمِ مِنَّـةِ السَّـلامِ
ولُطْفِـهِ بسـائـرِ الأنـامِ ٢٠٩

١٣١ـ أَنْ أَرْشَـدَ الخَلْـقَ إلـىٰ الـوصُـولِ
مُبيِّنـاً للحَـقِّ بـالـرسـولِ ٢١٠

١٣٢ـ وشَـرْطُ مَـنْ أُكْـرِمَ بـالنُّبُـوَّةْ
حُـرِّيَّـةٌ ذُكُـورَةٌ كَقُـوَّةْ ٢١١

١٣٣ـ ولا تُنَـالُ رُتْبَـةُ النُّبُـوَّةْ
بـالكَسْـبِ والتَّهْـذِيـبِ والفُتُـوَّةْ ٢١٢

١٣٤ـ لَكِنَّهـا فضـلٌ مِـن المـولَـىٰ الأَجَـلّْ
لِمَـنْ يشـا مِـنْ خَلْقِـهِ إلـىٰ الأَجَـلْ ٢١٣

١٣٥ـ وَلَـمْ تَـزَلْ فيمـا مَضَـىٰ الأَنْبَـاءُ
مِـن فَضْلِـهِ تَـأْتِـي لِمَـنْ يَشَـاءُ ٢١٣

١٣٦ـ حَتَّـى أتـىٰ بـالخَـاتَـمِ الـذي خَتَـمْ
بـه وإعـلانـاً علـىٰ كُـلِّ الأُمَـمْ ٢١٤

فصل

في بعض الخصائص النبوية

١٣٧ـ وَخَصَّـهُ بـذِاكَ كـالمَقَـامِ
وَبَعْثِـهِ لِسَـائِـرِ الأَنَـامِ ٢١٧

١٣٨ـ ومُعْجِـزِ القـرآنِ كـالمعـراجِ
حَقّـاً بِـلا مَيْـنٍ وَلا اعْـوِجَـاجِ ٢١٧

١٣٩ـ فَكَـمْ حَبَـاه رَبُّـهُ وَفَضَّلَـهْ
وَخَصَّـهُ سُبحـانَـهُ وَخَـوَّلَـهْ ٢١٩

فصل

في التنبيه علىٰ بعض معجزاته ﷺ وهي كثيرة جداً

١٤٠ـ ومعجـزاتُ خَـاتَـمِ الأَنْبَـاءِ
كَثيـرةٌ تَجِـلُّ عَـنْ إحصـائِـي ٢٢٢

١٤١ـ مِنْهـا كـلامُ اللهِ مُعْجِـزُ الـوَرَىٰ
كذا انشقاقُ البَدْرِ مِنْ غيرِ امترا ٢٢٢

فصل

في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين

١٤٢ـ وأَفْضَـلُ العـالَـمِ مِـن غيـرِ امْتِـرا
نَبيُّنَـا المبعـوثُ فـي أُمِّ القُـرَىٰ ٢٢٤

١٤٣ـ وبَعَـدهُ فـالأفضـلُ أهـلُ العَـزْمِ
فـالـرسـلُ ثـم الأنبيـاءُ بـالجَـزْمِ ٢٢٥

فصل

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم

١٤٤ـ وأنَّ كُـلَّ واحـدٍ مِنْهُـمْ سَلِـمْ
مِنْ كُلِّ ما نَقْصٍ ومِنْ كُفْرٍ عُصِمْ ٢٢٦

١٤٥ـ كَـذاكَ مِـن إفْـكٍ ومِـنْ خِيـانَـةْ
لِـوصْفِهِـمْ بـالصِّـدْقِ والأمـانَـةْ ٢٢٦

١٤٦ـ وجـائـزٌ فـي حَـقِّ كُـلِّ الـرُّسـلِ
النَّـوْمُ والنِّكَـاحُ مِثْـلُ الأكْـلِ ٢٢٦

فصل

في ذكر الصحابة الكرام

١٤٧ـ وليـسَ فـي الأُمَّـةِ بـالتَّحْقِيـقِ
في الفضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيقِ ٢٣٠

١٤٨ـ وبَعْـدَهُ الفـاروقُ مِـن غيـرِ افْتِـرا
وبَعْــدَهُ عُثْمَــانُ فــاتْــرُكِ المِــرَا ٢٣١

١٤٩ـ وبَعـدُ فـالفَضْـلُ حَقِيقـاً فـاسْمَـعِ
نِظَــامِــي هٰــذا للبَطِيْــنِ الأَنْــزَعِ ٢٣٤

١٥٠ـ مُجَـدِّلُ الأبطـالِ مـاضـي العَـزْمِ
مُفَــرِّجُ الأَوْجَــالِ وافِــي الحَــزْمِ ٢٣٤

١٥١ـ وافِي النَّدَىٰ مُبدي الهُدَىٰ مُرْدِي العِدا
مُجْلِي الصَّدَىٰ يَا وَيْلَ مَنْ فيهِ اعْتَدَىٰ ٢٣٥

١٥٢ـ فَحُبُّــهُ كَحُبِّهِــمْ حتمــاً وَجَــبْ
ومَــنْ تَعَــدَّىٰ أَوْ قَلَــىٰ فَقَـدْ كَـذَبْ ٢٣٦

١٥٣ـ وَبَعْـدُ فَـالأَفْضَـلُ بـاقِـي العَشَـرَةْ
فَـأَهْـلُ بَـدْرٍ ثُـمَّ أَهْـلُ الشَّجَـرَةْ ٢٣٦

١٥٤ـ وَقِيــلَ أَهْــلُ أُحْــدٍ المُقَــدَّمَــةْ
والأَوَّلُ أَوْلَـىٰ للنُّصُوصِ المُحْكَمَـةْ ٢٣٨

١٥٥ـ وعَـائِشَـةْ فِـي العِلْـمِ مَـعْ خَدِيْجَـةْ
فِـي السَّبْـقِ فَـافْهَـمْ نُكْتَـةَ النَّتِيجَـةْ ٢٣٩

فصل

في فضل الصحابة جملة

١٥٦ـ وَلَيْـسَ فِـي الأُمَّـةِ كـالصَّحَـابَـةْ
فِي الفَضْلِ والمَعْرُوفِ والإِصَابَةْ ٢٤١

١٥٧ـ فـإنَّهـم قَـدْ شـاهـدوا المُخْتَـارا
وعـاينُـوا الأسْـرارَ والأنْـوارا ٢٤٣

١٥٨ـ وَجَـاهـدُوا فـي اللهِ حَتَّـىٰ بـانَـا
دينُ الهُـدَىٰ وقَـدْ سَمَـا الأديـانَـا ٢٤٣

١٥٩ـ وَقَـدْ أَتـىٰ فـي مُحْكَـمِ التَّنْـزِيـلِ
مِـنْ فَضْلِهـمْ مـا يَشْفـي لِلْغَلِيـلِ ٢٤٤

١٦٠ـ وَفِـي الأحـاديـثِ وَفِـي الآثـارِ
وفِـي كَـلامِ القـومِ والأَشْعَـارِ ٢٤٤

١٦١ـ مَا قَـدْ رَبَـا مِـن أَنْ يُحيطَ نَظْمِـي
عَنْ بَعْضِهِ فاقْنَعْ وَخُذْ عن عِلْمِ ٢٤٥

١٦٢ـ واحْذَرْ مِن الخَوْضِ الذي قَدْ يُزرِي
بِفَضْلِهِـمْ ممـا جَـرَىٰ لـو تَـدْرِي ٢٤٦

١٦٣ـ فـإنَّـه عَـنِ اجتهـادٍ قَـدْ صَـدَرْ
فـاسْلَـمْ أَذَلَّ اللهُ مَـنْ لَهُـمْ هَجَـرْ ٢٤٨

١٦٤ـ وبَعْـدَهُـمْ فـالتـابعـونَ أَحـرَىٰ
بـالفضـلِ ثُـمَّ تـابِعُـوهُـمْ طُـرّا ٢٤٩

فصل

في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

١٦٥ـ وكُـلُّ خَـارِقٍ أَتَـىٰ عـن صَـالِـحِ
مِـنْ تَـابِـعٍ لِشَـرْعِنَـا ونـاصِـحِ ٢٥٢

١٦٦ـ فـإنَّهـا مِـن الكَـرامَـاتِ الَّتِـي
بِهَـا نَقـولُ فَـاقْـفُ لـلأدِلَّـةِ ٢٥٢

١٦٧ـ وَمَـنْ نَفـاهَـا مِـن ذَوِي الضّـلالِ
فَقَـدْ أتَـىٰ فِـي ذاكَ بـالمُحـالِ ٢٥٤

١٦٨ـ لأنَّهـا شَهِيـرَةٌ ولـم تَـزَلْ
فِي كُلِّ عَصْرٍ يا شَقَا أهلِ الزَّلَلْ ٢٥٤

فصل

في المفاضلة بين الملائكة والبشر

١٦٩ـ وعنـدَنـا تفضيـلُ أعيـانِ البَشَـرْ
علـىٰ مـلاكِ رَبِّنـا كمـا اشتَهَـرْ ٢٥٥

١٧٠ـ قالَ ومَنْ قالَ سِوَىٰ هٰذا افترَىٰ
وقـد تَعـدَّىٰ فـي المقـالِ واجْتَـرا ٢٥٥

الباب السادس

في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

١٧١ـ وَلاَ غِنَـىٰ لأُمَّـةِ الإسـلام
فـي كُـلِّ عَصْـرٍ كـانَ عَـنْ إمَـامِ ٢٥٧

١٧٢ـ يَـذُبُّ عنهـا كُـلَّ ذِي جُحُـودِ
ويَعتنِـي بـالغَـزْوِ والحُـدودِ ٢٥٧

١٧٣ـ وَفِعْلِ معروفٍ وَتَرْكِ نُكْرِ
ونَصْرِ مَظْلُومٍ وَقَمْعِ كُفْرِ ٢٥٨

١٧٤ـ وَأَخْذِ مالِ الفَيْءِ والخَراجِ
وَنَحْوِهِ والصَّرْفِ في مِنهاجِ ٢٥٨

١٧٥ـ وَنَصْبِهِ بالنَّصِّ والإجْمَاعِ
وَقَهْرِهِ فَحُلْ عن الخِداعِ ٢٦٠

١٧٦ـ وَشَرْطُهُ الإسلامُ والحُرِّيَّةْ
عَدالةٌ سَمْعٌ مع الدِّرِيَّةْ ٢٦١

١٧٧ـ وأَنْ يكونَ مِن قريشٍ عالِما
مُكَلَّفاً ذا خِبْرَةٍ وحَاكِما ٢٦٢

١٧٨ـ وَكُنْ مطيعاً أمرَهُ فيما أَمَرْ
ما لَمْ يَكُنْ بِمُنْكَرٍ فَيُحْتَذَرْ ٢٦٣

فصل

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٧٩ـ واعْلَمْ بأَنَّ الأمرَ والنَّهْيَ معا
فَرْضَا كِفايةٍ علىٰ مَن قَدْ وَعَىٰ ٢٦٨

١٨٠ـ وإنْ يَكُنْ ذَا واحِداً تَعَيَّنَا
عَلَيهِ لٰكِنْ شَرْطُه أَنْ يَأْمَنَا ٢٧٠

١٨١ـ فاصْبِرْ وَزِلْ باليدِ واللسانِ
لِمُنْكَرٍ واحْذَرْ مِن النُّقصانِ ٢٧٠

١٨٢ـ وَمَـنْ نَهـىٰ عَمّـا لَـهُ قَـدِ ارْتَكَـبْ
فَقَـدْ أَتَـىٰ مِمَّـا بِـهِ يُقْضَـىٰ العَجَـبْ ٢٧٢
١٨٣ـ فَلَــوْ بَــدَا بِنَفْسِــهِ فَــذادَهَــا
عَــنْ غَيِّهـا لكــانَ قَــدْ أَفــادَهَــا ٢٧٢

الخاتمة

١٨٤ـ مَــدارِكُ العلــومِ فِــي العِيَــانِ
مَحْصُـورَةٌ فِـي الحَـدِّ والبُـرهـانِ ٢٧٥
١٨٥ـ وقـالَ قـومٌ عنـدَ أصحـابِ النَّظَـرْ
حِـسٌّ وإخبـارٌ صحيـحٌ والنَّظَـرْ ٢٧٥
١٨٦ـ فـالحـدُّ وَهـوُ أصـلُ كُـلِّ عِلْـم
وَصْـفٌ مُحِيـطٌ كَـاشِـفٌ فـافْتَهِـمِ ٢٧٥
١٨٧ـ وَشَـرْطُـهُ طَـرْدٌ وعَكْـسٌ وَهـوُ إنْ
أَنْبَـا عـنِ الـذواتِ فـالتَّـامّ اسْتَبِـنْ ٢٧٦
١٨٨ـ وإنْ يَكُـنْ بـالجنسِ ثُـمَّ الخَـاصَّـةْ
فَـذاكَ رسـمٌ فـافْهَـمِ المُحَـاصَّـةْ ٢٧٦
١٨٩ـ وكُــلُّ معلــومٍ بِحِــسٍّ وحِجَــا
فَنُكْـرُهُ جَهْـلٌ قَبِيـحٌ فـي الهِجَـا ٢٧٦
١٩٠ـ فــإنْ يَقُــمْ بنفسِــهِ فَجَــوْهَــرُ
أَوْ لا فــذاك عَــرَضٌ مُفْتَقِــرُ ٢٧٦

١٩١ـ والجسمُ ما أُلِّفَ مِن جُزْءَيْنِ
فصاعداً فاتْرُكْ حديثَ المَيْنِ ٢٧٦
١٩٢ـ ومستحيلُ الذاتِ غيرُ مُمْكِنِ
وضِدُّه ما جازَ فاسْمَعْ زَكَنِي ٢٧٦
١٩٣ـ والضِّدُّ والخلافُ والنقيضُ
والمثلُ والغيرانِ مستفيضُ ٢٧٦
١٩٤ـ وكلُّ هذا علمُه مُحَقَّقُ
فَلَمْ نُطِلْ بهِ وَلَمْ نُنَمِّقُ ٢٧٦
١٩٥ـ والحمدُ للهِ علىٰ التوفيقِ
لِمَنْهَجِ الحَقِّ علىٰ التَّحقِيقِ ٢٧٧
١٩٦ـ مُسَلِّماً لِمُقْتَضَىٰ الحَدِيثِ
والنَّصِّ فِي القَدِيمِ والحَدِيثِ ٢٧٨
١٩٧ـ لا أَعْتَنِي بغيرِ قولِ السَّلَفِ
مُوافِقاً أئِمَّتِي وسَلَفِي ٢٧٩
١٩٨ـ ولستُ في قَوْلِي بِذا مُقَلِّدا
إلا النَّبِيَّ المُصْطَفَىٰ مُبْدِي الهُدَىٰ ٢٨٠
١٩٩ـ صَلَّىٰ عليه اللهُ ما قَطْرٌ نَزَلْ
وَمَا تَعَانَىٰ ذِكْرُه مِنَ الأَزَلْ ٢٨١
٢٠٠ـ وما انجلَىٰ بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورُ
وَراقَتِ الأوقاتُ والدُّهورُ ٢٨٤

٢٠١ـ وآلِـهِ وصَحْبِـهِ أهـلِ الـوَفَـا
معـادنِ التقـوَىٰ وينبـوعِ الصَّفَـا ٢٨٤

٢٠٢ـ وتـابـعٍ وتـابـعٍ للتـابـعِ
خيـرُ الـورَىٰ حَقّـاً بِنَصِّ الشـارعِ ٢٨٦

ذكر أئمة المذاهب الأربعة

٢٠٣ـ ورحمـةُ اللهِ مَـعَ الـرِّضـوانِ
والبِـرِّ والتكـريـمِ والإحسـانِ ٢٨٧

٢٠٤ـ تُهـدَىٰ مـع التبجيـلِ والإنعـامِ
منـي لِمَثـوَىٰ عِصْمَـةِ الإسـلامِ ٢٨٧

٢٠٥ـ أئمـةُ الـديـنِ هُـداةُ الأُمَّـةْ
أهـلُ التُّقَـىٰ مِـن سَـائِـرِ الأئِمَّـةْ ٢٨٧

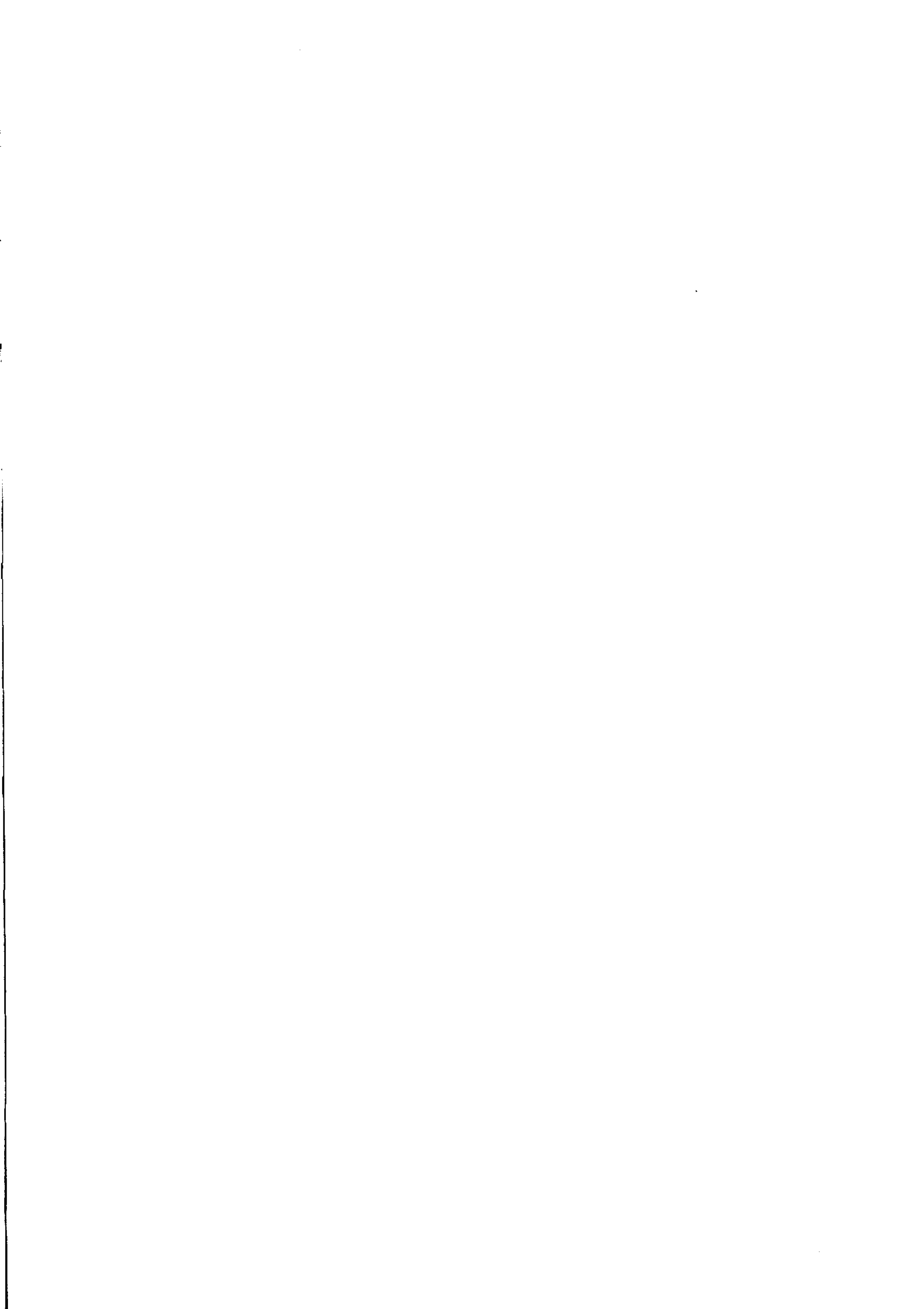
٢٠٦ـ لا سِيَّمَـا أحمـدَ والنعمـانِ
ومـالـكٍ محمـدِ الصنـوانِ ٢٨٧

٢٠٧ـ مَـنْ لازمٌ لكـلِّ أربـابِ العَمَـلْ
تقليـدُ حَبْـرٍ منهم فـاسْمَعْ تَخَـلْ ٢٨٨

٢٠٨ـ ومَـنْ نَحـا لِسُبُلِهِـمْ مِـن الـورَىٰ
مـا دارَتِ الأفـلاكُ أو نجـمٌ سَـرَى ٢٨٩

٢٠٩ـ هَـدِيَّـةٌ مِنِّـي لأربـابِ السَّلَـفْ
مُجانِباً للخوضِ مِن أهلِ الخلفْ ٢٨٩

٢١٠ـ خُـذْهـا هُـدِيـتَ واقْتَـفِ نِظَـامـي
تَفُـزْ بمـا أَمَّلْـتَ والسـلامِ ٢٩٠



المحتويات

الموضوع	الصفحة
ترجمة الإمام السَّفَّاريني	٧
أول متن القصيدة	١١
الحمد لله القديم الباقي	١٦
مقدمة في ترجيح مذهب السلف	٥١
قول أهل السنة في النصوص	٥٨
حال المؤولين في الصفات	٦٤
الباب الأول: في معرفة الله بأسمائه وصفاته	٧١
فصل في بحث صفاته تعالىٰ	٧٨
فصل في مبحث القرآن الكريم	٨٤
فصل في ذكر الصفات التي يثبتها لله تعالىٰ أئمة السلف وعلماء الأثر	٩٠
فصل في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلِّد	١٠٦
الباب الثاني: في الأفعال المخلوقة	١٠٩
فصل في الكلام علىٰ الرزق	١٢٧
الباب الثالث: في الأحكام والإيمان ومتعلقات ذلك	١٣٣
فصل في الكلام علىٰ القضاء والقدر غير ما تقدم	١٣٦
فصل في الكلام علىٰ الذنوب ومتعلقاتها	١٣٨
فصل في أهل العناد والزندقة والإلحاد	١٤٦
فصل في الكلام علىٰ الإيمان واختلاف الناس فيه	١٥٣

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع : البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور . . . ١٦١
فصل في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة علىٰ اقترابها ومجيئها . . . ١٦٧
فصل في أمر المعاد ١٨٠
فصل في الكلام علىٰ الجنة والنار ١٩٩
الباب الخامس : في ذكر النبوة ٢٠٧
فصل في خصائص الرسول ﷺ ٢١٦
فصل في معجزاته ﷺ ٢٢١
فصل فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما
يستحيل في حقهم ٢٢٦
فصل في ذكر الصحابة الكرام ٢٢٩
فصل في فضل الصحابة جملة ٢٤١
فصل في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها ٢٥٠
فصل في المفاضلة بين الملائكة والبشر ٢٥٥
الباب السادس : في ذكر الإمامة ومتعلقاتها ٢٥٦
فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦٥
الخاتمة وفيها فوائد ٢٧٥
ذكر أئمة المذاهب الأربعة ٢٨٧
خاتمة الشرح ٢٩١
العقيدة السفارينية (القصيدة) ٢٩٣-٣١٧